المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الملك فيصل

الأمر في رياض الصالحين

دراسة دلالية تداولية

إعداد الطالب

عبدالعزيز بن محمد عبدالعزيز الملحم

إشراف الدكتور

بلقاسم محمد حمام

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية (اللغويات)

كلية الآداب . جامعة الملك فيصل

١٤٣٧هـ

الأمر في رياض الصالحين دراسة دلالية تداولية

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير لقسم اللغة العربية

تخصص اللغويات

إعداد الطالب :

عبدالعزيز بن محمد عبدالعزيز الملحم

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ : ١٤٣٧/٨/١١هـ الموافق ١٨ مايو ٢٠١٦م

وقد تمت إجازتها بعد إجراء التعديلات المطلوبة.

أعضاء لجنة المناقشة والحكم على الرسالة

١. سعادة الدكتور بلقاسم محمد حمام (مشرفاً ومقرراً)

التوقيع .....

٢. سعادة الأستاذ الدكتور خليفة الهادي الميساوي (ممتحناً داخلياً)

التوقيع .....

٣. سعادة الأستاذ الدكتور إبراهيم بن عبدالله السماعيل (ممتحناً خارجياً)

التوقيع .....

رئيس قسم اللغة العربية

د. عبدالله بن سعد فارس الحقباني

عميد كلية الآداب

سعادة الأستاذ الدكتور ظافر بن عبدالله الشهري

عنه

١٤٣٨/١/٤هـ

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر والدعاء للقائمين على جامعة الملك فيصل المباركة -أدامها الله حصنًا منيعًا للإسلام وللمسلمين- وعلى رأسهم معالي مديرها الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن جمال الدين الساعاتي، وعميد كلية الآداب الأستاذ الدكتور ظافر بن عبد الله الشهري، ورئيس قسم اللغة العربية الأستاذ الدكتور عبدالله بن سعد الحقباني، على إتاحة الفرصة لي لإكمال مسيرتي التعليمية، وما وفروا من إمكانات في سبيل خدمة العلم وطلابه .

كما أتقدم بالشكر والتقدير لأساتذتي في قسم اللغة العربية الذين لم يبخلوا عليَّ بعلم وفائدة ومشورة خلال السنة المنهجية وبعدها، أسأل الله الكريم أن يبارك لهم في علمهم وعملهم وعمرهم، وأن يجزيهم عني خير الجزاء.

وكما أخصُّ بالشكر الجزيل أستاذي ومعلمي الفاضل الأستاذ الدكتور بلقاسم محمد حمام، المشرف على هذه الرسالة، والذي لم يبخل عليَّ -حفظه الله- بتوجيهاته المنهجية، وملحوظاته الموضوعية، التي كان لها الأثر الطيب في إثراء الطريق لإنجاز هذا البحث، أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يجعله مباركًا أين ما كان، وهذا الشكر عملًا بقوله ﷺ: ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله))[1] .

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٩/٤) حديث رقم (١٩٥٤) وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وأبو داود (١٥٧/٥) حديث رقم (٤٨١١)، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود (٢٥٥/٤) حديث رقم (٤٨١١).

إهـــــــداء

إلى من علمني حب العمل، والإخلاص فيه، والإصرار عليه ...

أبي حفظه الله

إلى من غرست في نفسي حب العلم، ورافقت مسيرتي بالدعاء ...

أمي حفظها الله

إلى من يسرت لي الطريق، وساندتني و رافقت خطواتي ...

زوجتي حفظها الله

إلى من أعانوني على الصمود وشجعوني ...

إخوتي وأخواتي رعاهم الله

إلى أساتذتي ومشايخي وكل من علمني حرفاً ... إلى كل من أحب ...

أهدي هذا العمل المتواضع راجياً من المولى عز وجل أن يجد القبول والنجاح

عبدالعزيز بن محمد الملحم

ملخص

يتناول البحث دراسة للبعد الدلالي والتداولي للأمر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب رياض الصالحين للإمام النووي، معتمداً المنهج الوصفي التحليلي الذي فرضته طبيعة المدونة وطبيعة الموضوع، وله ثلاثة جوانب: الأول منه تمهيدي، يتناول الإمام النووي ونبذة عن كتابه (رياض الصالحين) والمنهج الذي اتبعه فيه، ومن ثم تسليط الضوء على البلاغة النبوية، ثم تسليط الضوء على مفهوم الدلالة وأنواعها، ومفهوم التداولية وأهم نظرياتها، ومن ثم الإشارة إلى أهم نقاط التقاطع بينهما .

وأما الجانب الثاني فنظري وقد تم فيه تسليط الضوء على الأمر ودلالاته عند علماء التراث من بلاغيين وأصوليين ومفسرين ونحويين، وكذلك النظر إلى الأمر من خلال الدراسات الحديثة المتمثلة في الدراسات التداولية .

وأما الجانب الأخير فهو الجانب التطبيقي وذلك من خلال دراسة أساليب الأمر، واستخراج الصور والتراكيب التي ورد فيها هذا الأسلوب، وتحليلها دلالياً، ودراسة التأويل التداولي والتفسير البراغماتي لأساليب الأمر الواردة في الأحاديث من خلال المحتوى القضوي والقوة الإنجازية لها.

الفصل الأول : **(الدراسة النظرية)**

المبحث الأول : دلالة الأمر عند البلاغيين والأصوليين والمفسرين والنحاة .

المبحث الثاني : الأمر في الدراسات التداولية .

الفصل الثاني : **(دراسة تطبيقية للأمر في كتاب رياض الصالحين)** .

المبحث الأول : المحتوى القضوي للأمر في أحاديث كتاب رياض الصالحين .

المبحث الثاني : القوة الإنجازية للأمر في أحاديث كتاب رياض الصالحين .

والمؤمل من هذا البحث أن يسهم في إعادة قراءة الحديث النبوي، والنظر فيه من خلال القراءات اللسانية الحديثة، لاكتشاف أسرار البيان والبلاغة النبوية، وتحليل أوامر النبي صلى الله عليه وسلم من خلال تحليل أفعال الكلام والقوى الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، وما تتضمنه الأوامر النبوية بالنظر إلى السياق اللغوي وغير اللغوي ومعطيات الحال والمقام المتمثلة في العوامل المؤثرة في استراتيجيات الخطاب .

فهرس

مقدمة ٨

تمهيد ١٥

١- التعريف بالإمام النووي ١٥

٢- التعريف بكتاب رياض الصالحين ٢٢

٣- التعريف ببلاغة النبي صلى الله عليه وسلم ٢٨

٤- بين الدلالة والتداولية ٣٣

أولاً : الدلالة وخصائص العربية ٣٣

أ. مساهمة العلماء العرب في البحث الدلالي ٣٧

ب.تعريف علم الدلالة ٤٢

ج. أنواع الدلالات ٤٤

ثانياً : التداولية ٤٩

أ. تعريف التداولية ٥٠

ب.المفاهيم الأساسية في الدرس التداولي ٥٢

- نظرية المشيرات ٥٣

- نظرية الافتراض المسبق ٥٤

- نظرية الاستلزام التخاطبي ٥٦

- المقاصد ٥٩

- نظرية الأفعال الكلامية ٦٠

- نظرية الاشتقاق الإنجازي ٦١

ثالثاً : تقاطعات بين الدلالة والتداولية ٦٤

الفصل الأول (الجانب النظري) : الأمر بين التراث والدراسات التداولية..... ٦٧

المبحث الأول : الأمر عند البلاغيين والأصوليين والمفسرين والنحويين ٦٩

الأمر عند البلاغيين ٧٢

أولاً : الأمر في اللغة والاصطلاح البلاغي ٧٤

ثانياً : صيغ الأمر ٧٥

ثالثاً : الفروق الدلالية في صيغ الأمر ٧٩

رابعاً : عناصر ومحددات الدلالة الحقيقية للأمر ٨٢

- **عنصر العلو ٨٢**
- **عنصر الاستعلاء ٨٣**
- **عنصر الإمكان ٨٥**
- **عنصر الزمان ٨٥**
- **عنصر المصلحة ٨٦**

خامساً : الدلالات التي تخرج إليها صيغ الأمر ٨٧

- **دلالة الأحكام الشرعية ٨٧**

أ. دلالة الوجوب ٨٧

ب. دلالة الندب ٨٨

- **الدلالات البلاغية ٩١**

الأمر عند الأصوليين ٩٥

أولاً : تعريف الأمر في الاصطلاح الأصولي ٩٥

ثانياً : تعريف القرينة في الاصطلاح الأصولي ٩٨

ثالثاً : دلالة الأمر المجرد عن القرائن عند الأصوليين ١٠٠

الأمر عند المفسرين ١٠٦

الأمر عند النحاة ١٠٩

المبحث الثاني : الأمر في الدراسات التداولية ١١١

الفصل الثاني (الجانب التطبيقي) الأبعاد الدلالية والتداولية للأمر ١١٧

المبحث الأول:المحتوى القضوي للأمر في رياض الصالحين (دراسة تطبيقية) ١١٨

المبحث الثاني : القوة الإنجازية للأمر في رياض الصالحين (دراسة تطبيقية)..... ١٥٣

الخاتمة ١٧٦

المصادر والمراجع ١٧٩

فهرس ١٩٢

Abstract

This study investigates the pragmatic and semantic dimension of the commands Hadith of Prophet Muhammad (peace be upon him) in (Riyadh Alsaleheen, by AL imam Alnawawi). A descriptive analysis was used in this study, reflected in three dimensions: preparatory, which talks about AL imam Alnawawi, his book and the methodology followed in the book. The Prophetic Rhetoric was then discussed along with a description of what is meant by semantics and its kinds, and pragmatics and its theories and the intersections among them.

The second dimension is theoretical which focused on commands and its indications interpreters, commentators and syntactic scholars, along with an overview on the recent pragmatic studies.

The last dimension is a practical where commands are studied and the examples of it are extracted and pragmatically analyzed. Then the semantic and pragmatic interpretation of commands is studied thorough its judicial content and power.

Chapter one: (The theoretical study)

Part one: Indications of commands in the literature.

Part two: Commands in studies of pragmatics.

Chapter two: (Applied study for commands in Riyadh Alsaleheen)

Part one: Judicial content of commands in Hadiths of Riyadh Alsaleheen.

Part two: Power influence of commands in Hadiths of Riyadh Alsaleheen.

The study aims to contribute in the field for the researchers and scholars to reread Hadiths from a recent linguistic perspective to explore secrets of Prophet Statements and analyze prophet Commands through investigating the doing of speech and the direct and indirect power of speech, along with what is implied in theses commands through observing the linguistic and metalinguistic context and factors that may influence strategies of speech.

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ثم أما بعد . .

إن الحديث الشريف هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي؛ كما أنه أحد مصادر التقعيد اللغوي عند النحويين واللغويين العرب؛ ولذا فقد كثرت الجهود اللغوية التي تناولت الحديث النبوي الشريف دراسة وتقعيدا واستنتاجا واستنباطا؛ سواء كان ذلك عند لغوبي التراث العربي، أو ما نجده عند كثير من الباحثين في العصر الحديث، وجهوا جهودهم نحو لغة الحديث وأسلوبه، وقامت دراسات وبحوث في ذلك؛ وما ذلك إلا لثراء لغة الحديث وقدرتها على حمل المعاني الغزيرة الكامنة في ألفاظها، التي كلما استحدث منهج لغوي وجد فيها مادة خصبة لكي يستخرج من هذه المعاني ما لم يصل إليه المنهج السابق عليه، ولا تزال لغة الحديث الثرية بالأساليب المتنوعة بحاجة ماسة للدراسة، فمن أجل هذا وذاك جاءت أسباب اختياري لموضوع بحثي الموسوم بـ:

" الأمر في رياض الصالحين دراسة دلالية تداولية "

على النحو الآتي :

١. رغبتي في خدمة الأصل الثاني من أصول اللغة العربية المتعلقة بأسلوب من أساليب اللغة العربية الشائعة في الخطاب اليومي ألا وهو الأمر، في لغة لها مكانتها الكبيرة والعظيمة على مر العصور، مع محاولة رصد الظواهر اللغوية المتعلقة به لكثرة وروده في الأحاديث النبوية الواردة ضمن مدونة حظيت بالإقبال عليها من المثقفين ومن دونهم.

٢. الوقوف على قدرته صلى الله عليه وسلم اللغوية في تطويع هذا الأمر لتحقيق غاياته وأهدافه وتوظيفه في دعوته ولنشر أحكام الدين .

٣. وكذلك مما حفزني على الإقدام لتسجيل هذا الموضوع، استفادتي من مفردات مقررات المواد الماضية في الفصول السابقة وخصوصاً في مادتي علم اللسانيات الحديث و المدارس اللغوية الحديثة، كما أنني لم أجد بحثاً يتناول الأمر من خلال البعد (الدلالي والتداولي) على حسب اطلاعي المتواضع .

❐ أهداف البحث:

هناك عدد من الأهداف يسعى موضوع بحثي إلى تحقيقها، ومنها :

- خدمة الأصل الثاني من أصول اللغة العربية المتعلقة بأسلوب من أساليب اللغة العربية الشائعة في الخطاب اليومي ألا وهو الأمر .
- الإشارة إلى قدرته صلى الله عليه وسلم البلاغية في تطويع الأمر لتحقيق غاياته وأهدافه وتوظيفه في دعوته ولنشر أحكام الدين .
- الوقوف على الأثر التداولي الذي يتركه الأمر على المخاطب باختلاف المقام الكلامي .
- الإفادة من الأمر لتحقيق الأهداف المنشودة وفق المنظور التداولي .
- إعطاء الحديث الشريف عناية أكبر ومساحة أوسع في الدرس الدلالي والتداولي .
- الإفادة من أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في إقامة حوار نفعي هادف ذي قيمة دعوية سامية .

– مشكلة البحث: (تتناول موضوع البحث بشكل عام و تنتهي بموضوع البحث الخاص وتحديد المشكلة التي سيناقشها البحث ودواعي القيام به)

الحديث النبوي الشريف هو خطاب النبي صلى الله عليه وسلم الموجه إلى كافة المتلقين من أمته، وقد اكتسب الحديث الشريف بهاءه وعظمته من كون قائله هو سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم، فقد جاء الحديث الشريف محملا بعاطفة النبي نحو أمته وحرصه على هدايتهم واستنقاذهم من النار؛ ضمن رسالة لغوية تميزت بعظيم بلاغتها وغزارة معانيها وتنوع دلالتها التي يكتشف فيها الباحثون كل يوم جديداً تبعا لما يستحدث من مناهج الدراسات اللغوية المتبعة في تحليل النصوص اللغوية.

والسمة الغالبة على أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم تكاد تمثل السمت العام لنصوص الحديث النبوي الشريف هي سمة "الإبلاغ" قبل كل سمة أخرى، وهذا الإبلاغ يتم في فضاء التواصل النبوي الذي يحققه الحديث الشريف، ونجد أن الأمر أحد أهم أدوات الإبلاغ التي وظفها الرسول الكريم في أحاديثه الشريفة لتبليغ رسالته وأحكام الدين .

ومن هنا تنطلق فكرة موضوع هذا البحث من بعض الإشكاليات المتمثلة في عدة تساؤلات مفادها :

- كيف تناول علماء الدلالة الأمر؟ وما الإضافات التي قدموها في دراساتهم له ؟
- وهل يمكن أن يكون للأمر حين يتناوله الدرس الدلالي دلالات خاصة به؛ أي من ناحية الصيغة الصرفية لفعل الأمر؟
- إذا كنا نسلم بأن الحديث النبوي فضاء تواصلي ، بوصفه حجة نبرهن بها على قضايا كثيرة تصادفنا في حياتنا اليومية ، أفلا يستجيب الحديث النبوي للدراسة التداولية (pragmatics) ؟
- استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر بنوعيه الحقيقي والمجازي، كما استعمل الأمر في سياقات مختلفة في لغته للوصول إلى أهدافه المتمثلة في تبليغ الرسالة ونشر أحكام الدين بين الناس، أفلا نستطيع دراسة هذا الأسلوب الإنشائي ضمن نظرية أفعال الكلام theory of speech acts التي جاء بها الدرس التداولي ؟
- أيمكن أن نقارب بين مبدأ التعاون في اللغة[1] The principle of cooperation in the modern – وهو مبدأ تداولي – وما يتفرع عنه من قواعد المحادثة[2]، وبين الحديث النبوي وأبعاده التواصلية ؟
- يمكن لنا أن نقول: (القول النبوي) لكن الأصوب أن نقول: (الحديث النبوي)، وذلك بسبب وجود طرفين في الحوار أو أكثر، ألا يمكن إذاً دراسة لغة الحديث النبوي بغرض الإجابة عن الأسئلة التي جاءت التداولية لتجيب عنها، مثل : من يتكلم؟ كيف يتكلم؟ مع من يتكلم؟ وماذا يريد أن يقول؟ وغيرها من الأسئلة .

---

(١) مبدأ التعاون في اللغة هو : "توفر قدر متوقع من المعلومات في محادثة مظهراً لفكرة أعم مفادها أن الأشخاص المشتركين في المحادثة سيعاون أحدهم الآخر" . جورج يول ، ٢٠١٠ ، التداولية ، ترجمة : د.قصي العتابي ، بيروت ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ص٦٧.

(٢) قواعد المحادثة هي: استراتيجيات استعمال اللغة وفق عوامل اجتماعية ونفسية مؤثرة في التواصل، بحيث تسعى هذه الاستراتيجيات إلى التقارب بين المتكلم والسامع في ظرف لغوي آني معين . انظر : جورج يول ، التداولية ، ص١٠٦ و ص١٨٨ .

نتيجة لما سبق ذكره اخترت أن أقوم بدراسة لغة الحديث النبوي في إطار التداولية، لأن النظرية التداولية تهتم بالاستخدام اللغوي وأثره على المتلقي والتفاعل بين المتخاطبين، لتحقيق الفائدة التي هي مقصد المرسل من الخطاب.

❐ خطة البحث :

- جاء البحث في فصلين يتبع كل فصل مبحثان، تصدر بمقدمة تعرض الخطوط العريضة للبحث، ثم يتبع المقدمة تمهيد أعرض فيه تعريفاً موجزاً للنووي ولكتابه (رياض الصالحين)، ثم أتعرض في التمهيد إلى الحديث عن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم واستخدامه لهذا المفهوم (التداولية) آنذاك لأغراض إبلاغية تحتمها دعوته صلى الله عليه وسلم، كما أنني سوف أتطرق لمفهوم التداولية في الدرس اللساني الحديث والمبادئ التي تعتمد عليها وعلاقتها بعلم الدلالة وأهم التقاطعات التي يلتقي فيها الدرس الدلالي والتداولي .
- **أما بالنسبة إلى فصول البحث فهي مقسمة على النحو الآتي :**
- **الفصل الأول : الأمر بين التراث والدراسات التداولية، وينقسم إلى مبحثين :**
- المبحث الأول : دلالة الأمر عند البلاغيين والأصوليين والمفسرين والنحاة
- المبحث الثاني : الأمر في الدراسات التداولية
- **الفصل الثاني : الأبعاد الدلالية والتداولية للأمر ، وينقسم إلى مبحثين :**
- المبحث الأول : المحتوى القضوي للأمر في الحديث الشريف (دراسة تطبيقية)
- المبحث الثاني : القوة الإنجازية للأمر (دراسة تطبيقية)

الخاتمة:

وتشتمل على ملخص نتائج الدراسة، وأهم توصيات الدراسة.

الفهارس:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات التفصيلي.

❐ منهجية البحث :

اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهج الوصفي التحليلي، والذي فرضته طبيعة المدونة وطبيعة الموضوع، فالمنهج الوصفي يسعى لوصف الظواهر اللغوية كما هي موجودة في المدونة ويمكن من خلال ذلك وصف الظاهرة اللغوية وتحليلها، مع التركيز ما أمكن على رصد النصوص الواردة في كتاب (رياض الصالحين) المتضمنة للأمر الذي وظفه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه، كما أنني سوف أحاول اعتماد بعض آليات التحليل الدلالي والتداولي في تحليلي للأحاديث النبوية من المنظور الدلالي و التداولي .

❐ الدراسات السابقة:

تناول الكثيرون ممن كتبوا في النحو أو البلاغة الأمر بالدراسة، منهم إسماعيل قيس الأوسي في كتابه (أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين) الذي تحدث فيه عن علاقة النحو بعلم المعاني، مستشهداً في ذلك بسيبويه والمبرد وابن جني وابن فارس، كما تحدث عن طغيان النزعة المنطقية واستشهد بالجرجاني والسكاكي والزمخشري، بعدها تحدث عن علم المعاني بين علم النحو وعلم البلاغة، كما تعرض للأساليب الإنشائية مستفتحاً بالأمر الذي تحدث فيه عن المعاني التي يخرج إليها، ومن ثم الصيغ التي يأتي فيها الأمر ودلالة كل صيغة.

كما توجد مجموعة من البحوث الجامعية المهمة (رسائل ماجستير ودكتوراه) لم يسعفني الحظ في الحصول عليها رغم السعي للاطلاع عليها ومنها :

١ . أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، رسالة ماجستير للباحث : يوسف عبد الله الأنصاري من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، حيث تحدث الباحث في أطروحته عن جملة من المعاني الكثيرة التي يخرج إليها الأمر وكذلك النهي، والإعجاز البلاغي التي تحتويه هذه الأساليب، وطرق عرض القرآن الكريم لهذه الأساليب والهدف منها .

٢ . أسلوب الأمر في صحيح مسلم في ضوء أساليب القرآن الكريم دراسة تداولية موازنة، رسالة دكتوراه للباحث:شاهر جلال عطية من الجامعة العراقية .

٣ . أساليب الطلب في شعر الحبوبي دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير للباحث : غانم عودة شرهان فرحان السوداني من الجامعة المستنصرية ببغداد، حيث جعل الباحث الفصل الأول لأسلوبي الأمر والنهي، مستعرضاً – في المبحث الأول- جملة من التعريفات لأسلوب الأمر والصيغ التي يأتي عليها ودلالة كل صيغة ودراستها دراسة تطبيقية تحليلية على شعر الحبوبي، والمعاني الحقيقية والمجازية التي يحتويها الأمر .

٤ . أسلوب الأمر في القرآن الكريم، رسالة ماجستير للباحث : يحيى خليل مراد ، حيث إنه لم يبتعد كثيراً عن الدرس النحوي والبلاغي التقليدي لأسلوب الأمر ، والتي جاء بها الأنصاري .

ولكنني سوف أضيف إلى هذه الدراسات دراسة الأمر من ناحية الدراسات اللسانية المعاصرة التي تعد التداولية من أحدث مجالاتها، مركزاً على نظرية أفعال الكلام ومفهوم الإنجازية في الفعل والخطاب وكذلك التطرق إلى درجة قوة الفعل في الإنجاز ...

❐ مجال البحث :

- سوف أقوم في هذا البحث بتناول الأمر الوارد في كتاب (رياض الصالحين)، كما سأسعى إلى استخراج الصور والتراكيب التي ورد فيها، كما أنني سوف أقتصر في هذه الدراسة على الشواهد من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أي الأحاديث التي قالها الرسول صلى الله عليه وسلم دون الأحاديث التي تندرج تحت باب الفعل (السنة الفعلية) ودون أقوال الصحابه رضي الله عنهم التي كانت تتخلل سياق الأحاديث النبوية.
- وفي تناولي للأحاديث النبوية التي وردت في استخدام الأمر بالتحليل الدلالي لن أتناول إلا الأحاديث التي ترد في مقامات التعامل التي تسمح بوجود التأويل التداولي والتفسير البراغماتي للظواهر اللغوية؛ وعليه فلن أتناول الأحاديث ذات الطابع التعبدي البحت مثل أحاديث الاستغفار والوضوء على سبيل المثال.

❐ أهم الصعوبات :

من المعروف أنه لا بد لسالك طريق البحث العلمي من صعوبات وعقبات تواجهه، ولكنها مهما كانت فإنها تضمحل أما الرغبة في طلب العلم، ومن أهم الصعوبات التي واجهتني :

- دراسة الأمر لم تكن مقصورة على طائفة محددة من العلماء، فقد تناوله النحويون والبلاغيون والأصوليون والمفسرون والتداوليون، ولكل طريقته الخاصة، ولم يخل ذلك من التقاطعات والتداخلات بين تلك الدراسات، وقد استلزم ذلك كله الرجوع إلى أهم مؤلفات هؤلاء العلماء لجمع شتات دراستهم لهذا الأسلوب.
- اختلاف المصطلحات الخاصة بالمنهج التداولي بين علماء اللسانيات الحديثة.

فهذه بعض الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذا البحث، ولكن بالاستعانة بالله – عز وجل– تحقق المراد وهان، وما هو إلا توفيق من الله جل جلاله.

وفي الختام فإني لا أدعي أني وفيت البحث، لكن حسبي أنني بذلت جهدي طلبًا للحق وسعيًا للصواب، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان وأستغفر الله من ذلك.

والحمد لله ربِّ العالمين أولًا وآخرًا

وصلاته وسلامه على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

التعريف بالإمام النووي

قبل الدخول في موضوع البحث ينبغي إلقاء الضوء على شخصية الإمام النووي صاحب المدونة التي سوف يكون البحث مُناطاً بها، وسأبدأ بالحديث عنه، والترجمة له، وذلك من خلال المحاور التالية :

أولًا: اسمه ولقبه وكنيته وشهرته ونسبته:

هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حُسَيْن بن حزَام ابْن مُحَمَّد بن جُمُعَة النَّوَوِيّ الشَّيْخ الإِمَام الْعَلامَة محيي الدّين أَبي زَكَرِيَّا(١) شيخ الْإِسْلَام(٢).

ويلقبه جمهور مترجميه (محيي الدين)، وكان الشيخ الإمام يكره هذا اللقب؛ تواضعاً لله تعالى، وخوفاً من الدخول في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾(٣)، أو أن الدِّين حيٌّ، ثابتٌ، دائمٌ، غير محتاج إلى مَن يحييه، حتى يكون حجةً قائمةً على مَن أهمله أو نبذه. بل صح عنه أنه قال: "لا أجعل في حِلّ مَن لقبَني "مُحيي الدين"(٤).

أما شهرته بالنووي: نسبة لنوى، والنسبة إليها بحذف الألف على الأصل، ويجوز كتبها بالألف على العادة(٥). وأما نسبته: (الحِزَامي)؛ فهي بالحاء والزَّاي إلى جدِّه المذكور حزام. وحزام جده؛ نزل في الجولان بقرية (نوى) على عادة العرب فأقام بها، ورزقه الله ذرية، إلى أن صار منهم خلق كثير(٦).

---

(١) هذه كنيته، و كني بـ (زكريا) لأنه لم يتزوج. انظر : ابن العطار علي بن إبراهيم بن داود أبو الحسن علاء الدين، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، عمان – الأردن، الدار الأثرية، ٢٠٠٧م ، ص٣٩.

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، طبقات الشافعيين، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٣م (٨/ ٣٩٥).

(٣) سورة النجم، آية رقم (٣٢).

(٤) انظر : لابن العطار، تحفة الطالبين، ص ٣٩.

(٥) المرجع السابق، ص٤١

(٦) المرجع السابق، ص٤٠

ثانيا: مولده ونشأته :

أما مولده، فهو في العشر الأوسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وست مئة[١]. ولد ونشأ في نوى، وكان يتوسم فيه النجابة من صغره، وقرأ بها القرآن[٢].

ثالثًا:طلبه للعلم:

تميَّز – رحمه الله تعالى – منذ صغره بحرصه على العلم، وتحصيله، واهتمامه به وفهمه، وحفظه للقرآن وحبه وقد ناهز الاحتلام[٣]، وبدأ في محبته للعلم في سن مبكرة، فقد ذكر المراكشي: أنه رأى الشيخ محيي الدين –وهو ابن عشر سنين– بنوى، والصبيان يُكْرِهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته[٤].

ومما يدل على شدة تعلقه بالعلم منذ نعومة أظفاره اختلافه وتفرده عن أقرانه؛ فقد جعله أبوه في دُكَّان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشِّراء عن القرآن". قال: "فأتيتُ الذي يُقْرِئُه القرآن، فوصيتُه به، وقلتُ له: هذا الصبيُّ يُرْجى أن يكون أعلم أهل زمانه، وأزهدهم، وينتفع الناس به[٥].

فلما كان عمره تسع عشرة سنة؛ قدم به والده إلى دمشق سنة تسع وأربعين، فسكن المدرسة الرّواحية وبقي نحو سنتين لم يضع جنبه إلى الأرض، ومن علو همته في طلب العلم فقد حفظ كتاب "التنبيه[٦]" في نحو أربعة أشهر ونصف، وحفظ رُبعَ العبادات من "المهذب" في باقي السنة[٧].

---

(١) انظر : ابن العطار، تحفة الطالبين، ص ٣٩ . وانظر : السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى ، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ ، (٨/ ٣٩٧) .

(٢) طبقات الشافعيين، ابن كثير، (١/٩١٠).

(٣) انظر : السبكي، طبقات الشافعية، (٨/ ٣٩٦).

(٤) انظر: ابن العطار ، تحفة الطالبين، (١/ ٤٤). السبكي، طبقات الشافعية ، (٨/ ٣٩٦).

(٥) انظر: ابن العطار، تحفة الطالبين، (١/ ٤٤)

(٦) هو كتاب في الفقه الشافعي يقع في مجلد واحد، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، تحقيق : مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، الناشر: عالم الكتب ١٩٨٣م .

(٧) انظر : ابن العطار، تحفة الطالبين، (١/ ٤٤)

وقال النووي عن نفسه: « كنتُ أقرأ كلَّ يومٍ اثني عشر درساً على المشايخِ؛ شرحاً وتصحيحاً: درسين في "الوسيط"، ودرساً في "المهذَّب"، ودرساً في "الجمع بين الصحيحين"، ودرساً في "صحيح مسلم"، ودرساً في "اللمع" لابن جني في النحو، ودرساً في "إصلاح المنطق" لابن السِّكِّيت في اللغة، ودروساً في التصريف»(١) .

رابعًا: أهم شيوخه(٢) :

لقد تتلمذ الإمام النووي على أيدي مشايخ عظام، وعلماء فضلاء، وفقهاء أجلاء، منهم:

١. إسحاق المغربي: يقول النووي عن نفسه: « وجعلتُ أشرح وأصحح على شيخنا الإمام العالم الزاهد الورع ذي الفضائل والمعارف أبي إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي الشافعي: ولازمته»(٣).
٢. الرضي بن برهان الدين سمع عليه جميع صحيح مسلم.
٣. شمس الدين ابن أبي عمر ابن الشيخ عماد الدين ابن الحرستاني.
٤. محمد بن أحمد المقدسي، وهو أجل شيوخه. المتوفى سنة (٦٨٢ هـ).
٥. سمع من إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر. المتوفى سنة(٦٧٢ هـ)
٦. أحمد بن عبد الدائم. المتوفى: سنة (٦٦٨ هـ)
٧. خالد النَّابلسي. المتوفى سنة (٦٦٣ هـ).
٨. عبدالعزيز الحموي الأنصاري. المتوفى سنة(٦٦٢ هـ).
٩. الحسن بن محمد. هو أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري التيمي الصوفي البكري .
١٠. عبدالكريم بن عبدالصمد. المتوفى بمصرسنة (٦٦٢ هـ).
١١. عبدالرحمن الأنباري. هو جمال الدين عبد الرحمن بن سالم بن يحيى الأنباري ثم الدمشقي الحنبلي. المتوفى سنة (٦٦١هـ)
١٢. إبراهيم بن علي الواسطي. تقي الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل بن الواسطي الصالحي الحنبلي، المتوفى بدمشق سنة (٦٩٢ هـ).

---

(١) ابن العطار، تحفة الطالبين، (١/ ٤٩).
(٢) انظر : السبكي، طبقات الشافعية ، (٨٢٥/٢ وما بعدها) . وانظر : ابن العطار، تحفة الطالبين، (١/ ٦٢)
(٣) ابن العطار، تحفة الطالبين ، (١/ ٤٧).

خامسًا: أهم تلامذته[١] :

سمع من النووي خلقٌ كثيرٌ؛ من العلماء، والحفَّاظ، والصُّدور، والرؤساء، وتخرج به خَلْقٌ كثيرٌ من الفقهاء، وسار علمُهُ وفتاويه في الآفاق، ووقع على دينِه وعلمه وزهده و ورعه ومعرفته وكرامته الوِفَاقُ، وانتفعَ الناسُ في سائر البلاد الإسلامية بتصانيفهِ، وأكبُّوا على تحصيل تواليفه، حتى رأيتُ مَن كان يشنؤها في حياته مجتهداً على تحصيلها والانتفاع بها بعد مماته، فرحمه الله، ورضي عنه، وجمع بيننا وبينه في جنَّاته[٢] .

ومن أشهر تلاميذه الإمام علاء الدين علي بن إبراهيم ابن العطار (ت ٧٢٤ هـ)، وهو أخصّ الناس به، وأقرب تلاميذه إليه، وأعرفهم به وبأحواله[٣].

ومن أهم تلاميذه كذلك صدر الدين الدارانى، والقاضي محيي الدين الدرعي، وشهاب الدين الإربدي، أبو عبدالله محمد إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي، وأبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن الدمشقي المعروف بالحافظ المزي؛ ومحمد بن أبي الفتح البعلبكي، وأحمد بن فرح اللخمي الإشبيلي، وغيرهم كثير[٤] .

سادسًا: تقواه وزهده[٥] :

وقد كان رحمه الله على جانب كبير من العلم والزهد والتقشف والاقتصاد في العيش والصبر على خشونته، والورع الذي لم يبلغنا عن أحد في زمانه، ولا قبله بدهر طويل، فكان لا يدخل الحمام، ولا يأكل من فواكه دمشق لما في بساتينها من الشبه في ضمانها والحيلة فيه، صرح بذلك، وكان لا يأكل إلا أكلة واحدة في اليوم والليلة بعد عشاء الأخيرة ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السحر، ولا يشرب المبرد، ولم يتزوج قط، وكان قليل النوم، كثير السهر في العبادة والتلاوة والذكر والتصنيف، وكان أمارًا بالمعروف نهاء عن المنكر يواجه الأمراء والكبار والملوك بذلك ويصدع بالحق .

---

(١) انظر : ابن العطار، تحفة الطالبين، (١/ ٦٣ وما بعدها).
(٢) المرجع السابق، (١/ ٦٣).
(٣) صاحب كتاب: "تحفة الطالبين"
(٤) انظر: ابن كثير، طبقات الشافعية، (٨٢٦/٢).
(٥) المرجع السابق ، (٨٢٧/٢).

من أمثلة جرأته في الحق ونطقه به، فقد قام على الملك الظاهر في دار العدل في قضية الغوطة لما أرادوا وضع الأملاك على بستانها فرد عليهم ذلك، ووقى الله شرها بعد أن غضب السلطان، وأراد البطش به، ثم بعد ذلك أحبه وعظمه حتى كان يقول: أنا أفزع منه .

ومن أمثلة زهده في المال، وعرض الدنيا، وقد ولي الشيخ محيي الدين مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة سنة خمس وستين إلى أن توفي، ولم يتناول من معلومها فلسًا، ولم يقبل لأحد هدية إلا نادرًا وإنما كان يتقوت مما يأتيه من أبيه من نوى كعك وفطير، وكان يلبس ثوبًا حرانيا وعمامة سنجانية، وكان لا يؤبه له بين الناس وعليه سكينة .

سابعًا: ثناء العلماء عليه:

قال ابن العطار: «كان الشيخ محيي الدين رحمه الله سالكاً منهاج الصحابة ﷺ، ولا أعلم أحداً في عصرِنا سالكاً على منهاجهم غيره. وكتب شيخنا أبو عبد الله محمد بن الظهير الحنفي الأربليّ – شيخ الأدب في وقته– كتاب "العمدة في تصحيح التنبيه" للشيخ –قدس روحه– وسألني مقابلته معه بنسختي؛ ليكون له روايةً عنه مني، فلما فرغنا من ذلك؛ قال لي: "ما وصل الشيخ تقي الدين ابن الصلاح إلى ما وصل إليه الشيخ محيي الدين من العلم والفقه والحديث واللغة وعذوبة اللفظ والعبارة»[1] .

ثامنًا: أهم مؤلفاته[2] :

صنَّف رحمه الله كتباً في الحديث والفقه عمَّ النفع بها، وانتشر في أقطار الأرض ذكرها، من أهمها:

١– "إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق". طبع بمكتبة الإيمان بالمدينة النبوية سنة(١٤٠٨ هـ).

٢– "الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمات". طبع في الهند سنة(١٣٤٠هـ).

٣–"الأذكار من كلام سيد الأبرار". وهذا الكتاب طبع عدة طبعات.

٤–"الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام". وهو المعروف بالأربعين النووية.

٥– "الإيجاز في المناسك". طبع بحيدر آباد بالهند بعنوان "الإشارات".

---

(١) ابن العطار، تحفة الطالبين، (١/ ٦٩).

(٢) انظر : المرجع السابق، (١/ ٧٠ وما بعدها وما فيها من حواشي).

٦- "الإيضاح في المناسك". طبع ببيروت عن دار الكتب العلمية.

٧- "التبيان في آداب حملة القرآن". وهذا الكتاب طبع عدة طبعات .

٨- "التحرير في شرح ألفاظ التنبيه". طبع سنة(١٤٠٨ هـ) عن دار القلم بدمشق .

٩- "الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام". طبع بدمشق عن دار الفكر سنة (١٤٠٢ هـ) تحقيق أحمد راتب حمُّوش

١٠-"التيسير في مختصر الإرشاد في علوم الحديث". طبع أربع طبعات من آخرها عن دار الكتاب العربي ببيروت سنة (١٤٠٥ هـ).

١١- "رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين". طبع عدة طبعات وهو من أشهر كتبه على الإطلاق.

١٢- "العمدة في تصحيح التنبيه". طبع بمصر سنة (١٣٢٩ هـ) كما في ذخائر التراث العربي الإسلامي، (١٨٨/٢)

١٣- "الفتاوى". طبع عدة طبعات ومنها طبعة عبدالقادر أحمد عطا في مصر سنة(١٤٠٢ هـ) بعنوان "المنثورات والمسائل المهمات"..

١٤- "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". (طبع عدة طبعات)

١٥ - مختصر التبيان في آداب حملة القرآن واسمه "مختار البيان". منه نسخة مخطوطة بدار (الكتب الظاهرية بدمشق).

١٦ - "مسألة الغنيمة". طبعت بتحقيق الشيخ مشهور بن حسن سلمان باسم "وجوب تقسيم الغنيمة".

هذه هي بعض مؤلفاته وغيرها الكثير، فلقد كان الشيخ مباركًا له في عمره على قصره، وفي علمه، وفي عمله التأليفي، فقد خلف لأمة الإسلام الكثير من هذه المؤلفات، ووضع الله لها القبول بين الناس .

تاسعاً : وفاتـه (١) :

قال الشيخ علاء الدين ابن العطار: سافر الشيخ إلى نوى وزار القدس والخليل وعاد إلى نوى وتمرض عند أبيه إلى أن توفي ليلة أربع وعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمئة، ودفن بنوى، وصلوا عليه بدمشق يوم الجمعة رحمه الله وإيانا، ورثاه غير واحد من الشعراء بِمَرَاثٍ جَمَّةٍ، منها قول الشاعر:

يا مُحْيِياً للدِّينِ بَعْدَ إمـــاتَةٍ ... ومؤيِّداً لـــــشريعــةٍ أسْماها

يا زاهِداً نِلْتَ المعالي والرِّضا ... يا عارِفاً عَيْبَ الدُّنا وفَنَاها

أَلجِنَّةِ الفِرْدَوْسِ بُشْرَى بالَّذي ... قَدْ حَلَّها طُوبَى لهُ سُكْناها

فالسُّنّـةُ الغَرَّاءُ تَبْكِي فَقْدَهُ ... إذْ مِنْ أَغاليطِ الرُّواةِ حَماها(٢)

رحم الله الشيخ رحمة واسعة لما قدم من خدمة للإسلام والمسلمين وأسكنه الفردوس الأعلى. . . اللهم أمين.

---

(١) انظر: ابن كثير، طبقات الشافعيين، (٩١٢/١).

(٢) انظر: ابن العطار، تحفة الطالبين، (١/ ١٤٧).

التعريف بكتاب "رياض الصالحين"

يعد كتاب "رياض الصالحين" من الكتب التي كتب الله لها القبول بين العلماء وطلاب العلم قديما وحديثا، وتقبلته الأمة، وأصبح من الكتب التي يتخذها الأئمة زاداً للمصلين بعد الصلوات المفروضة، ولا تخلو مكتبة علمية من هذا الكتاب، وسأبدأ _مستعينًا بالله _ بالحديث عن هذا الكتاب، وذلك من خلال المحاور التالية :

أولًا: منهج المؤلف فيه:

لقد سلك الإمام النووي في جمع كتابه "رياض الصالحين" مسلكًا يمكن أن يتضح من خلال قوله في مقدمة الكتاب: «وألتزم فيه أن لا أذكر إلا حديثا صحيحا من الواضحات، مضافا إلى الكتب الصحيحة المشهورات، وأصدر الأبواب من القرآن العزيز بآيات كريمات، وأوشح ما يحتاج إلى ضبط أو شرح معنى خفي بنفائس من التنبيهات. وإذا قلت في آخر حديث: متفق عليه، فمعناه: رواه البخاري ومسلم»[1].

وهذا المنهج يمكن شرحه من خلال النقاط التالية :

- **التزامه الصحيح، والمراد منه [2] :**

ولكن ما المراد بقول النووي "الصحيح" ؟ هل هو المصطلح الدارج عند المحدثين الذين يباين الحسن؟ أم هو الصحيح أي المقبول فيدخل فيه الحسن؟، يحتمل أن يراد من الصحيح في كلامه السابق المقبول كما تقدم فيشمل الحسن .

وفي فتاوي الحافظ ابن حجر العسقلاني التي جمعها تلميذه السخاوي : (مسألة) هل يطلق الصحيح على الحسن كما صنع النووي حيث قال في رياض الصالحين: وألتزم ألا أذكر إلا حديثاً صحيحاً مع ذكره فيه الحسن، فمراد النووي بقوله "الصحيح" أي المقبول، فيدخل فيه الصحيح، والحسن لذاته.

---

(١) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، المحقق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٨م ، (٢٨/١).

(٢) محمد علي بن محمد البكري الصديقي الشافعي ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، بيروت – لبنان ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م ، (٤٤/١).

■ **تصدير الأبواب بآيات الذكر الحكيم :**

أما قول الإمام اجعل صدرها وبدءها (من القرآن العزيز) فهو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد بقصد الإعجاز بقدر أقصر سورة منه المتعبد بتلاوته، ومن عزّته العجز عن الإتيان بقدر أقصر سورة منه (بآيات كريمات) أي: يجيء بها مناسبة للباب لتكون كالدليل وتعود بركتها على باقي مسائل الباب(١).

■ **بيان ما يحتاج إلى ضبط أو شرح معنى :**

فنجد في بعض حروف الكتاب مضبوطاً بنحو: «بالفوقية» أو «بالتحتية»، لبيان ما قد يشتبه من الحركات، أو شرح معنى للفظ (خفي)، لغموض دلالة اللفظ عليه، بأن يكون ذلك اللفظ مصروفاً عن ظاهره لمقتض، أو بأن يكون فيه غموض بحيث يعسر فهم معناه من مبناه إلا للعارف أو نحو ذلك .

■ **يقول: "متفق عليه" عند ورود الحديث في الصحيحين:**

فمعناه ما رواه البخاري ومسلم لا اتفاق الأئمة، قال ابن الصلاح؛ لكن يلزم من اتفاقهما اتفاق الأئمة عليه، لأن الأمة اتفقت على تلقيهم لما روياه بالقبول(٢).

ثانيا: موارد الكتاب:

استقى النووي كتابه من كتب كثيرة، كان أهمها ما صرح بالنقل منه، أو الأخذ عنه، ومنها :

١) موطأ الإمام مالك، لمالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي (المتوفى: ١٧٩هـ).
٢) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ).
٣) الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦هـ).
٤) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ).
٥) سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ).
٦) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ).

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، (١/٤٤).
(٢) المرجع السابق، (١/٤٥).

ثالثًا: ترتيب الكتاب ومضمونه وأبوابه:

لقد حرص الإمام النووي على أن يكون كتابه مشتملًا لأبواب الخير والهداية، فقسم الكتاب إلى كتب اشتملت هذه الكتب على أبواب، وكانت هذه الكتب تسعة عشر كتابًا على النحو التالي :

١. كتاب الأدب.
٢. كتاب الطعام.
٣. كتاب اللباس.
٤. كتاب آداب النوم والاضطجاع.
٥. كتاب السلام.
٦. كتاب عيادة المريض.
٧. كتاب آداب السفر.
٨. كتاب الفضائل.
٩. كتاب الاعتكاف.
١٠. كتاب الحج.
١١. كتاب الجهاد.
١٢. كتاب العلم.
١٣. كتاب حمد الله وشكره.
١٤. كتاب الصلاة على رسول الله.
١٥. كتاب الأذكار.
١٦. كتاب الدعوات.
١٧. كتاب الأمور المنهي عنها.
١٨. كتاب المنثورات و الملح.
١٩. كتاب الاستغفار.

ولقد اشتمل كل كتاب من الكتب السابقة على عدة أبواب، فكتاب الآداب مثلًا اشتمل على ستة عشر باب، على النحو التالي:

١. باب الحياء وفضله والحثِّ على التخلق به
٢. باب حفظ السر
٣. باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد
٤. باب الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير
٥. باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء
٦. استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب
٧. إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام
٨. الوعظ والاقتصاد فيه
٩. باب الوقار والسكينة
١٠. باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما
١١. باب إكرام الضيف
١٢. باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير
١٣. باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر
١٤. باب الاستخارة والمشاورة
١٥. باب استحباب الذهاب إلى صلاة العيد والرجوع من طريق آخر
١٦. باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم.

رابعًا: أهم شروح الكتاب :

١. من أول شروح الكتاب – على حد علمي – هو دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ).
٢. تطريز رياض الصالحين، لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ).

ثم صدر بعد ذلك عدة شروح حديثة :

٣. شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ٦.
٤. بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، لسليم بن عيد الهلالي أبو أسامة، الناشر: دار ابن الجوزي، سنة النشر: ١٤١٨ – ١٩٩٧، عدد المجلدات: ٣، رقم الطبعة: ٣
٥. منهل الواردين شرح رياض الصالحين للنووي، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٧هـ، ٢مج.

خامساً : أهم مختصرات الكتاب:

صدرت عدة مختصرات لكتاب رياض الصالحين، لعل من أهمها:

١. مختصر رياض الصالحين، يوسف النبهاني، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ١٤٠٢هـ.
٢. اتحاف المسلمين في تسهيل رياض الصالحين، محمد عبد الحميد مرداد، القاهرة، سنة (١٣٨٩هـ).
٣. المختار من رياض الصالحين، جمال الدين سيروان، جدة شركة النهضة الطبية، سنة (١٤٠٧هـ).
٤. قطوف من رياض السنة، دراسة تحليلية لأحاديث مختارة من رياض الصالحين، صالح أحمد رضا، دمشق، دار القلم، سنة (١٤١٠هـ).
٥. نواهي سيد المرسلين من كتاب رياض الصالحين، أحمد بادويلان، الرياض، دار طريق، سنة (١٤١٤هـ)

سادساً : أهم فهارس الكتاب:

أهم الفهارس الصادرة على كتاب رياض الصالحين، هي:

١. كنوز الباحثين، التراجم والفهارس التفصيلية لكتاب رياض الصالحين، لأحمد راتب حموش، بيروت، دار الفكر المعاصر، سنة (١٤١٣هـ).
٢. مفتاح الراحلين إلى رياض الصالحين، صفوة السقا، حلب، مطبعة البلاغة، سنة ١٣٩١هـ.

سابعاً: أهم تراجم الكتاب:

وقد تُرجم الكتاب للغة الأردية، بعنوان: "دليل الطالبين ترجمة وفوائد رياض الصالحين"، بقلم حافظ صلاح الدين يوسف، الباكستان، دار السلام، ١٤١٩هـ.

فلخدمة هذا المؤلف العظيم، والسفر الجليل دليل واضح على أن أمة الإسلام قد تلقته بالرحابة والقبول وأودع الله فيه يمنه وبركته. . .

التعريف ببلاغة النبي ﷺ

تعد البلاغة النبوية أعظم أنواع البلاغات الإنسانية، فهو ﷺ أُوتي جوامع الكلم، ومن هذا المنطلق سوف أتحدث هنا عن بلاغته ﷺ من خلال، النقاط التالية :

أولًا: في وصف كلام النبي ﷺ :

من المعلوم أن بلاغة النبي ﷺ من أبرز مظاهر عظمته، وأجلى دلائل نبوته، فهو عليه الصلاة والسلام صاحب اللسان المبين والمنطق المستقيم، والحكمة البالغة والكلمة الصادقة، والمعجزة الخالدة. وقد زكى الله تعالى نطقه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾(١)، وقال سبحانه : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِين*بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِين﴾(٢).

ويقول النبي ﷺ عن نفسه – ذاكرًا لنعمة الله عليه –: « فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وَخُتِمَ بي النبيون»(٣). ويعقب النووي: على هذا الحديث قائلًا: « وَكَلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني»(٤) .

تلك البلاغة التي يقول عنها الرافعي: « هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدةً ممنوعة»(٥).

---

(١) سورة النجم، الآيات: (٣ – ٤).

(٢) سورة الشعراء، الآيات: (١٩٣ – ١٩٥).

(٣) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ. المحقق: مجموعة من المحققين، بيروت، دار الجيل – الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول ، ١٣٣٤ هـ (٢/ ٦٤)، برقم (١١٠٣)، كتاب: الصلاة، باب: جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا .

(٤) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٢هـ ، (٥/ ٥).

(٥) الرافعي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م ، (١/ ١٩٣).

ثم يتحدث الرافعي عن ألفاظ النبوة واصفًا إياها قائلًا: « ألفاظ النبوة يعمرها قلبَ متصلَ بجلال خالقه، ويصقِلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، مُحكمَة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفصولة. وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبضُ قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطرهﷺ»(١).

ثانيًا: أهم سمات أسلوب النبي ﷺ :

يمكن الحديث عن أهم سمات الأسلوب النبوي من خلال ما يلي:

١. التعبير:

يكفي في وصف تعبير النبي ﷺ وصف رب العزة ﷻ له؛ فقد قال الله تعالى – حكاية على لسان نبيه – : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (٢)، يقول الطاهر بن عاشور تعقيبًا على هذه الآية: « وما أنا من المتكلفين أفاد انتفاء جميع التكلف عن النبي ﷺ»(٣)، لذا فلقد كان بيانه سهل المأخذ قريب المتناول موجز العبارة لو عده العاد لأحصاه؛ حتى ليظن السامع أن بالإمكان محاكاته.

ويصف الجاحظ كلام النبي وتعبيراته قائلًا: « فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أهل التقعير، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُيّد بالتأييد، ويسر بالتوفيق»(٤).

---

(١) الرافعي مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، (١/ ١٩٣).

(٢) سورة ص، آية رقم (٨٦).

(٣) ابن عاشور محمد الطاهر التونسي ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تونس، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م ، (٢٣/ ٣٠٨) .

(٤) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي الشهير بالجاحظ ، البيان والتبيين، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ، ١٤٢٣هـ (٢/ ١٣) .

٢. الإيجاز المحكم:

أما عن الإيجاز، فقد قال النبي ﷺ عن نفسه: « أُعْطِيتُ جوامع الكلم » وقد تنافس أدباء الأمة في وصف كلامه ﷺ بأحكم العبارات، فهذا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" واصفًا كلامَ رسولِ اللهِ ﷺ قائلًا: «هو الكلام الذي قَلَّ عددُ حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة»(١).

لذا تميز ﷺ بالإيجاز المحكم الذي لا ينافيه التكرار في بعض المواقف، ومن هنا اشتهر ﷺ بجوامع الكلم، وهي كل جملة قصيرة تضم معنى كبيراً مثل : « إنما الأعمال بالنيات»(٢) و « الدين النصيحة»(٣) و « إن من البيان لسحراً»(٤) .

٣. الصناعة البيانية :

أما الصناعة البيانية، فهي فطرية لديه ﷺ في براعة استخدامه للصور البيانية والمحسنات البديعية في تعبيراته، هذه الصناعة يقول عنها الرافعي: «حسن المعرِض، بين الجملة، واضحَ التفضيل، ظاهِرَ الحدود جيدَ الرصفِ، متمكن المعنى؛ واسع الحيلة في تصريفه، بديعَ الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراهاً، ولا ترى اضطراباً ولا خطلاً، ولا استعانة من عجز، ولا توسعاً من ضيق، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه. »(٥) .

وكثر عنده ﷺ التمثيل، وهو أرقى ما يعرف من صور البيان، وإذا جاء في أعقاب المعاني كساها حسناً ورفع قدرها، ومثاله قوله ﷺ: " إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت »(٦).

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، (٣٠٩/٢٣).

(٢) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري،. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر:دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ، (١/ ٦)، برقم (١).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"، (١/ ٥٣)، برقم(١٠٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه"، (٧/ ١٩)، برقم(٥١٤٦)، كتاب: النكاح، باب: الخُطْبَةِ.

(٥) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (١/ ٢٢٢).

(٦) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ، موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، مَزِيَدة منقحَة، روية محمد بن الحسن الشيباني، (١/ ٧٦) .

٤. الصناعة اللغوية:

أما عن لغته وألفاظه، فقد اتسمت بالإحكام، مع الانسجام في التركيب، دون تكلف استدعاء؛ يقول الرافعي عن صنعته ﷺ اللغوية: « مُسددَ اللفظ مُحكم الوضع جزل التركيب متناسِب الأجزاء في تأليف الكلمات: فخم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً؛ ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرُها أتم منها أداة للمعنى وتأتياً لسره في الاستعمال»(١).

ثالثا: نماذج من بلاغة النبي ﷺ في الحديث النبوي:

١- قال ﷺ عن الإحسان: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٢). قال النووي تعقيبًا على هذا الحديث في شرحه على مسلم: « هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره »(٣) .

٢- قَالَ ﷺ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» . قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه على مسلم: « هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام كما سنذكره من شرحه ... »(٤) .

٣- قال ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا، أو ليسكت»(٥). وقد وصف الحافظ ابن حجر كلام النبي ﷺ في هذا الحديث قائلًا: «وهذا من جوامع الكلم لأن القول كله إما خير وإما شر وإما آيل إلى أحدهما فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها فأذن فيه على اختلاف أنواعه ودخل فيه ما يؤول إليه وما عدا ذلك مما هو شر أو يؤول إلى الشر فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت »(٦).

---

(١) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (١/ ٢٢١).
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، (١/ ٢٩)، برقم(١)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان
(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، (١/ ١٣١).
(٤) المرجع السابق.
(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه"، (١/ ٤٩)، برقم(٨٣)، كتاب: الإيمان، باب: إكرام الجار الضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير ذلك كله من الإيمان.
(٦) العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت ، دار المعرفة ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ١٣٧٩هـ ، (١٠/٤٤٦).

هذا جانب يسير جدًا يعد قطرةً من غيث بلاغته ﷺ، وسوف يتضح ذلك الأمر من خلال ذكر مزيد من الروايات الحديثية في الجانب التطبيقي من البحث .

بين الدلالة والتداولية

أولاً : الدلالـــة وخصائص العربية

اللغة هي وعاء الفكر الإنساني، وحاملة الحضارة الإنسانية إلى الأجيال المتعاقبة، فحتى بعد أن يدور الزمان دورته وتندثر حضارة وتزهر أخرى فإن الحضارة الدارسة تبقى آثارها مخلدة بواسطة اللغة التي تحملها وتحمل إبداعها وفلسفتها وأفكارها إلى أبناء الحضارة الجديدة لكي يستكملوا البنيان الحضاري العام للتاريخ الحضاري .

تعد اللغة العربية من أقدم اللغات الحية، وعلى اختلاف بين الباحثين حول عمر هذه اللغة؛ لا نجد شكاً في أن العربية التي نستخدمها اليوم عاشت ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة، وقد تكفّل الله – سبحانه و تعالى– بحفظ هذه اللغة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

ومذ عصور الإسلام الأولى انتشرت العربية في معظم أرجاء المعمورة وبلغت ما بلغه الإسلام من انتشار وتوسع وارتبطت بحياة المسلمين وذلك لملازمتها لفهم النص الديني الذي من خلال هذا الفهم تبنى الأحكام الدينية التي بها تستقيم الحياة بشتى صورها، فهي لغة الدين والعبادة فضلاً عن كونها لغة العلم والأدب والسياسة والحضارة .

لذا فإن أهمية اللغة العربية تنبع من ارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي و القرآن الكريم والحديث النبوي وفهم ما يحتويه القرآن الكريم والسنة المطهرة من دلالات ومعاني، و من هذا المنطلق ندرك عميق الصلة بين العربية و الإسلام والتي أضحت من أركان شخصيتنا، فيحق لنا أن نفتخر و نعتز بها و يجب علينا أن نذود عنها و نوليها عناية فائقة.

ومن أوجه هذه العناية المحافظة على سلامتها و تخليصها مما قد يشوبها من اللحن و العجمة، و علينا أن لا ننظر إليها بوصفها مجموعة من الأصوات و جملة من الألفاظ والتراكيب، بل يتعين علينا أن نقف على ما تحويه من سعة في الدلالات والتراكيب والمعاني، كما يجب علينا أن نعتبرها كائناً حياً، فنؤمن بقوتها و غزارتها ومرونتها وقدرتها على مسايرة التقدم في شتى المجالات .

(١) سورة الحجر، آية رقم(٩)

إنه من العدل أن نقف – وبشكل مقتضب– على بعض خصائص ومؤهلات تميزت بها العربية وانفردت بها، فليست العربية فقط أصوات تؤدي وظائف اجتماعية وفق سياق اجتماعي وثقافي لها دلالاتها ورموزها الخاصة، بل تعدى ذلك إلى كون العربية أصبحت كائناً حياً ينمو ويتطور ككل اللغات، ويخضع لظروف تاريخية وحضارية معينة، الأمر الذي أدى إلى انفراد العربية بميزات وخصائص ومؤهلات دلالية خاصة، فمحاولة "الكشف عن أسرار اللغة العربية والوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتها، ومعرفة سر تطورها، ودراسة ظواهرها المختلفة، دراسة تاريخية من جانب، و وصفية من جانب"(١)، هو من صميم علم (فقه اللغة العربية) الذي يعنى بخصائص اللغة العربية ويكشف لنا أفقاً واسعاً من المميزات والخصائص الخاصة باللغة العربية. يقول علي عبد الواحد وافي "بأن من أهم ما تمتاز به العربية أنها أوسع أخواتها السامية ثروة في أصول الكلمات والمفردات. فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها، وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول، وأنه تجمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها، ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال... ما لم يجتمع مثله للغة سامية أخرى، بل ما يندر وجود مثله في لغة من لغات العالم"(٢).

وإذا أردنا أن نكمل حديثنا عن خصائص ومؤهلات اللغة العربية فإننا نتحدث عن البناء الداخلي للغة العربية وما يميزها من قواعد وأصول تنهض عليها العربية سواء كان من الناحية النحوية أو الصرفية أو الصوتية أو البلاغية أو المعجمية وكل ما يتعلق بفقه اللغة وعلومها .

وأول خاصية من خصائص اللغة العربية ظاهرة الإعراب والتي يراها جميع النحاة العرب أنها تدل على المعاني المختلفة التي تعتور الأسماء، من فاعلية أو مفعولية أو إضافة أو غير ذلك، يقول أبو القاسم الزجاجي في ذلك : "فإن قال قائل: قد ذكرت أن الإعراب داخل في الكلام فما الذي دعا إليه، واحتيج إليه من أجله؟ فالجواب: أن يقال: إن الأسماء لما كانت تعتورها، المعاني وتكون فاعلة ومفعولة، ومضافة، ومضافاً إليها، ولم يكن في صورها، وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جُعِلَتْ حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيد عمراً، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به. وقالوا: ضُرب زيدٌ؛ فدلوا بتغيير أول الفعل، ورفع زيد على أن الفعل ما لم يسمَّ فاعلُه، وأن المفعول قد ناب منابه. وقالوا: هذا غلام

(١) عبدالتواب رمضان ، فصول في فقه العربية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م ، ص٩ .
(٢) وافي علي عبد الواحد ، فقه اللغة ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ٢٠٠٤م ص١٣١ .

زيد؛ فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه. وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها؛ ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إذا أرادوا ذلك، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالةً على المعاني"(١).

كما أننا نجد أن كلمات اللغة العربية بنيت و وضعت على ثلاثة أحرف، و قليل منها أصله رباعي أو خماسي لكيلا يطول النطق و يعسر، فلم يكثروا من الألفاظ الثنائية خشية تتابع عدة كلمات في العبارة الواحدة فيضعف متن الكلام و يحدث فيه ما يشبه التقطع .

لذا وجد في العربية (الاشتقاق) وهو "توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها غلى أصل واحد، يحدد مادتها، ويوحى بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد"(٢)، والذي يعد أحد وسائل نمو اللغة العربية واتساعها. ولعل (الاشتقاق) — مهما كانت أنواعه وضروبه واختلاف المحدثين من علماء اللغة فيه – أحد أهم أسرار ثراء مفردات اللغة العربية وتنوع دلالاتها ومعانيها والتي تمكننا من التعبير عن الجديد من الأفكار، والمستحدث من وسائل الحياة. و هو كذلك من أكثر روافد اللغة و توسعها أهمية، و من أبرز خصائص اللغة العربية.

لقد غنيت اللغة العربية بكثير من المفردات، حتى أنه تعددت المفردات الدالة على معنى واحد، وهو ما يسمى بـ(الترادف)(٣)، وهو اختلاف اللفظ واتحاد المعنى، أو هو إطلاق كلمتين أو عدة كلمات على مدلول واحد، كالأسد والسبع والليث وأسامة التي تعني مسمى واحد(٤)، فالمعنى الواحد وضعت له ألفاظ متعددة، لتكثير وسائل التفاهم و حتى يجد المتكلم سهولة و عدم توقف أثناء الخطاب فإذا غاب عنه لفظ حضر البديل فكان بوسعه أن يأتي بمرادفه، و إذا كان لا يستطيع النطق بكلمة لجأ إلى كلمة مرادفه لها ، كذلك من صور ثراء معاني اللغة العربية تعدد

(١) أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق : مازن المبارك ، بيروت ، دار النفائس ، ١٩٧٩م ص٦٩ .
(٢) الصالح صبحي، دراسات في فقه اللغة ، بيروت .لبنان، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٤م، ص١٧٤ .
(٣) وقد كان للعلماء الباحثين في هذه المسألة مواقف متباينة فمنهم من أثبت وجود الترادف دون قيود و هم الأكثرية، و هناك من أنكر و جود هذه الظاهرة إنكاراً تاماً موضحاً أن هناك فروقاً ملموسة في المعنى، و هناك فريق ثالث أثبت الترادف لكنه قيده بشروط أقرب ما تكون إلى إنكاره . انظر: في فصول في فقه العربية حول قضية الترادف ، ص٣٠٩ وما بعدها .

(٤) انظر : إميل يعقوب ، المعجم المفصل في مصطلحات اللغة العربية ، ص٢٢١

معاني اللفظة الواحدة كما عرفها الأصوليون (اللفظ المشترك) أو (المشترك اللفظي) و هو "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر"(١).

فالترادف والاشتراك اللفظي في اللغة العربية من الظواهر اللغوية التي غنيت بها العربية، واستعانت بها لإيصال المعاني والدلالات بطرق وصور مختلفة، وكان لهاتين الظاهرتين أسباب ساهمت في ظهورهما(٢)، واللتان تعدان مظهراً من مظاهر الثراء اللغوي في اللغة العربية وسبباً في اتساع معجمها.

ومن ميزات اللغة العربية أيضاً، وجود (التضاد) و هو ضرب من ضروب الاشتراك إذ يطلق اللفظ على المعنى و نقيضه مثال ذلك : الحميم : الماء البارد و الحار ،المولى : السيد و العبد ، الرس : الإصلاح و الفساد ...الخ.

ومن أهم أسباب ثراء اللغة العربية وجود التوليد والنحت، فالتوليد فهو لفظ عربي البناء أعطي في اللغة الحديثة معنى مختلفاً عما كان العرب يعرفونه، مثل : الجريدة، المجلة، السيارة، الطيارة ... الخ. والنحت: يعرف بأنه انتزاع كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر تدل على معنى ما انتزعت منه كالبسملة من قولنا (بسم الله الرحمن الرحيم)، أو حر فين مثل : (إنما) من إن و ما ...الخ.

ولا يمكن لنا أن نغفل الخصائص الصوتية للغة العربية، والتي تتمثل في سعة مدارجها الصوتية، والانسجام الصوتي بينها مع توازن و ثبات، بالإضافة إلى الرابطة القوية بين ألفاظها، و لكل صوت من اللغة العربية صفة ومخرج و إيحاء و دلالة و معنى داخل و إشعاع و صدى و إيقاع أكسبها خصائص صوتية فريدة .

(١) السيوطي عبدالرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة ، صيدا . بيروت ، المكتبة العصرية ، ٣٦٩/١ .

(٢) انظر : عبدالتواب رمضان ، فصول في فقه العربية ، ص٣١٦ وما بعدها .

مساهمة العلماء العرب في البحث الدلالي :

لقد استقطبت اللغة اهتمام المفكرين منذ أمد بعيد، لأن عليها مدار حياة مجتمعاتهم الفكرية والاجتماعية، وبها قوام فهم كتبهم المقدسة، لذا لا يمكن لنا أن نقول بأن التفكير الإنساني والعربي على وجه الخصوص في مجال اللغة يخلو تماما من أي محاولات أو دراسات تهتم بالدلالة، بل على العكس من ذلك نجد العصور المتقدمة في الفكر العربي تزخر بمجموعة من الأعمال والأبحاث التي تعد من صميم البحث الدلالي، ذلك أن الاهتمام باللغة عموما و بالدلالة خصوصا بدأ منذ أن حصل للإنسان وعي لغوي. فنتاج الفكر العربي وجهوده في البحث الدلالي كبيرة وكثيرة، بل تعد تلك المجهودات هي نواة الأبحاث اللغوية والدلالية الحديثة.

فمن الملاحظ أن مؤرخي اللسانيات أغفلوا تلك المساهمات الرائدة للعلماء العرب في مجال البحث اللغوي والدلالي، و لولا هذه الغفلة أو الثغرة –كما يسميها عبد السلام المسدي – لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم، بل لعلها تكون قد أدركت ما قد لا تدركه إلا بعد أمد(١).

وإن هذه الغفلة لها ما يسوغها — على الأقل من وجهة نظر مؤرخي اللسانيات– وهو أن نظرية العرب اللغوية والدلالية لم تكن واضحة المعالم بشكل دقيق، وإنما وردت موزعة و مبثوثة في بطون الكتب وفي خبايا التراث الحضاري العربي بمختلف أصنافه ومشاربه، والأبحاث الدلالية في الفكر العربي التراثي لا يمكن حصرها في حقل معين من الإنتاج الفكري بل هي تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم لأنها "مدينة للتحاور بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه والتفسير والنقد الأدبي والبيان"(٢)، وهذا التلاقح بين هذه العلوم النظرية واللغوية هو الذي أنتج ذلك الفكر الدلالي العربي، ويمكن رصد ذلك من خلال نتاج الفلاسفة واللغويين وعلماء الأصول والفقهاء والأدباء، "فالبحوث الدلالية العربية تمتد من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها، وهذا التأريخ المبكر إنما يعني نضجاً أحرزته العربية وأصّله الدارسون في جوانبها "(٣) .

(١) انظر : المسدي عبدالسلام ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، تونس ، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م ، ص١٢ وما بعدها.
(٢) أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٨م ، ص٥ .
(٣) الداية فايز ، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ، بيروت–لبنان ، دار الفكر المعاصر ، ١٩٩٦م ، ص٦ .

إن الدرس الدلالي في التراث العربي يدور في فلك العلوم التي كانت تهدف إلى فهم القرآن الكريم، واستنباط دلالاته، واقتباس طرائقه في الإنشاء والتعبير، ويمكن أن نلمس هذا الاهتمام بالدلالة- لدى المتقدمين من العلماء العرب- في ميادين مختلفة من المعارف والعلوم كالمنطق والفلسفة، وأصول الفقه، والتاريخ، والنقد، وغيرها من العلوم التي تخدم و تصب في مصلحة فهم القرآن الكريم، لذا يعد مبحث المعنى و الدلالة، من المباحث اللغوية التي حظيت بمكانة متميزة في التفكير العربي، فمن الملاحظ أن العلوم اللغوية عامة تأثرت بعلوم الدين و خضعت لسلطانها، فالأعمال اللغوية والدلالية الأولى كانت بدافع الدين، ومنها تتبع معاني الغريب في القرآن الكريم و الحديث الشريف، و البحث في مجاز القرآن، ومن ذلك أيضا ضبط المصحف بالشكل، فهذا في حد ذاته يعد في حقيقته عملا دلاليا لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة، وبالتالي إلى تغيير دلالتها، فكانت هذه الأعمال عامة تهدف إلى فهم الدين فهما صحيحاً .

ومن أولى الأعمال الدلالية عند العرب إنشاء الرسائل الدلالية التي كانت بمثابة إرهاصاً ونواة لظهور العمل المعجمي والدلالي المنظم ويمثله الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت١٧٤هـ) في معجمه العين، لأن معجم الخليل هو بمثابة نتاج للفكر الدلالي الذي كان يحمله الخليل، كما لا يفوتني أن أذكر ما جاء به الشافعي (ت٢٠٤) في رسالته لكونه أول من سن قواعد عامة لاستنباط الأحكام والدلالات من القرآن الكريم، معتمداً أساساً على القياس والفهم العميق لمعاني اللغة العربية، ثم توالت الجهود و الأعمال، لتقدم لنا نتاجاً متقدماً أفادت منه الدراسات والأبحاث الدلالية الحديثة.

كما نجد الجاحظ (ت٢٥٥هـ) قد طرق باب الدلالة في كتابيه (البيان و التبيين) و (الحيوان) في عدة مباحث لها ارتباط وثيق بمبحث الدلالة، حيث يقول في البيان والتبيين "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، ولا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"(١). و قد تحدث عن تساوي القدر بين اللفظ و المعنى، يقول في هذا الصدد : "وإنما الألفاظ على أقدار المعاني فكثيرها لكثيرها وقليلها لقليلها و شريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها و المعاني البائنة بصورها و جهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة و الجهات الملتبسة "(٢) .

(١) الجاحظ ، البيان التبيين ، ١٥٥/١
(٢) الجاحظ ، الحيوان ، ٨/٦

وتحدث أيضاً عن أصناف الدلالات و جمعها في خمسة أصناف ، يقول :"و جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد ، أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة.....ولعل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبتها وحيلة مخالفة لحيلة أختها وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير"(١) .

ويتبين لنا بأن البلاغة عند الجاحظ تهدف إلى حسن الإبلاغ بوسائل مختلفة ذات نسق تنظيمي محكم وهو بذلك يؤسس ضمنياً لمفاهيم لسانية و دلالية عامة تراعي بشكل دقيق أوضاع المستمع ،و يلخص الجاحظ كل هذا بقوله: "و على قدر وضوح الدلالة و صواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع "(٢) .

ومن وجوه اعتناء العرب بعلم الدلالة ربط ابن جني (ت٣٩٢هـ) تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد، و الحقيقة أن ابن جني من خلال ما قدمه للبحث اللغوي يعد من زمرة أعظم العلماء الذين ساهموا مساهمة جليلة في هذا الميدان، فهو قد طرق أبوابا لا عهد للناس بها، و من ذلك حديثه عن أصول الاشتقاق و مناسبة الألفاظ للمعاني و منها أيضا تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ، أي تقارب الدلالة لتقارب حروف اللفظ ، فابن جني يرى أن الألفاظ المتقاربة صوتيا تكون متقاربة في الدلالة و مثاله في ذلك تؤزهم في قوله تعالى :﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾(٣)، يقول ابن جني : تؤزهم أزا : أي تزعجهم و تقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزا والهمزة أخت الهاء في المخرج، فتقارب المعنيين لتقارب اللفظين، كما اعتنى ابن فارس (ت٣٩٥هـ) في معجمه المقاييس بربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.

ولقد وصلت مساهمة علماء البلاغة ذروتها مع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، بالإضافة إلى مجموعة من أرائه التي عرضها سواء في كتابه أسرار البلاغة أو كتابه دلائل الإعجاز.

كما تمثلت دراسة الدلالة عند ابن قتيبة (ت٢٧٦) وذلك من خلال بحث المجاز في ضوء القرآن في كتابه " تأويل مشكل القرآن"، إلى أن بدأت تأخذ أكثر نضجاً وبدأت تظهر بشكل واضح في دراسة علماء البلاغة للحقيقة و المجاز كما جاء به الزمخشري (ت٥٣٨) في معجمه أساس البلاغة حيث فرق بين المعاني الحقيقية و المعاني المجازية. كما اهتم كثير من علماء البلاغة بدراسة كثير من الأساليب البلاغية الإنشائية منها والطلبية .

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١/ ٧٦

(٢) السابق : ١/ ٧٥

(٣) سورة مريم ، آية رقم (٨٣)

كما اهتم علماء الأصول بدراسة المعنى لأن همهم هو استنباط الأحكام الشرعية من النصوص القرآن والسنة، فكان اهتمامهم بالمباحث اللغوية ومنها الدلالية ناتج عن طبيعة حقلهم الدلالي الذي يتطلب منهم الإلمام بجميع نواحي اللغة تقريباً، وهكذا نجدهم قد تعرضوا لعدد من المباحث الدلالية في مؤلفاتهم منها، العلاقة بين اللفظ و المعنى و مبحث الحقيقة و المجاز والاشتراك اللفظي والترادف والعام والخاص، إلى غير ذلك من المباحث التي تعد من صميم البحث الدلالي .

لذا نجد بأن أقدم ما وصلنا مكتوباً في علم أصول الفقه هو كتاب "الرسالة" للشافعي(ت٢٠٤هـ) يُجمع على ذلك العلماء المحدثون والأقدمون على السواء، وكان الكتاب محاولة لوضع قواعد لفهم النصوص القرآنية وتحديد الدلالة المقصودة وفق منهج أظهر مافيه هو القياس الفقهي .

كما يعد الإمام الشافعي أول من وضع الأبواب الأولى لعلم أصول الفقه، بحيث بيّن العام من الألفاظ والخاص، كما أشار إلى طرق تخصيص الدلالة وتعميمها باعتماد القرائن اللفظية والعقلية، وكيفية استنباط الأحكام بالاعتماد على التحليل المستند على النقل، يقول الشافعي: و"رسول الله عربي اللسان والدار، فقد يقول القول عاماً يريد به العام، وعاماً يريد به الخاص"(١).

ويقول علي سامي النشار : "يجمع مؤرخو علم الأصول على أن أول محاولة لوضع مباحث الأصول كعلم نجدها عند الشافعي، وأنه لم يكن قبل هذا العهد ثمة محاولات لوضع منهج أصولي عام يحدد للفقيه الطرائق التي يجب أن يسلكها في استنباط الأحكام"(٢)، ولم ينفرد المحدثون من باحثي المسلمين أو من المستشرقين بهذا القول وحدهم، بل إن علماء المسلمين الأقدمين شاركوا فيه بحيث نرى إماماً عظيماً كابن حنبل (ت٢٤١هـ)، يقول: "لم نكن نعرف العموم والخصوص حتى ورد الشافعي"(٣) .

كما حاول الشافعي من خلال كتابه (الرسالة) أن يضع قواعد لفهم النص القرآني و تحديد دلالته المقصودة، وقد أشار ذلك إلى أن اتفاق العبارات لا يعني اتفاق المدلولات ،كما نجد إشارات في رسالته تبين دور السياق في تحديد معنى اللفظ، حتى أنه وضع بابا سماه "الصنف الذي يبين سياقه معناه"(٤) .

---

(١) الشافعي محمد بن إدريس ، الرسالة، ص ٢١٣

(٢) النشار سامي ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، بيروت ، دار النهضة العربية ،١٩٨٤م ، ص٢٤.

(٣) الزركشي بدر الدين محمد بن عبدالله الشافعي ، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير ومراجعة : عمر الأشقر وعبدالستار أبو غدة ومحمد الأشقر، الكويت ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٩٩٢م ، (٣/ ٥) .

(٤) الشافعي ، الرسالة ، ص٦٢ .

أما الإمام أبو حامد الغزالي[1] (ت٥٠٥هـ) فقد وضع عدة أسس لفهم معاني النص الشرعي ودلالاته، و هذه الأسس و إن اختصت بالنص الشرعي فإنها يمكن أن تطبق أيضا في معاني ودلالات أي نص غير شرعي ما دام مصوغاً في لغة عربية، و قد تحدث الغزالي عن طرق تقسيم الدلالة فأجملها بقوله : "واللفظ إما أن يدل على الحكم بصيغته و منظومه أو بفحواه و مفهومه أو بمعناه ومعقوله وهو الاقتباس الذي يسمى قياسا، فهذه ثلاثة فنون المنظوم و المفهوم و المعقول"[2].

- **فالمنطوق** : ما دل عليه اللفظ في محل النطق ،أي يكون الحكم للمذكور و حالا من أحواله، فدلالة المنطوق هي دلالة اللفظ على حكم ذكر في الكلام و نطق به .

- **والمفهوم** : دلالة المفهوم هي دلالة اللفظ على حكم لم يذكر في الكلام و لم ينطق به، و نميز في دلالة المفهوم بين مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة .

- **والمعقول** : دلالة المعقول هي كل دلالة تستفاد من الخطاب عن طريق الاجتهاد العقلي في ضوء الكليات الشرعية.

وهذه هي طرق الدلالة عند المتكلمين من الأصوليين ، أما الحنفية فطرق الدلالة تنحصر عندهم في دلالة العبارة و دلالة الإشارة و دلالة النص و دلالة الاقتضاء .[3]

وكما كانت مساهمة أهل الأصول جليلة و أصيلة في مجال الدلالة، فإن مساهمة الفلاسفة لا تقل أصالة و دقة عن مساهمة الأصوليين، فالفارابي (ت٣٣٩هـ) مثلا يسجل له اهتمامه بالألفاظ و دلالتها خصوصا على مستوى الصيغة الإفرادية، أو ما يسمى حديثا بالدراسة المعجمية، حيث بين الفارابي بأن الألفاظ الدالة منها مفردة تدل على معان مفردة ومنها مركبة تدل على معان مفردة، وأن الألفاظ الدالة على المعاني المفردة ثلاثة أجناس : اسم و كلمة(فعل) وأداة(حرف)، و هذه الأجناس الثلاثة تشترك في أن كل واحد منها دال على معنى مفرد . وعموما يمكن أن نجمل تعريف الفارابي للبحث الدلالي بأنه الدراسة التي تنظم و تتناول الألفاظ و مدلولاتها، و تتبع الخطاب و التعبير لتقنينه و تقعيده . وإلى جانب الفارابي هناك فلاسفة أغنوا البحث الدلالي بمساهماتهم ومنهم القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ)، و ابن سينا(ت٤٢٧هـ) وابن رشد (ت٥٩٥هـ)، و غيرهم .

---

(١) محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، ولد في ٤٥٠هـ في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته وتوفي في ٥٠٥هـ. له "المستصفى" في الأصول، "إحياء علوم الدين" في الفقه. انظر: «الأعلام»، للزركلي، (٢٢/٧).

(٢) الغزالي محمد بن محمد ، المستصفى ، بيروت–لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م ، ص١٨١.

(٣) انظر : المرجع السابق ص١٨١.

تعريف علم الدلالة[١] :

هو العلم المختصّ بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والتَّراكيب اللُّغويَّة في سياقاتها المختلفة، لذا فإنه يمكن لنا دراسة الدلالة على مستويين اثنين، الأول مستوى اللفظ والآخر مستوى التراكيب .

وعلم الدلالة أحد فروع علم اللغة وأحدثها ظهوراً، ينهض على دراسة المعنى، أو دراسة دلالة الوحدات المعجمية، ولذا عُرِّف بأنَّه علمُ دراسة المعنى، كما عُرِّف أيضًا بأنه العلم الذي يهتم بدراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى، ومن ثم فهو أحد فروع علم الرموز، لذا فإن هذا التعريف يستلزم أن يكون موضوعُ علم الدلالة كُلَّ شيء يقوم بدَوْرِ العلامة أو الرمز، سواء أكانت العلامة لغوية أم غير لغوية[٢].

إذا فإن علم الدلالة هو العلم الذي يُعنى بدراسة المعنى وبدراسة العلاقة بين الرمز والمسمى، فهو يبحث في العلاقة بين الرمز وبين الأشياء في العالم الخارجي، وهو يبحث كذلك في كيفية دلالة الكلمات على معانيها أو الصلة بين اللفظ وصورته في الذهن، ومن هنا يكمن التعقيد في دراسة المعنى، لأنه يبحث في العلاقة بين اللغة أو الرمز وكل ما يحيط بها من عوامل وظروف خارجية عنها، فدراسة المعنى لا تقف عند دراسة اللفظ فقط بل ودراسة التراكيب ودلالة هذه التراكيب .

بالإضافة إلى أن الدلالة أحد مستويات النظام اللغوي لا يعني أن الدلالة منفصلة عن سائر المستويات؛ بل هي الخيط الذي تنتظم فيه سائر المستويات الأخرى من أجل إنتاج المعنى، "وهكذا تصبح الدلالة – بوصفها بنية لغوية – نظاما لشكل العلاقات من جهة، ونظاما لوظائفها من جهة أخرى"[٣] .

---

(١) علم الدلالة مصطلح حديث أول من وضعه العالم الفرنسي اللغوي (بريال) في سنة ١٨٩٧م ، وقد أسماه السيمانتيك (**semantic**) والتي أخذت من كلمة **sema** وتعني في اليونانية (علامة)، انظر : علم الدلالة ، أحمد مختار عمر، ص٢٢ .

(٢) انظر : فواز عيسى و د.رانيا فوزي عيسى ، علم الدلالة – النظرية والتطبيق ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠١١م، ص١٣-١٤. وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص٢٢ .

(٣) عياشي منذر ، اللسانيات والدلالة "الكلمة"، حلب، مركز الإنماء الحضاري ، ١٩٩٦م ، ص٤١.

إن الدرس الدلالي درس شامل لا يقتصر فقط على المستوى اللغوي بل يتعداه إلى دراسة كل رمز يؤدي دلالة أو معنى معين سواء كان هذا الرمز لغوي أو غير لغوي مثل الحركات والهيئات والصور والألوان وغير ذلك من الرموز التي تؤدي دلالة معينة وذلك من خلال التواصل الاجتماعي .

إن الهدف الأسمى لعلم الدلالة هو الوقوف على القوانين التي تغيّر المعاني وتطورها، والقواعد التي تسير وفقها اللغة، من أجل تحقيق التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة لتحقيق أقصى درجات الوضوح في فهم المعنى وذلك من خلال تداول هذه الدلالات من خلال الرموز اللغوية أو حتى غير اللغوية، فلو لم يتم تداول هذه الدلالات والمعاني بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة لن يتم التواصل بينهم بشكل تام. إذا تدُاول الرمز وتداول معناه شرط أساسي وشرط صحة في إقامة التواصل الاجتماعي، وهذا الأمر يقودنا إلى رأي أحد الباحثين وهو (ستيفن أولمان) صاحب الكتاب الشهير "دور الكلمة في اللغة" والذي يرى بأن هناك تقسيمين رئيسين لعلم الدلالة، أحدهما يهتم بالبناء الدلالي للكلمات المفردة ، أو بما يسمى بعلم الدلالة المصغر **MICRO SEMANTICS**، وهو يختص "بدراسة الكلمات المنفردة ومعرفة أصولها وتطورها التاريخي ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها "[1]، فهذا الفرع من علم الدلالة يهتم بدلالة اللفظ المفرد بغض النظر عن العلاقات بين الكلمات في الجملة الواحدة .

أما الفرع الآخر وهو الذي يهتم بدراسة العلاقات بين الكلمات ويطلق عليه اسم علم الدلالة الموسع **MACRO SEMANTICS**، وهذا الفرع يهتم بدراسة الكلمات ومعانيها وما يربط بينها من علاقات في إطار الجملة، وهو قد يلتقي في كثير من جوانبه بنظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني .

ومن الجدير بالذكر هنا أن هناك من عدَّ دراسة المعنى من أصعب الدراسات التي تواجه الباحث في علم الدلالة، وذلك يعود إلى عاملين مهمين هما[2] :

١. اختلاف الدارسين في تحديد المعنى .

٢. اختلاف مناهج النظر في المعنى وطرائق تحليله .

(١) ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ترجمة : أحمد مختار عمر ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٨م ص٤٤ .

(٢) كمال بشر، التفكير اللغوي ، ص٣٨-٣٩

وهذا الاختلاف في موضوع علم الدلالة وكيفية تناوله للمعنى وكيفية تحديده له، واختلاف مناهج النظر في المعنى وعدم الاتفاق على منهج معين ساهم وبشكل كبير في وجود صعوبات واجهت الباحث في علم الدلالة، لذا صُنفت دراسة المعنى على أنها من أصعب الدراسات اللغوية، لذلك فإننا نجد أن علم الدلالة بفروعه المختلفة قد شمل المناهج اللغوية بأكملها، فنجد علم الدلالة التاريخي الذي يدرس تغير المعنى من عصر إلى عصر، وعلم الدلالة الوصفي الذي يدرس المعنى في مرحلة معينة من مراحل اللغة، وكذلك علم الدلالة المقارن الذي يدرس المعنى بين لغتين أو أكثر يكون الاختلاف في الظاهر ولكنه في الحقيقة متفقتان في الشكل والمضمون وهما من أصل واحد أو من لغة واحده، وأخيراً علم الدلالة التقابلي الذي يدرس المعنى بين نظامين لغويين مختلفين ويقابل بينهما[١]، فتنوعت أقسام علم الدلالة بحسب تنوع مناهج البحث فيها .

وقد يتم الجمع بين الفرعين بحيث يتم دراسة المعنى على مستوى المفردات وعلى مستوى التراكيب ولكن في إطار اجتماعي معين ومن زاوية معينة وهي زاوية الاستعمال الحي في البيئة الخاصة، ومن خلال ذلك نجد بأن الدلالة تقترب من التداولية لذا فإن التداولية ما هي إلا تطور عن علم الدلالة .

أنواع الدلالات :

إن الدلالات على المعاني هي مجمل الإشارات الظاهرة التي تجسد المعنى الخفي، والتي بدونها لا يكون لحاجات الفكر المستترة وجود بيِّن، وهي التي حصرها الجاحظ في خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة [٢] .

ربما اكتسب اللفظ شحنة دلالية معينة من واقع المجتمع الذي تم تداول اللفظ فيه، وتطورت هذه الدلالة إلى درجة الالتزام (دلالة الالتزام) أو الاستلزام وهي إحدى نظريات الدرس التداولي، وهي الدلالة التي يتم اكتسابها بحيث تكون خارجة عن مفهوم اللفظ، كدلالة (الوطن) على الشعب، لأن وجود الوطن يستلزم وجود الشعب .

---

(١) انظر : حجازي محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة ، دار قباء ، ١٩٩٨م، ص١٣١ . و تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، الدار البيضاء، دار الثقافة العربية ، ١٩٨٦م ، ص٢٧٤.

(٢) انظر : ص٤١ من الرسالة .

كما أنه قد تكون دلالة اللفظ على جزء من مفهومه، كدلالة لفظ (المدرسة) على العلم والتعليم والتربية وهي التي تسمى بـ(دلالة التضمن أو التضمين)، والذي يجمع ما بين (دلالة الالتزام) و (دلالة التضمين) هي الدلالة العقلية.

تكتسب الرموز اللغوية سحرا خاصا يمكنها من حمل دلالات معينة، فالرمز بشكل عام والرمز اللغوي بشكل خاص لا يستطيع – منفردا – حمل المعنى الذي يرمي إليه منتج الخطاب، لذا لا بد لهذه الرموز أن تصطبغ بحلة سحرية تمكنها من حمل دلالات حرفية (معلنة) أو حمل دلالات غير حرفية (غير معلنة) يقصدها المتكلم ويفهمها المخاطب، لذا تتنوع الدلالات لتشمل أقساماً مختلفة كالدلالة المعجمية والدلالة التضمينية والدلالة الأسلوبية والدلالة النفسية والدلالة الاجتماعية والدلالة الخفية والدلالة البيئية والدلالة الرمزية وغيرها .

وقد اختلف العلماء في أقسام هذه الدلالات فمنهم من يكتفي بتقسيمها إلى نوعين كما فعل (أولمن) حيث قسم المعنى إلى قسمين، الأول المعنى الموضوعي والآخر المعنى العاطفي "فاللغة يمكنها أن تؤدي وظيفتين رئيسيتين، فقد تكون أداة للتعبير عن الحقائق والقضايا الموضوعية، وفي هذه الحالة يكون هدفها مجرد توصيل الأفكار ونقلها، ولكنها أيضاً قد تكون ذات وظيفة عاطفية وديناميكية بصفة أساسية أي أن وظيفتها حينئذ هي التعبير عن العواطف والانفعالات وإثارة المشاعر في السلوك الإنساني"(١) .

واتفق إبراهيم أنيس مع (أولمن) في تقسيمه لأنواع الدلالات فقد رأى أن الدلالة في بعض تقسيماتها لها جانبان "مركزي وهامشي"(٢)، وقد توسع أحمد مختار عمر في تقسيمه لأنواع الدلالات وجعلها خمسة أقسام هي(٣) :

١. **المعنى الأساسي أو الأولي أو المركزي أو التصوري أو المعجمي** : وهذا المعنى هو العامل الرئيس للاتصال اللغوي، والممثل الحقيقي للوظيفة الأساسية للغة وهي التفاهم ونقل الأفكار .

وهذا المعنى يتضح عند رجوعنا إلى أصل معنى اللفظ الذي وُضع من أجله وذلك من خلال الرجوع إلى المعاجم اللغوية، وهي التي تسمى أيضا بالدلالة الوضعية أو الدلالة اللغوية، وهي دلالة الألفاظ على المعاني الموضوعة لها، نحو دلالة (الكرسي) و (الكتاب) و(الثوب) على مسمياتها.

(١) ستيفن أولمن ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة :كمال بشر ، القاهرة ، مكتبة الشباب ، ١٩٨٦م ، ص٩٢ .

(٢) أنيس إبراهيم ، دلالة الألفاظ ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٩٧م ، ص١٠٦-١٠٧ .

(٣) انظر : أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص٣٦ وما بعدها .

٢. **المعنى الإضافي أو الثانوي أو العرضي أو التضمني أو الاجتماعي** : وهو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التصوري الخالص (المعجمي)، وهذا النوع من المعنى زائد على المعنى الأساسي وليس له صفة الثبوت والشمول، وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة . فكلمة "امرأة" معناها الأساسي (إنسان + أنثى + بالغ)، إلا أنها تثير – بالإضافة إلى هذه المعاني الأساسية – معاني إضافية تعكس بعض الصفات التي ترتبط في أذهان جماعة لغوية معينة تبعاً لوجهة نظرهم، فالدلالة الاجتماعية هي من صنيع المجتمع الذي يتم فيه تداول الألفاظ ودلالتها، كما أن الدلالة الاجتماعية هي دلالة اللفظ على معنى معروف في لغة التخاطب .

فنجد مثلاً أن كلمة (يهودي) – بالإضافة إلى المعنى الأساسي لها وهو الشخص المعتنق الديانة اليهودية– ، فإنها تملك معاني إضافية في أذهان الناس تتمثل في الطمع والبخل والمكر والخيانة والخديعة. وكلمة (يد) فقد ورد معناها في لسان العرب بمعنى الكف، و(اليد) في (المعجم الوسيط) من أعضاء الجسد وهي من المنكب إلى أطراف الأصابع فالمعنى الذي ذكرناه هو المعنى المعجمي الأساسي، وهناك معنى آخر له دلالة أخرى عند أصحاب السياق، وهذا ما يتفق مع الدلالة الاجتماعية، ففي السياق نقول مثلاً زيد طويل اليد ونعني سمحاً، ولو قلت سقط في يده فالمعنى ندم، فلو لم يتم تداول هذه الدلالة داخل مجتمع معين لما نشأت الدلالة الاجتماعية، لذا لا تخلو كلّ كلمة وكل تركيب من دلالة معجمية أساسية و دلالات زائدة فضلاً عن الدلالة الأساسية .

إن الدلالة الاجتماعية تسوقنا إلى الحديث عن (الدلالة الحافة)[١]، وهي من أنواع الدلالات التي ربما تفرعت عن الدلالة الاجتماعية وهي مجموع المعاني والدلالات الإضافية التي تأتي زيادة على الدلالة الذاتية لإشارة معينة . وهي تتكون من عناصر شخصية تختلف باختلاف الأشخاص والمجتمعات .

(١) انظر : إميل يعقوب ، المعجم المفصل في مصطلحات اللغة العربية ، ص٤٠٦

ومثال للإشارة اللغوية (بحر) لها (دلالة ذاتية)[1] ثابتة (ماء + كمية كبيرة + يحتوي على مخلوقات مائية + إحدى وسائل النقل + إلخ)، في حين تتضمن دلالتها الحافة على عناصر مختلفة ومتناقضة بما يمليه المجتمع على الإشارة اللغوية مثل (الخوف) ، (الموت) ، (العطلة) ، (الاستجمام) ، إلخ وهنا يظهر البعد التداولي للإشارة اللغوية.

وكل ما سبق سوغ وبشكل كبير لعلماء اللغة في العصر الحديث اهتمامهم الواسع بالدلالة الاجتماعية، لأنها و من خلالها ولّدت أفقاً واسعاً في اللغة وأسست لعلم دلالة الألفاظ .

٣. **المعنى الأسلوبي**: وهو ذلك النوع من المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة تناسب الظروف الاجتماعية لمستعملها والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها، وهذا الأمر يفضي إلى تحديد درجة العلاقة بين المتكلم والسامع ورتبة اللغة المستخدمة (أدبية – رسمية – عامية – مبتذلة)، ونوع اللغة (لغة الشعر، لغة النثر، لغة القانون، لغة العلم، لغة الإعلام)، والواسطة (حديث – خطبة – كتابة)، فكلمة "أب" تعكس الطبقة التي ينتمي إليها المتكلم، مثل "داد **dad**" في لغة الأرستقراطيين والمتفرنجين، و"الوالد" و "والدي" أدبي فصيح، "بابا" عامي راقٍ، "أبويا" و "آبا" عامي مبتذل .

٤. **المعنى النفسي**: وهو ما يشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد، فهو بذلك معنى فردي ذاتي وبالتالي يُعد معنى مقيد بالنسبة لمتحدث واحد فقط، ولا يتميز بالعمومية، ولا التداول بين الأفراد جميعاً[2] .

٥. **المعنى الإيحائي** : وهو ذلك النوع من المعنى الذي يتحلى بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء نظراً لشفافيتها .

وأجد بأن تبويب المعاني والمبالغة في تنويعها وتعدادها من باب التزيد والتعسف والإقحام الذي لا طائل منه، بل إن تفسير المعنى على وجوه كثيرة يجعل الأمر أكثر تعقيداً وصعوبة في فهم المعنى وتفسيره .

---

(١) الدلالة الذاتية : هي العلاقة بين الإشارة اللغوية وبين ما تدل عليه من شيء ، أو شخص أو صفة أو حدث غير لغوي ، وهي المفهوم الذي ينطوي عليه مدلول الإشارة ، أي : مجموع الكائنات أو الأشياء التي تدخل في عداد هذا المفهوم ، بغض النظر عن الوجود الخاص للكائن أو الشيء . مثال : الدلالة الذاتية لـ(زرافة) هي مفهوم الزرافة (حيوان+أربع أرجل+رقبة طويلة+آكل للأعشاب+...) الذي ينطبق على جميع الزرافات التي وجدت ، وتوجد، وستوجد في العالم، انظر : إميل يعقوب ، المعجم المفصل في مصطلحات اللغة العربية ، ص٤٠٦ .

(٢) انظر : جوديث جرين ، أثر المعنى النفسي في الوظيفة الدلالية في كتاب "علم اللغة النفسي"، ترجمة مصطفى التوني، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م ، ص١٤٥ وما بعدها .

لذا أرى بأن تقسيم المعنى إلى نوعين : الأول موضوعي (معجمي)، والآخر ثانوي أو اجتماعي (جانبي)، كما فعل (أولمن) واتفق معه إبراهيم أنيس هو الأنسب لأمرين :

١. كل المعاني الزائدة على المعنى الأساسي هي معاني إضافية تتعلق بالجماعة اللغوية الواحدة في بقعة جغرافية محددة، ليست لها صفة الثبوت والاستقرار، لذا فهي معاني اجتماعية بالدرجة الأولى.
٢. أن الاعتماد على عدد كبير على مثل هذه الأنواع من الدلالات والمعاني في تفسير الظواهر اللغوية قد يخلق نوعاً من الاضطراب التفسيري الذي يفتقد إلى الموضوعية .

لذا يمكن القول بأن دلالة الألفاظ تتغير أنواعها وتختلف بتغير الظرف أو البيئة الذي ينشأ فيه اللفظ فضلاً عن الدلالة الأصلية له (الدلالة المعجمية)، فلا يمكن لنا تقييد أنواع الدلالة، بل أن أفق الدلالة واسع وليس متحجرا أو حكراً لأنواع محددة، فهناك الدلالة الطبية والدلالة النباتية والدلالة الرياضية والدلالة الحاسوبية والدلالة الثقافية والدلالة الجغرافية ... وبالمثال يتضح المقال، فلو أخذنا لفظ (جَذر) نجد بأن دلالتها تتباين بتباين البيئة التي يتم تداولها فيها، ففي البيئة اللغوية نجد لفظ (جذر) يدل على أصل الكلمة المجردة من حروف الزيادة، بينما في البيئة الرياضية يدل لفظ (جذر) على تلك العملية الحسابية التي يُتوصل من خلالها إلى جذر رقم معين، كما نجد أن لفظ (جذر) في البيئة النباتية يدل على ذلك الجزء السفلي من النبات الذي يختبئ داخل التربية، وأنواع هذه الدلالات تعرف بما تسمى بالدلالة الاصطلاحية وهي دلالة اللفظ على ما اتفق عليه علماء علم من العلوم، أو العاملون في إحدى المهن، فالبعد الاستعمالي للفظ داخل البيئة الاجتماعية هو الذي يخلق الدلالة الخاصة بها بناءً على المجتمع الذي نشأت فيه.

ثانياً : التداولية (pragmatics)

إن الهدف الأساسي للغة هو تحقيق الهدف الأسمى لها وهو تحقيق التواصل اللغوي الناجح بين مستعمليها، وذلك من خلال جملة من الشروط اللغوية وغير اللغوية، فالهدف التواصلي الذي يريده منتج الخطاب لن نصل إليه من خلال البنيوية أو التوليدية، ولن نصل إليه من خلال الاهتمام باللغة المجردة، بل لابد ممن ربط اللغة بمستعمليها بالإضافة إلى ربط مستعمليها بالسياق والمحددات الخارجية وذلك لأثرها في تحديد المعنى .

لقد أصبحت الدلالة اللغوية هي الموضوع الأولي للفلسفة التحليلية للغة. فإذا كانت العبارات تترابط عادة في وحدات مقالية معقدة فإن التحليل اللغوي الفلسفي هو الذي يمكن أن يكشف لنا عن معاني تلك العبارات[١] .

كما أن المهمة الأولية للفيلسوف هي التحليل الدقيق للغة المألوفة وجلاء الاختلاطات الناجمة عن تعدد المعاني وتضاربها وجعلها قواعد صريحة في الاستعمال المألوف للغة، فالموضوع الحقيقي لفلسفة اللغة هو دراسة المعنى الواضح والصريح الذي يريده المتكلم والكشف عن مصادر الخطأ في ثنايا الاستعمالات اللغوية، وكل ذلك بسبب أن اللغة المألوفة (العادية) أداة ماكرة ومضللة أحياناً وأن معانيها مراوغة وغالباً ما تختلط وتصير غامضة مع سلامة العبارات، إلا أن هناك صوراً منطقية مضللة تختفي وراءها[٢] .

فالتداولية نشأت وقامت على الفلسفة التحليلية، لذا فإن نشأتها لم تكن لغوية محضة، بل كان لفلاسفة اللغة دور ملحوظ في نشأتها وتطورها .

---

(١) انظر : خليفة سحبان، منهج التحليل اللغوي المنطقي في الفكر العربي الإسلامي (النظرية والتطبيق) ، عمان . الأردن، منشورات الجامعة الاردنية – عمادة البحث العلمي– قسم الفلسفة–كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ص ٣٨–٣٩.

(٢) انظر : السابق ص ٣٩–٤٠

تعريف التداولية :

يعد مصطلح "التداولية" المقابل الأشهر للمصطلح الانجليزي **pragmatics** وهو المصطلح الذي يتفق الدارسون على إرجاعه إلى الفيلسوف (تشارلز موريس) الذي وضع اللبنة الأولى لتعريف التداولية، حيث كل من أراد أن يعرِّف التداولية يبتدئ بتعريف الفيلسوف (تشارلز موريس)، حيث وصف التداولية بأنها جزء من السيميائية كما أنها تعالج العلاقة بين العلامات (اللغة) ومستعملي العلامات(١) . كما أنه يجب الإشارة هنا – قبل الخوض في غمار التعريفات التي عُرِّفت بها التداولية – إلى كثرة المقابلات العربية التي قُدِّمَت مقابل المصطلح الإنجليزي **pragmatics**، فقيل التداولية، والمقاماتية، والمقامية، وعلم المقاصد، والبراجماتية، والبراغماتية ... إلخ، لكن المصطلح الأشهر في الاستعمال هو التداولية .

اكتسبت التداولية عدداً من التعريفات المتباينة أدت إلى صعوبة وضع تعريفٍ جامعٍ لها، وذلك بسبب اختلاف مجال البحث الذي يقوم به الباحث، فقد يقتصر الباحث على دراسة المعنى ليس بمفهومه الدلالي البحت، بل يهتم بدراسة المعنى في سياق التواصل، أو المعنى الذي يريده المتكلم، لذا يعرفها بأنها دراسة المعنى التواصلي، أو المعنى الذي يسعى المتكلم لإيصاله للمتلقي بطريقة قد تتجاوز أحيانا المعنى الحرفي ليدركه المتلقي بصورة غير مباشرة من خلال السياق. وقد يعرفها الباحث انطلاقاً من اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ، وأثرها في الخطاب، بما في ذلك طرفي الخطاب، وبيان دورهما في تكوين الخطاب ومعناه وقوته الإنجازية، لذا كان نتيجة هذا التداخل واتساع مجالات التداولية صعوبة في وضع تعريف للتداولية يتسم بالشمول والدقة والحصر(٢).

---

(١) انظر : نحلة محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، مصر، دار المعرفة الجديدة، ٢٠٠٢م ، ص٩. و نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة، ص١٦٦ .

(٢) انظر : الشهري عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، ص٢١ . وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، نحلة محمود، ص٩ و ص١٠ ، كما يشير الدكتور محمود نحلة إلى أنه من الصعوبات التي واجهت المشتغلين بالدرس اللساني التداولي وذلك من خلال وضع تعريف جامع ومانع للتداولية هو أن التداولية تتداخل مع كل من علم الدلالة وعلم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي وتحليل الخطاب .

إن أقرب حقل معرفي إلى التداولية هو اللسانيات، حيث عرفها الدكتور مسعود صحراوي بأنها "مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفية استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية ..." (١).

كما يشار إلى التداولية على أنها دراسة استعمال اللغة في سياق معين، إذا فهو حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام، كما يأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق ومستقبل الخطاب، فالتداولية تبحث في العلاقة بين الدوال ومستعمليها في مجتمع لغوي معين(٢)، لذا نجد بأن التداولية تسعى بأن تتجاوز حدود الخطاب لتصير نظرية عامة للفعل والنشاط اللغوي الإنساني، بحيث يكون شغلها الشاغل دراسة اللغة في المقام الذي يهتم بما يفعله المستعملون بالألفاظ، لذا نجد بأن التداولية تهتم بالاتجاه الوظيفي والتواصلي والاستعمالي للغة .

إن المعنى التداولي ليس شيئاً متصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا المتلقي وحده، بل المعنى يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمتلقي في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) بحيث أن المعنى يكمن في الاستعمال وفي تداول اللغة.

إذاً فالتداولية تدرس اللغة بوصفها ظاهرة تخاطبية وتواصلية واجتماعية، إذ تهتم باستعمال اللغة في التواصل، لأن كل شيء عند الإنسان هو بمثابة تواصل، فاللغة يجب أن تُدرس انطلاقاً من حقيقة استعمالاتها، فالتداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم(٣) . كما أن ميدان الدرس التداولي هو تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق فيما يقال، كما أنه يدرس الآلية التي ينظم من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله وفقاً لهوية الذي يتكلمون إليه، وأين، ومتى، وتحت أية ظروف .

لا يتوقف الدرس التداولي أو المنهاج التداولي على منتج الخطاب أو المتكلم فقط، لأن مستعمل اللغة لا يتوقف على المتكلم فحسب، بل يتعداه إلى مستقبل الخطاب أو المستمع، فمستقبل الخطاب يعد الطرف الثاني للعميلة الكلامية التي من خلالها يكتمل طرفا الخطاب .

---

(١) انظر : صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب ، بيروت ، دار الطليعة ، ٢٠٠٥م ، ص٥ .

(٢) انظر : مقبول إدريس ، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية ، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث ، ٢٠١١م ، ص٨ .

(٣) انظر : جورج يول ، التداولية ، ص١٩ .

ومما يذكر في هذا السياق مقولة محمد مفتاح : "ليست التداولية وما ركزت عليه من مراعاة لأوضاع المتكلم والمخاطب والزمان والمكان والأشياء المحيطة، ومن صياغة قوانين للمجادلة ولنجاعة الكلام ونجاحه وتحليل النصوص، ومن وضع مفاهيم لتكييف الخطاب إلا انعكاساً للمحاولات الجادة للهيمنة على الإنسان ولتشريطه"(١)، بل وكأن التداولية تتولى طرح إطار معرفي متكامل يتبنى قضايا معرفية جديدة، تتصل بدراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ (٢).

لقد أصبحت دراسة العوامل المقامية ودورها في إنتاج الملفوظات على هيئات وأشكال محددة خلال أية عملية اتصالية لا تقل بحال من الأحوال عن دراسة الجوانب التركيبية والدلالية، لذا أجد بأن نقطة الانطلاق لدراسة التداولية هو أن كثيراً من الألفاظ لن تجد تفسيرها من خلال المنهج الدلالي، بل لابد من وجود المنهج التحادثي أو التخاطبي أو كما يعرف بالمنهج التداولي، لذا لا بد من الإشارة هنا إلى أن أحد المآخذ الأساسية التي وجهها علماء اللسانيات الاجتماعية والتداوليون إلى اللسانيات، هي كونها غير قادرة على أخذ الواقع الاجتماعي للاستعمالات اللغوية بعين الاعتبار، فالتركيب في قولنا : (الجوُ حارٌ) نجد بأن اللسانيين ينظرون إلى هذا التركيب نظرة أحادية لسانية بحتة من دون النظر إلى الواقع الاجتماعي والسياقي والاستعمالي الذي قيلت فيه والذي هو موضوع التداولية والشغل الشاغل لها .

المفاهيم الأساسية في الدرس التداولي :

يسعى الدرس التداولي – كما أسلفنا سابقاً – إلى الوصول إلى دراسة المنطوق اللغوي والبحث في المعنى الاستعمالي، بمعنى أنه يتجاوز الدراسة النحوية (التركيبية) والدراسة الدلالية دون أن يهملهما، إنما تستفيد منهما، ثم تبني عليهما المعنى الاستعمالي الذي جاء به المتكلم، وكيف نطق، ولماذا نطق؟ وما هدفه أوقصده؟ ... كما أن التداولية تدرس متلقي الخطاب والمنطوق اللغوي وعلاقته بالمتكلم، وتلقيه للرسالة بالإضافة إلى بقية العناصر التي يتألف منها الموقف الكلامي من مكان وزمان وغيرها التي تؤثر في فهم المعنى .

---

(١) مفتاح محمد ، دينامية النص (تنظير وإنجاز) ، الدار البيضاء ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٦م، ص٣٧ .

(٢) انظر : محمد عديل عبدالعزيز علي ، المقاربة التداولية لخطاب المناظرة العصر العباسي نموذجا، القاهرة ، دار البصائر للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠١١م،ص٨

إن المشتغلين بالدرس التداولي أمثال (موريس) **morris** سعوا في التركيز على استخلاص نظريات تسهم في فهم المعنى الاستعمالي من خلال الموقف اللغوي أو ما يسمى بـ(معنى المتكلم) وذلك من خلال التركيز على الجانب الاستعمالي لإثبات خطابية اللغة، فمن أجل ذلك صيغت عدة نظريات تعتمد عليها التداولية في تحليلها للخطاب، وهي على النحو التالي :

أ . نظرية المشيرات :

والمشيرات هي "تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي يستقى تفسيرها منه، وهي المتكلم والمتلقي و زمن المنطوق، ومكانه ...إلخ. وهذا يعني أن هذه التعبيرات غير مستقلة عن السياق (المتغير)، ولها دائماً محيلات أخرى"(١)، وذلك أن في كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه، ولا يمكن إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه، ويطلق على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بالإشارة مصطلح "التعبير الإشاري" .

قد يكون التعبير الإشاري أو المشيرات زمانية مثل : (أمس، غداً، الآن ، اليوم، آنذاك، حينئذ ...إلخ)، وهو الذي يشير إلى الوقت الذي ينطق خلاله المتكلم قوله و يشير كذلك إلى الوقت الذي يُسمع فيه صوت المتكلم ("الآن" بالنسبة إلى المستمع) (٢)، كما أنه من الممكن استعمال أنظمة موسعة من الإشارة غير الزمانية مثل: وقت التقويم والساعة .

وقد تكون هذه المشيرات خطابية مثل : (لكن ، فضلاً عن ذلك ، من ثمَّ ... إلخ)، أو مكانية مرتبطة بمكان المتكلم، كما أنها تأتي لغرض تمييز وتحديد الموقع النسبي للأشخاص والأشياء، مثل : (هنا ، هناك ، ذلك المكان ... إلخ)، والتعبير الإشاري (هذا، هنا) أول معنى تأشيري يتعلمه الأطفال، لأنه يصور استعمالاتهم لهذه الكلمات (هذا، هنا) في حدود ما يمكن رؤيته بالنسبة إليهم، أما بالنسبة إلى التعبير الإشاري (هناك، ذلك) فتشير إلى أشياء بعيدة خارج مجال رؤية الأطفال بحيث لايمكن رؤيتها فبالتالي تأتي تلك التعبيرات الإشارية متأخرة مقارنة بسابقتها .

---

(١) فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق : سعيد حسن بحيري ، القاهرة ، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م ، ص١٣٥-١٣٦ .

(٢) انظر : جورج يول ، التداولية ، ص٣٤

بقي لي الإشارة هنا بأنه قد يكون البعد النفسي بالنسبة للمتكلم له أثره في تحديد قرب الشيء المادي أو بعده وذلك من خلال استعمال المشيرات المكانية، بمعنى أن المتكلمين يميلون إلى إسقاط أنفسهم على أماكن أخرى قبل أن يتواجدوا فيها فعلياً (الإسقاط التأشيري)[١] .

كما أنه قد تكون هذه المشيرات "شخصية" من خلال الضمائر الدالة على المتكلم والمستمع مثل : (أنا ، أنت)، وقد تستخدم ألفاظاً أخرى تدل على التأشير الشخصي لأسباب وأغراض معينة، مثل : "أيود جنابه شرب القهوة ؟" لقصد السخرية، كما أن هذه المشيرات قد تكون "اجتماعية" وذلك للإشارة إلى علاقة بين المتكلمين والمتلقين [٢].

من خلال ما سبق يتم اعتماد صيغة فعلية محددة لإنتاج فعل إنجازي محدد وتأويل هذا الفعل الإنجازي، ورصد كذلك وسائل تقوية إنجاز الفعل الكلامي وإضعافه .

ب . نظرية الافتراض المسبق :

وتعتمد هذه النظرية على افتراضية المتكلمين، بمعنى أن المتكلمين يفترضون أن مستمعيهم عارفون ببعض المعلومات وذلك أثناء التواصل اللغوي، وهذه المعلومات لا تذكر في سياق الخطاب وذلك لأنها تعامل على أنها معروفة بين طرفي الخطاب، لذا تعتبر هذه المعلومة حاضرة لدى طرفي الخطاب دون قولها والتلفظ بها في الموقف الكلامي، وهي من المبادئ التي يعتمد عليها التفسير التداولي .

إن الافتراض المسبق يُعنى بالمعلومات المشتركة بين المتكلم والمتلقي المعروفة سابقاً، حيث "يوجه المتكلم حديثه إلى المتلقي على أساس مما يُفترض سلفاً أنه معلوم له، فإذا قال رجل لآخر : أغلق النافذة ، فالمفترض سلفاً أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها، وأن المتلقي قادر على الحركة، وأن المتكلم في منزلة الأم، وكل ذلك موصول بسياق الحال وعلاقة المتكلم بالمتلقي"[٣]، كذلك حينما يُقال : (اشترى أخو محمد ثلاث سيارت)، فحينما ينشئ المتكلم هذه الجملة يُتوقع منه امتلاك افتراضات مسبقة مفادها أن هناك شخص اسمه محمد، وأن له أخاً واحداً فقط وأنه يملك مالاً وفيراً، حتى وإن تم نفي الجملة (لم يشترِ أخو محمد ثلاث سيارات) تبقى الافتراضات المسبقة موجودة عند المتكلم، وقد تكون هذه الافتراضات خاطئة .

---

(١) انظر : جورج يول ، التداولية ، ص٣٢

(٢) انظر : نحلة محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص١٧

(٣) السابق ، ص٢٦

لذا نجد بأن الجماعات المنظمة الذي يربطهم جانب وظيفي أو مهني أو تخصصي واحد، مثل : الأطباء والطيارين والمعلمين وغيرهم، أنهم يقيمون تواصلاً لغوياً ناجحاً وذلك لاعتمادهم على نظرية (الافتراض المسبق) والمعلومات المشتركة بينهم التي من خلالها يبنون تواصلهم اللغوي الفاعل، لأن الثقافة واحدة والفكر واحد والهم واحد والهدف واحد . بينما إذا كانت الجماعة غير منظمة ولا ينتمون إلى فكر وظيفي أو مهني واحد، فإنهم لا يستطيعون أن يقيموا تواصلاً لغوياً فاعلاً وناجحاً، لأن لا معلومات سابقة مشتركة بينهم يستطيعون من خلالها تأسيس حديث ناجح بين المتكلمين، فالافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، بمعنى أن الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين قبل إنتاج الكلام .

يتضح لنا جلياً أهمية الافتراض السابق ودوره التداولي في بناء التواصل اللغوي الناجح بين طرفي الخطاب، كما تتضح لنا أهميته أيضاً في تأسيس المتكلم حديثه و تواصله مع المتلقي على أساس قاعدة المعلومات السابقة المشتركة بينهما، وهذا جزء جوهري وأساسي من السياق ومن العملية الاتصالية والتواصلية .

كما أنه من المفيد أن نشير هنا أننا نجد أن المحققين يستثمرون هذا الجانب (الافتراض السابق) في استجواب المتهمين وأخذ أقوال الشهود، وكذلك يستطيع أن يُستثمر هذا الجانب من له علاقة بالسلك التعليمي وذلك خلال بنائهم التواصلي مع الطلاب والتلاميذ ومن لهم علاقة بهم من أولياء أمور ومعلمين ... إلخ، بل إن هذه النظرية يمكن أن تؤدي دوراً ناجحاً مع كل الوظائف التي لها علاقة بمواجهة الجمهور وتكوين العلاقات الاجتماعية الناجحة .

وبين (جورج يول) – من خلال الجدول التالي[1] – أن للافتراض المسبق أنواعاً ظهرت له عند تحليله لكيفية التعبير عن افتراضات المتكلمين، وذلك عن طريق استعمالهم لعدد كبير من الكلمات والعبارات والبنى اللغوية، بحيث اعتبر أن هذه الصيغ اللغوية مؤشرات لافتراضات مسبقة كامنة، التي يمكنها أن تصبح افتراضات مسبقة واقعية عند وجودها في سياقات مع المتكلمين .

(١) جورج يول ، التداولية ، ص٥٤ و ٥٨

النوع	المثال	الافتراض المسبق
وجودي	غادر محمد الصالة	(محمد)موجود في الصالة
واقعي	ندمت على مغادرتي	>> غادرت
غير واقعي	تظاهر بالسعادة	>> لم يكن سعيداً
معجمي	تمكن من الهروب	>> حاول الهروب
بنيوي	متى توفيت ؟	>> توفيت
مناقض للواقع	لو لم أكن مريضا ، ...	>> أنا مريض

جـ . نظرية الاستلزام التخاطبي :

لقد بينا سابقاً بأن الافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، فالافتراض المسبق موجود عند المتكلمين وليس في الجمل في ذاتها، بينما الاستلزام التخاطبي ينبع مما قيل في الكلام بشكلٍ منطقي، أي أن الجمل هي التي تحوي الاستلزام وليس المتكلمون .

وقد كانت نقطة البدء عند "غرايس" أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون ...، لذا أراد "غرايس" أن يقيم معبراً بين ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله القول من معنى متضمن مما نشأ عنه فكرة الاستلزام التخاطبي(١).

(١) انظر : نحلة محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٢٦

لقد قدم "غرايس" هذه النظرية – وهي نظرية خاصة بكيفية الاستعمال اللغوي– وربطها بمبدأ (التعاون[١]) بين المتخاطبين من أجل تحقيق الفعالية القصوى لتبادل المعلومات بينهم، وفي إقامة حوار وتخاطب وتواصل ناجح، حيث أشار"غرايس" أن مبدأ التعاون في اللغة يتجسد في أربع قواعد سلوكية حوارية عامة[٢] :

١ــ قاعدة الكمية التي تنص على أن تكون مساهمة المتخاطبين بالقدر الكافي دون زيادة أو نقصان، بمعنى جعل الإسهام في الحوار بين المتخاطبين بالقدر المطلوب .

يقول "غرايس" : " لتتكلم فيما يقتضيه الغرض من التواصل"، كما أن هذه النظرية أضافت ضلعاً ثالثاً في باب تأويل الملفوظات بالإضافة إلى معنى الملفوظ، والسياق المقامي الذي أُنتج فيه الملفوظ، وهو ما يسمى مبدأ التعاون الذي يسمح بإدراك انسجام معاني الملفوظ مع المقصود من التخاطب[٣] .

٢ــ قاعدة النوعية التي تنص على أن تكون مساهمة المتخاطبين متصفة بالصحة وعدم الخوض في قول غير صحيح أو حتى يُعتقد أنه غير صحيح، بمعنى أن القول قبل أن يُنجز يجب أن يمتلك المتحدث دليلاً عليه .

٣ ــ قاعدة المناسبة التي تشرط أن تكون المساهمة في الحديث مناسبة للمقام الحواري والتخاطبي الذي بنى عليه المتخاطبون والمتحاورون موقفهم التواصلي، بمعنى يجب أن يكون الكلام ذا علاقة مناسبة بالموضوع .

٤ ــ قاعدة الكيف التي تجعل المساهمة في الحديث موجزة، ومنتظمة، ومرتبة، و واضحة، وخالية من الغموض والتلاعب بالألفاظ، بمعنى يجب أن يكون الحديث واضحاً ومحدداً بعيداً عن الغموض واللبس، وذلك لا يتأتى إلا بتبلور الفكرة لدى المتحدث والمستمع أثناء الموقف الكلامي .

---

(١) وهي إحدى نظريات الدرس التداولي وهو المبدأ السامي لها الذي يساهم في استمرار العملية التواصلية (الحديث) من خلال المساهمة والمشاركة في الحدث الكلامي المتواصل ، فهي تفترض بأن المتكلمين والمستمعين المشتركين في المحادثة يتعاونون فيما بينهم لإنجاح الحوار، بل يعد ذلك عاملا ضرورياً لذلك . في نظرية التعاون الحواري بين المتكلمين في الدرس التداولي تبتعد التداولية عن التورية أثناء الحوار، فهي لا تقبل التشويش والخداع أو إخفاء معلومات ذات صلة عن أحدهم الآخر، فهذه النظرية تعد مبدأ التأدب مبدأً مهماً لأنه يفرض على المتحدثين احترام بعضهم بعضاً في الكلام ، ينظر : جورج يول ، التداولية ، ص٦٦ و ص ٦٧ .

(٢) انظر : آن روبول و جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ترجمة : سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، مراجعة : لطيف زيتوني ، بيروت. لبنان ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م ، ص٥٥-٥٦ .

(٣) انظر : مقالة حافظ إسماعيلي علوي "ما التداوليات؟ " من كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ، إربد – الأردن ، عالم الكتب الحديث ، ٢٠١٤م، ص٢١ .

تلك القواعد متى ما التزم بها المتخاطبون كان مبدأ التعاون في اللغة حاضراً في الموقف الكلامي، ومتى ما لم يلتزم المتخاطبون بإحدى تلك القواعد كان مآل الحوار الفشل بسبب غياب التعاون التخاطبي بين طرفي الخطاب.

ولكن الملاحظ أن الناس كثيراً ما يخالفون هذه القواعد، ولا يتقيدون بها، وقد تكون هذه المخالفة مثمرة و مفيدة في الحوار الكلامي كإثارة الاهتمام، وتبليغ أمر معين (الاستلزام الحواري المقامي أو السياقي)، ومن ذلك ما يسمى بمبدأ (التأدب في الكلام) الذي قد يتعارض مع قواعد السلوك الحواري المتضمنة في مبدأ التعاون، كأن يحاول شخص الاعتذار عن إكمال الحوار، أو تهوين تبليغ خبر مزعج ... إلخ.

ويمكن لنا تبيين الاستلزام التخاطبي (الحواري) بشكل ميسَّر في المثال الذي سقناه في نظرية الافتراض المسبق، فحينما يقول المتكلم : (اشترى أخو محمد ثلاث سيارت)، يُتوقع منه امتلاك افتراضات مسبقة مفادها أن هناك رجلاً اسمه محمد، وأن له أخاً واحداً فقط وأنه يملك مالاً وفيراً، حتى وإن تم نفي الجملة (لم يشترِ أخو محمد ثلاث سيارات) تبقى الافتراضات المسبقة موجودة عند المتكلم، وقد تكون هذه الافتراضات خاطئة . لكن حينما ننظر إلى الجملة من منظور الاستلزام التخاطبي فإن هذه الاستلزامات تكون على النحو الآتي : اشترى أخو محمد ثلاث أشياء، اشترى أخو محمد ثلاث آلات تسير على أربع عجلات وهكذا من الاستلزامات المنطقية (الاستلزام الحواري المعرفي) التي تنبع من الجملة في ذاتها بغض النظر عن صحة الكلام أو عدمه .

ونظراً لطبيعة الاستلزام الحواري المنطقية نجد بأن التداولية لا تناقشها بالقدر الذي يناقشه مفهوم الافتراض المسبق الذي يعتمد على المتكلم[1]، بل يمكن اعتباره مفهوماً منطقياً بحتاً كما مثلنا به آنفاً .

(١) انظر: جورج يول ، التداولية ، ص٥٢

د . المقاصد :

تعتمد هذه النظرية على أن غاية قصد المرسل هي إفهام المتلقي فحوى الرسالة، ولحصول هذا الإفهام يجب أن يكون المتلقي مدركاً للمستويات الدلالية للغة المتداولة، فالمقصد يحدد الغرض من أي فعل لغوي، إذ المتكلم يجب أن يحدد الهدف من أفعاله اللغوية مما يساعد المتلقي على فهم الرسالة، بهذا يصبح توفر القصد والنية الشرط الأساسي لنجاح العملية التواصلية، كما أشار إليها الجاحظ، حيث يرى أن من شروط التواصل الناجح أن يراعي المتكلم مخاطبه.

فاللغة إذن هي تعبير المتكلم عن مقصوده، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون بقوله: "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"(١) .

(١) مقدمة ابن خلدون المسمى : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، بيروت. لبنان ، دار الفكر، ٢٠٠١م، الجزء الأول ، ص ٧٥٣

هـ . نظرية الأفعال الكلامية speech acts :

يعد البحث في نظرية الأفعال الكلامية من صميم الدرس التداولي، بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية، وهي نظرية أول من أسسها وسبر غورها ونبه عليها و درسها باستفاضة من الفلاسفة المعاصرين "جون أوستن"، ثم قام ببنائها ونضجت النظرية في مرحلة لاحقة على يد العالم "جون سيرل"(١)، لذا سوف اكتفي بعرض مفهوم هذه النظرية دون تتبع تعريف هذه النظرية (المنطوقات الأدائية، الأفعال الغرضية) ودون الخوض في خصائص الفعل الكلامي، وأهمية دراسة الأفعال الكلامية للدرس التداولي .

تقوم نظرية الأفعال الكلامية على فرضية أساسية مفادها أن الجمل في اللغات الطبيعية لا تنقل مضامين ومعاني مجردة، بل إنها تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات التي يُنتج فيها الخطاب(٢)، فهي أفعال تُنجز من خلال الألفاظ، فعند محاولة الناس التعبير عن أنفسهم فإنهم لا ينتجون ألفاظاً وتراكيب تحوي بنى نحوية مجردة، وإنما ينجزون أفعالاً عبر هذه الألفاظ، كأن تفيد طلباً أو سؤالاً أو جواباً أو جلوساً أو غير ذلك مما يحققه السلوك اللغوي من فعل، لذا نجد المتكلم يحقق أو ينجز عبر العملية التواصلية فعلا أو عملا تماما كما هو الحال في الأفعال غير اللغوية ، فمثلاً سوف يتحقق الجلوس لو أنك أمرت أحدهم بالجلوس بالفعل اللغوي "اجلس" ، كما هو الحال تماما فيما لو أمرت أحدهم بالجلوس بفعل غير لغوي كالإشاري مثلا . فكل ملفوظ يحمل بين ثناياه فعلاً أيا كان هذا الفعل سواء كان فعلاً ظاهرا أو غير ظاهر كالمشاعر و الأحاسيس .

ولعل هذه النظرية تظهر بشكل واضح عند أصحاب القرار كالمدراء والرؤساء وذلك حينما يتم استصدار قرار أو أمر معين يؤمر فيه المرؤوس بتنفيذه. فإذا كنت تعمل في مكان يكون للمدير فيه قدر كبير من السلطة، فإن قول المدير للتعبير في "أنت مطرود" يفوق الجملة الخبرية، بحيث قد يستعمل ذلك اللفظ لإنجاز فعل إنهاء توظيفك، كما أنه من الممكن أن تكون الأفعال المنجزة عبر الألفاظ رقيقة ، كما في الإطراء المنجز عبر "أنت رائع" ، والإشعار بسماع التحية عبر "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" ، والتعبير عن الدهشة عبر "أنت مجنون!! "(٣).

---

(١) انظر : بو قرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة ، ص١٦٧ . و آن روبول و جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص٤٧

(٢) انظر : عبدالرحمن طه ، التواصل والحجاج ، الرباط ، مطبعة المعارف الجديدة ١٩٩٣ م– ١٩٩٤م ، ص١١ .

(٣) انظر: جورج يول ، التداولية ، ص٨١

و . نظرية الاشتقاق الإنجازي :

هذه النظرية خرجت من رحم الإهمال، وذلك لما غلب على أصحاب نظرية الأفعال اللغوية الاشتغال بالأفعال اللغوية البسيطة والمباشرة ولم يشتغلوا بالأفعال المركبة أو المشتقة إلا بشكل يسير، لذا فإن هذه النظرية ستحاول تدارك ما غفل عنه دارسو أصحاب نظرية أفعال الكلام(١) .

تَعْتَبِر هذه النظرية أن الأفعال اللغوية المباشرة منطلقا لعمليات استدلالية توصِل إلى أفعال إنجازية غير مباشرة ينتجها المتكلم ويفككها المخاطب وهي نتاج ملابسات الخطاب والمقام الخاصة، وتعتبر هذه النظرية لها خاصية فوق لسانية يمكن اعتبارها كحالة خاصة باللغات الطبيعية، فلو قال المتكلم للمخاطب – الجالس بجانب جهاز التكييف المغلق– (أغلق النافذة ... الجو حار جداً في الخارج) لوجدت المخاطب قام بفعل لغوي مباشر (إغلاق النافذة) وقام كذلك بفعل إنجازي غير مباشر (تشغيل جهاز التكييف).

من خلال إطالة النظر تحليلاً في التعريفات السابقة للتداولية وتسليط الضوء على أبرز مفاهيمها، نستخلص عدداً من النقاط التي تمثل مفهوما واضحاً للتداولية، بحيث تكون متَّكأً ومعتمداً للانطلاق منها إلى الدرس التداولي :

- أن التداولية هي دراسة استعمال اللغة، أي كيف تُستعمل اللغة في الاتصال، أو ماهي مبادئ استعمال اللغة، بمعنى أنها تدرس الظواهر اللغوية من خلال البعد الاستعمالي (العلامات الاستعمالية)، كما تدرس الخصائص الاستعمالية للعلامات اللغوية ، فالتداولية تبحث وتفتش عن نظرية تتعلق بالاستعمال التواصلي للغة .
- تهتم التداولية بعلاقة اللغة بالسياق، وظروف الواقع العملي الذي تُستخدم فيه اللغة، والأبعاد الاجتماعية التي توجه الخطاب وتحكمه، بمعنى أن التداولية تركز الانتباه على المستعملين للغة وسياق هذا الاستعمال بدلا من التركيز على اللغة وقواعدها النحوية، فهي تدرس استعمال اللغة في السياق كما تعتمد شتى مظاهر التأويل على السياق . لذا نجد أن محمد عناني يوقف تعريف التداولية على هذه النقطة فيقول : "التداولية هي دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعية، أي تداولها عملياً، وعلاقة ذلك بمن يستخدمها"(٢) وهذا يعني أن السياق جاء بُعداً جوهرياً في التداولية ودخل في تعريفها.

---

(١) انظر : علوي حافظ إسماعيلي، من مقالته "ما التداوليات؟" ، في كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، ص٢٢

(٢) محمد عناني ، المصطلحات الأدبية الحديثة ، القاهرة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ٢٠٠٣م ص٧٦ .

- من ضمن المفاهيم التي جاءت بها التداولية هي كيفية اكتشاف المتلقي لمقاصد المتكلم في السياق الحدد، أي دراسة معنى المتكلم الذي يقصد تبليغه أو توصيله في سياق محدد .
- التداولية تتعامل مع علاقة العلامات بمؤوليها، بمعنى أنها تتعامل مع الجوانب الحيوية لعلم العلامات، وهذا يعني كل الظواهر النفسية والاجتماعية والثقافية التي تظهر في توظيف العلامات، كما يعني أنه لا توجد ظاهرة لغوية على أي مستوى من المستويات تستطيع النظرة التداولية أن تتجاهلها، فهي تهتم بدراسة النشاط اللغوي بمستعمليه، وتحليل عمليات الكلام، ووظائف الأقوال .

ومن هنا يمكن القول بأن "التداولية ليست علما لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي الذي يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره(١)".

ومن هنا تظهر لنا أهمية التداولية والدرس التداولي في قدرتها على معالجة أوجه القصور التي عانت منها كثير من النظريات اللغوية و اللسانية كالبنيوية والتوليدية، كما تظهر أهميتها في أنها نقلت الاهتمام من اللغة المجردة إلى اللغة الحيوية المستعملة .

كما تكمن أهمية التداولية في التأكيد على ارتباط المتكلم بالسياق الخارجي ارتباطاً وثيقاً مؤثراً في تحديد المعنى الذي يقصده المتكلم .

كما تظهر أهمية التداولية أيضاً في السعي إلى الوصول إلى نظريات عامة وثابتة نسبياً تمكنها من القدرة على بناء استراتيجيات خطاب تواصلي ناجح وفعال يحمل بين دفتيه مقاصد ومعاني المتكلم ويعيها ويدركها المستمع، كما أن التداولية لا تهتم بالحد الأدنى للمعنى أو مايسمى بالمحتوى القضوي الذي يحمله الرمز اللغوي فقط، بل تهتم بالمعاني الإضافية الأخرى – التي لا يمكن ربطها بالرمز اللغوي – يقصدها المتكلم وذلك عن طريق عوامل خارجية لا تظهر بالضرورة في بنية الجملة إنما يحددها الاستعمال في المقام .

(١) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص١٦ .

بالإضافة إلى أن التداولية أسهمت من خلال عناصرها ومفاهيمها ونظرياتها المختلفة في تقدم الدراسات النصية، ودخلت – بوصفها مستوى تحليلياً – مع النحو والدلالة في تشكيل هذا العلم، وتحديد مفهومه، وتوضيح مجالات البحث فيه[1] .

ومن هنا يأتي التكامل بين المجالين (الدلالي والتداولي) واتضاح العلاقة بين علم الدلالة بعلم التداولية من خلال عرض عدد من التقاطعات بين العلمين كما سوف يأتي .

(١) انظر : الشهري عبد الهادي ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، بيروت، دار الكتاب الجديد. ، ٢٠٠٤م، ص٢٢ ، ٢٣

ثالثاً : تقاطعات بين الدلالة والتداولية :

بعد العرض الموجز لماهية الدلالة والدرس الدلالي والمفاهيم التي يناقشها ويشتغل بها، وبعد العرض الموجز كذلك للتداولية وتعريفاتها وماهيتها وكيفية نظرتها إلى اللغة وأهم النظريات التي يناقشها الدرس التداولي، والتفريق بين الدرسين الدلالي والتداولي، كان لزاماً الإشارة إلى أهم التقاطعات ونقاط الالتقاء بين الدرس الدلالي والدرس التداولي .

- لا شك في أن كلا العلمين من الموضوعات الرئيسة التي يناقشها الدرس اللساني الحديث، بل هما من الميادين الخصبة التي يجد فيها الدرس اللساني مجالاً خصباً لانبثاق عدد من النظريات اللسانية الحديثة التي تجد طريقها التطبيقي والعملي .
- تهتم كل من التداولية والدلالة بدراسة العلاقات، فعلم الدلالة يختص بدراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية والكيانات الموجودة في العالم الخارجي، أي كيفية ارتباط الكلمات بالأشياء، أما التداولية فتهتم بدراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية ومستخدميها والذين يشكلون (طرف الخطاب) .
- إن كلا من الدرس الدلالي والدرس التداولي متسع ومستمر ومتغير غير قابل للتوقف عند سقف معين، لأن اللغة تشتغل بين مستعمليها، بعكس الدرس النحوي أو التركيبي الذي يهتم بدراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية وكيفية تنظيمها في تتابع معين وفق قواعد نحوية وتركيبية ثابتة لا تتغير . يقول الباحث اللغوي الفرنسي أندري مارتيني : "اللغة تتغير لأنها تشتغل"، فتداول اللغة بين أفراد المجتمع اللغوي المعين هو نوع من الاشتغال الذي بلا شك يساهم وبشكل كبير في تغير الدلالات في اللغة .
- إن الدرس الدلالي والتداولي يهتمان وبشكل كبير جداً بالاتجاه التواصلي في الدرس اللغوي، لا سيما أن اللغة لا تظهر خصائصها ودلالاتها إلا من خلال المنجز التلفظي في سياق تداولي معين، فلم تنشأ الدلالة إلا لغرض التواصل الذي يتم من خلال تداول اللغة ودلالاتها بين المجتمع اللغوي الواحد .
- يبتدئ الدرس التداولي بعد انتهاء الدرس الدلالي، فبانتهاء الدلالة تبدأ التداولية، لذا نجد بأن الدلالة هي النواة التي تنشأ منها النظريات التداولية .

- إن الدرس الدلالي جزء من الدرس التداولي، بمعنى أن الاهتمام بعلم الدلالة ساهم بشكل كبير في ولادة التداولية[١]، فإذا كان هذا فعلم الدلالة جزء من (البراغماتية) [٢].
- يلتقي الدرس التداولي والدلالي مع بعض العلوم الاجتماعية كعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الاجتماعية .
- إن ميدان الدرس الدلالي والتداولي يحويهما نطاق واهتمام واحد وهو الدوال ومستخدميها .
- إن الدلالة والتداولية خرجا من رحم المجتمع اللغوي، بمعنى أن مجال البحث في الدرس الدلالي والدرس التداولي يكون في مجتمع لغوي محدد .
- لا بد من وجود طرفي الخطاب (المرسِل والمستقبِل) كي يتم نطق التركيب اللغوي وما يتضمنه من دلالة ويتم تلقيه ثم تحليله ومن ثم الاستجابة له، فلا يمكن أن تحصل دلالة الرمز اللغوي من دون تداوله بين طرفي الخطاب .
- تعد الكفاءة التداولية مكونا فاعلا ضمن تكوين الإنسان السوي، تماما كما هي كفاءته اللغوية، إلا أن الكفاءة التداولية ليست نسقا بسيطا، بل هي أنساق متعددة، حيث أن القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية لابد من أن تتوفر لديه خمس ملكات على الأقل ، وهي : الملكة اللغوية والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية[٣]، فعنصر الكفاءة لابد أن يكون حاضرا لدى مستعمل اللغة، سواء أكانت هذه الكفاءة تداولية أو لغوية دلالية .[٤]

---

(١) انظر : فليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة وتحقيق: صابر الحباشة وعبدالرزاق الجمايعي، عمان – الأردن ، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م ، ص٢٢ .

(٢) انظر : الشهري عبدالهادي ظافر، استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية– ص٤٦ .

(٣) انظر تلك الملكات في : الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، بيروت، لبنان ، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م ، ص ١٣ - ١٥.

(٤) انظر : المتوكل أحمد ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد ، الرباط ، دار الأمان ، ٢٠٠٦م ، ص٤٥ و ص٦٤.

- إن علم الدلالة كمبحث من المباحث اللغوية حسب ماهية اللسانيات، يهتم بحلقة من حلقات علم اللسان البشري، هذه الحلقة تكمن في المظهر الإبلاغي وما يتعلق به، فالرسالة الإبلاغية هي التي تهتم بنقل دلالة الخطاب إلى المتلقي وتداوله بحيث يتم استيعابها استيعاباً كافياً، "فالدراسة اللسانية لا تقف عند تشخيص الحدث اللغوي في مستواه الأدائي فقط، ولكن في سلكه الدائري إذ تهتم اللسانيات بتولد الحدث وبلوغه وظيفته ثم بتحقيقه مردوده عندما يولد رد الفعل المنشود – وهو أحد موضوعات التداولية – ، وهكذا يكون موضوع علم اللسان اللغة في مظهرها الأدائي ومظهرها الإبلاغي وأخيراً في مظهرها التواصلي"(١) .
- الاعتناء بالشروط اللازمة لتحقيق تواصل ناجح وملائم للموقف التواصلي هو أحد موضوعات الدرس التداولي ، والاعتناء بالشروط اللازمة في الرمز بحيث يكون قادر على حمل المعنى هو أحد موضوعات الدرس الدلالي . فكلاهما يهتمان بشروط الصحة والنجاح ، أي نجاح التواصل ونجاح الرمز في قدرته على حمل معنى.
- يجب أن يكون متلقي الخطاب مدركاً للمستويات الدلالية للغة المتداولة كي يحصل الإفهام الذي يقصده المرسل، فالدلالة والتداولية تتعانقان للحصول على القصدية التي من أجلها يحصل الفعل اللغوي من قبل منتج الخطاب .
- الظواهر النفسية والاجتماعية والثقافية جزء من الدرس الدلالي والتداولي .
- تعتمد التداوليات في التحليل على تضافر مكونين : الأول لساني الذي يقوم بمهمة تحديد الدلالة بناء على ما توفره الوحدات اللغوية، والثاني مقامي حيث يقوم بمهمة ربط دلالة الوحدات اللغوية باعتبارات التخاطب والسياق المقامي، فدلالة الجملة يحددها المكون اللساني والمعنى الملفوظ يحدده المكون المقامي .(٢)

(١) عبدالسلام المسدي ، ١٩٨٦، اللسانيات وأسسها المعرفية ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ص٨١ .
(٢) علوي حافظ إسماعيلي ، من مقالته "ما التداوليات؟" ، في كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، ص٢٤ .

الفصل الأول :

الأمر بين التراث والدراسات التداولية

المبحث الأول : الأمر عند البلاغيين والأصوليين والمفسرين والنحويين

المبحث الثاني : الأمر في الدراسات التداولية

المبحث الأول

الأمر عند البلاغيين والأصوليين

والمفسرين والنحويين

الأمر بين التراث والدراسات التداولية

المبحث الأول : الأمر عند البلاغيين والأصوليين والمفسرين والنحويين

يُعد الأمر من أكثر الأساليب الإنشائية والطلبية وروداً ودوراناً في الكلام والمواقف التواصلية بين المتكلم والمخاطب، وقلَّ الأمر للغائب،(إن الأمر قد كثر في كلامهم للمواجه المخاطب وقل ذلك للغائب)(١)، وكذلك أظهر في الدلالة على الإنشائية، بالتالي فهو أكثر الأساليب الإنشائية المؤثرة في الموقف الكلامي، لأنه يحمل قوة إنجازية كبيرة ينتجها المتكلم وتؤثر في المخاطب بشكل مباشر مما تنشأ عنها أفعال الكلام التي هي من صميم الدرس التداولي، لذا فمن المفترض من منتج الخطاب أن يراعي الموقف الكلامي قبل أن ينتج الأمر وذلك من باب الأدب في الحديث والمحافظة على الذوق العام .

وبما أن الأمر هو أكثر صيغ الطلب وروداً في الكلام فمن الطبيعي أنه أكثر الأساليب الإنشائية تغيراً في الدلالة وتحولاً في الخطاب، بسبب الموقف الكلامي الذي يمثله المتكلم والمخاطب وملابسات الخطاب الذي يمثله الظرف الاجتماعي المحيط بالخطاب، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر : أن الأمر يشترط فيه الاستعلاء، كأمر الأب لابنه، وأمر المعلم لطلابه، وإذا تساوى فيه المتكلم والمخاطب يسمى التماساً كأمر الصديق لصديقه، أما إذا كان المتكلم أدنى منزلة من المخاطب يسمى دعاء أو سؤالاً وذلك إذا خضع المتكلم للمخاطب، فالناس مختلفون في منازلهم ومكاناتهم، فمنزلة المتكلم مقارنة بمنزلة المخاطب هي التي تصبغ الأمر بصبغة خاصة يؤدي بها اللفظ غرضاً خطابيا خاصاً و وظيفة تواصلية معينة(٢) .

إن محط الخلاف الواسع بين الأصوليين والبلاغيين والمفسرين في الأمر هو الدلالة الحقيقية له، والأثر الذي يتركه الأمر على مستقبله، وفي أساليب الأمر التي تدل على الوجوب، وفي دلالات الأمر المجازية الأخرى .

لم يهتم النحاة بالأمر دلالياً وتداولياً – بشكل مباشر – بينما كان اهتمامهم فيما يخص أحواله وصيغه وإعرابه وأحوال بنائه في التركيب وغير ذلك من القضايا النحوية الأخرى المتعلقة بصيغة الأمر، ويتضح ذلك عند سيبويه والمبرد حيث إنهم لم يضعوا حداً اصطلاحياً للأمر بل اكتفيا بالقضايا النحوية التي تختص بصيغة الأمر وأثر صيغة

(١) انظر : أبا عبدالله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه ، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤١م، ص٤٢

(٢) انظر : الأوسي قيس اسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد – بيت الحكمة، ص٨٣ وما بعدها .

الأمر على المعمول، على الرغم من أنهما قد خصصا بابا للأمر والنهي[١]، لذا نجد بأن علماء النحو المتقدمين منهم – على الأقل – نظروا إلى صيغة الأمر من زاوية واحدة فقط، ألا وهي زاوية (العامل)، وفصلوا في معمول صيغة الأمر، واستبعدوا –إلى حد ما– طرفي الخطاب (المتحدث والمخاطب) كما أنهم أهملوا الموقف التواصلي وملابساته الثقافية والاجتماعية (مقام الكلام)، كما أهملوا الدلالة والأثر الذي يسبق ويتزامن ويعقب إنتاج الأمر، كما أهملوا الأثر الذي، ولعل ذلك يبتعد باللغة عن الغاية التي جاءت من أجلها اللغات الطبيعية كما ذكر ذلك ابن جني عن اللغة " أما حدها (فإنها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[٢]، كما أن في ذلك إهمال للكيفية التي يستعمل بها أهل اللغات لغاتهم، فاللغات حية تعيش وتموت، يُعمل بها وتُهمل، والنظر إليها من جانب أحادي صرف يلغي الجانب الحيوي للغات الإنسانية .

ولا يمكن لنا بأي حال من الأحوال أن نتجاهل ونغفل عن بعض الملامح التداولية المبثوثة في كتب المتقدمين من علماء النحو، والسبب يرجع في أن مجال علم النحو يشتغل في المسار نفسه الذي تشتغل فيه التداولية، وهو مسار اللغة الإنسانية الطبيعية، وطبيعة وظائفها التواصلية. ويتضح لنا ذلك من خلال الملامح التداولية في القضايا العامة والقضايا الجزئية في الدرس النحوي من خلال مفهوم النحو عند القدماء والهدف منه، إذ إنه ليس مجموعة من القواعد التي تضبط أواخر الكلمات و تصحح خطأ وتقوم لحناً، إنما هو منظومة متكاملة من الرؤى للغة في أبعادها الاستعمالية الواسعة والمختلفة، كما أن الهدف من علم النحو أنه يخدم أبعاداً دلالية، واجتماعية، ودينية، وسياسية، للحفاظ على نظام التواصل من الاختلال (النظام التداولي). بالإضافة إلى أن هناك أبواباً كاملة في النحو قامت على اعتبار البعد التداولي والدليل على ذلك أن تقعيدهم لعلم النحو جاء من خلال الرجوع إلى اللغة العربية التي يستعملها العربي في تواصله مع أفراد مجتمعه، ويتضح ذلك جلياً في باب النداء، وباب الندبة، وباب الاستغاثة، وباب التعجب، وباب المدح والذم وغيرها من الأبواب، فهي أبواب قائمة على البعد التداولي الذي يجعل من النحو العربي قابلاً للتطور والتجدد[٣].

---

(١) انظر: سيبويه ، الكتاب ، ج١/ص١٣٧ . المبرد ، المقتضب ، ج٢/ص١٢٩

(٢) أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، ١٩٥٢م، (٣٣/١) .

(٣) انظر : حمام بلقاسم محمد ، الملامح التداولية في النحو العربي، بحث منشور في مجلة الآداب،م٢٦، ع٢، الرياض، جامعة الملك سعود، ص٩٥ومابعدها.

بينما اعتنى البلاغيون والأصوليون والمفسرون أيما اعتناء بأبواب دلالات الألفاظ لأن عليها مناط فهم النص الشرعي في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لا سيما فيما يتعلق بدلالة الأمر، لأنه من أكثر الأساليب وروداً في النص الشرعي كما أنها من أكثر الأساليب التي كانت محط خلاف بين الأصوليين والمفسرين وذلك حول دلالة الأمر.

لقد أورد الآمدي في الإحكام مقتضيات الأمر ودلالته إذا وردت بصيغته الأصلية (افعل) عارية عن القرائن، حيث بين بأن الأصوليين قد اتفقوا على إطلاق صيغة (افعل) بإزاء خمسة عشر اعتباراً[١]، وأوجز الخلاف بين الأصوليين والبلاغيين والمفسرين في قوله "اتفقوا على أنها مجاز فيما سوى الطلب والتهديد والإباحة، غير أنهم اختلفوا،فمنهم من قال إنها مشتركة كاشتراك لفظ القرء بين الطلب للفعل ، وبين التهديد المستدعي لترك الفعل، وبين الإباحة المخيرة بين الفعل والترك . ومنهم من قال إنها حقيقة في الإباحة مجاز فيما سواها، ومنهم من قال إنها حقيقة في الطلب ومجاز فيما سواه ، و هو الأصح ، وذلك لأنا إذا سمعنا أن أحداً قال لغيره افعل كذا، وتجرد ذلك عن جميع القرائن، وفرضناه كذلك، فإنه يسبق إلى الأفهام منه طلب الفعل واقتضاؤه من غير توقف على أمر خارج ، دون التهديد المستدعي لترك الفعل ، والإباحة المخيرة بين الفعل والترك . ولو كان مشتركاً أو ظاهراً في الإباحة لما كان ذلك . وإذا كان الطلب هو السابق إلى الفهم عند عدم القرائن ، دل ذلك على كون صيغة افعل ظاهرة فيه"[٢] .

إذاً يعد الأمر من المباحث النظرية التطبيقية التي عني بها العلماء على اختلاف اتجاهاتهم، لذا سوف أقوم بالحديث عن الأمر، وذلك وفق المطالب التالية:

أ) الأمر عند البلاغيين
ب) الأمر عند الأصوليين
ج) الأمر عند المفسرين
د) الأمر عند النحويين

---

(١) الوجوب كقوله تعالى :"أقم الصلاة" و الندب كقوله تعالى : "فكاتبوهم" و الإرشاد كقوله تعالى : "فاستشهدوا" والفرق بين الندب والإرشاد أن الندب الأمر فيه من الشارع الحكيم، والإرشاد من يكون من غيره . والإباحة كقوله تعالى : "فاصطادوا" والتأديب كقوله صلى الله عليه وسلم "كل مما يليك" والامتنان كقوله تعالى : "كلوا مما رزقكم الله" والتهديد كقوله تعالى : "اعملوا ما شئتم" والإنذار كقوله تعالى: "تمتعوا" وهو في معنى التهديد ، والتسخير كقوله تعالى : "كونوا قردة خاسئين" والتعجيز كقوله تعالى: "كونوا حجارة" والإهانة كقوله تعالى : "ذق إنك أنت العزيز الحكيم" والتسوية كقوله تعالى : "فاصبروا أو لا تصبروا" والدعاء كقوله تعالى: "اغفرلي" والتمني كقول الشاعر : "ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي" وكمال القدرة كقوله تعالى : "كن فيكون" .
(٢) الآمدي علي بن محمد ، الإحكام في أصول الأحكام ، تعليق : عبدالرزاق عفيفي ج٢ / ص١٧٥ .

الأمر عند البلاغيين

أشرت – فيما سبق – إلى أن الأمر أكثر صيغ الطلب وروداً في النصوص الشرعية سواء في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف، بل حتى في الخطابات اليومية، عن طريق صيغ مخصوصة، وتحوي هذه الصيغ أغراضاً تواصلية اجتماعية يقصدها منتج الخطاب، وبالتالي هي تحقق الهدف التواصلي للغة بشكل مباشر.

وحينما كان الأمر من أكثر الأساليب الإنشائية استعمالاً في الخطاب الاجتماعي كان ذلك أحد أهم أسباب التحول في دلالته الأصلية، بالإضافة إلى الموقف الكلامي والظروف المحيطة بالخطاب وحال المتكلم وحال المخاطب، فتلك عناصر تتظافر لتحول دلالة الأمر وتصرفه عن دلالته الأصلية .

لذا يُعد الأمر عند البلاغيين من المباحث الطلبية الإنشائية، وهو كما يقولون مغاير فى الحقيقة لماهية الخبر، فالخبر دال على حصول أمر فى الخارج، فإن كان مطابقا له فهو الصدق، وإلا فهو الكذب، بخلاف الإنشاء، فإنه لا يدل على حصول أمر، بل من حقيقة الطلب أن لا يكون مطلوباً إلا مع كونه معدوما فى حال طلبه(١).

وسوف أتحدث في هذا المطلب عن الأمر من خلال المحاور التالية:

- **الأمر في اللغة وفي الاصطلاح البلاغي.**
- **صيغ الأمر اللغوية.**
- **الفروق الدلالية بين صيغ الأمر.**
- **عناصر ومحددات الدلالة الحقيقية للأمر.**
- **الدلالات التي تخرج إليها صيغ الأمر.**

(١) انظر: المؤيد باللَّه يحيى بن حمزة الحسيني العلويّ الطالبي ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مصر، مكتبة المقتطف، ١٣٣٢هـ ،(٢٨٠/٣).

❐ أولًا: الأمر في اللغة وفي الاصطلاح البلاغي

الأمر لغةً:

الأمر، "هو مصدر الفعل "أَمَرَ"، والأمر في اللغة معروف – كما وصفه ابن منظور- هو (نقيض النهي) [١]، ونقول في "أمر زيدٌ خالداً" أي: (كلفه شيئاً)[٢]، وذلك لأن الأمر هو طلب لإيقاع الفعل وإيجاده، بعكس النهي الذي هو طلب لترك إيقاع الفعل، و نقول (أمرته إذا كلفته أن يفعل شيئاً وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها)[٣]، ويقول ابن فارس مبيناً الأصول الخمسة لمادة "أمر": «الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر ضد النهي، والأمر النماء والبركة بفتح الميم، والمعلم، والعجب»[٤]، وسوف أبني كلامي على الأصل الثاني من الأصول اللغوية فهو المعْني بالدراسة، وهو أن الأمر ضد النهي .

ويوضح ابن فارس في تعليقه على الأصل الثاني من الأصول الخمسة التي بُنيت عليه مادة "أمر" قائلًا: «والأمر الذي هو نقيض النهي قولك افعل كذا. قال الأصمعي: يقال: لي عليك أمرة مطاعة، أي: لي عليك أن آمرك مرة واحدة فتطيعني. قال الكسائي: فلان يؤامر نفسيه، أي: نفس تأمره بشيء ونفس تأمره بآخر. وقال: إنه لأمور بالمعروف ونهي عن المنكر»[٥].

ومعلوم أن هذا المعنى – الأمر نقيض النهي- هو الأكثر انتشارًا في المعاجم اللغوية، وقد ذهب إليه غير واحد من اللغويين العرب[٦].

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة "أمر" ، دار المعارف ، تحقيق :عبدالله الكبير ، هاشم الشاذلي ، محمد حسب الله، ص ١٢٥ . ومقاييس اللغة ، ابن فارس ١/١٣٧ .

(٢) المعجم الوسيط ، ٢٦/١

(٣) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق، محمد سيد كيلاني ، ص٢٤

(٤) الرازي أحمد بن فارس القزويني ، معجم مقاييس اللغة ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،عمان – الأردن(١٣٧/١).

(٥) المرجع السابق، ١٩٧٩م، (١٣٧/١).

(٦) انظر : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م . وانظر : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

الأمر في الاصطلاح البلاغي:

أما الأمر في اصطلاح البلاغيين فهو: «صيغة تستدعى الفعل، أو قول ينبيء عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»[١] ، وأمر فلاناً : طلب منه القيام بأمر أو فعل، وهو في علم المعاني طلب فعل شيء صادر ممن هو أعلى درجة إلى ماهو أقل منه ... وله أربع صيغ : فعل الأمر و المضارع المقرون بلام الأمر و اسم فعل الأمر والمصدر النائب عن فعل الأمر" [٢] .

وقد اشتمل التعريف السابق للأمر عند البلاغيين، على بعض القيود والمحترزات التي تميز الأمر عند البلاغيين عن غيرهم من أصحاب الفنون الأخرى، وهذه القيود على النحو التالي[٣] :

- عدم اشتراط البلاغيين صيغة مخصوصة للأمر، فقولهم «صيغة تستدعى، أو قول ينبيء» يدل ذلك على أي صيغة وأي قول يفهم منه أمراً، فلم يحددوا صيغة «افعل»، «ولتفعل» للدلالة على الأمر كما يقول المتكلمون والأصوليون، فجميع الأقوال الدالة على استدعاء الفعل فى نحو الفارسيّة، والتركية، والرومية، فإنها كلها دالة على الاستدعاء من غير صيغة «افعل»، «ولتفعل»، ونحو قولنا: نزال، وصه، فإنهما دالان على الاستدعاء من غير صيغة«افعل».
- احتراز البلاغيين في الأمر عن أمر الإنسان نفسه، وذلك في قولهم: «من جهة الغير»، أي يحترز به عن أمر الإنسان نفسه، فإن ذلك إنما يكون أمراً على جهة المجاز.
- احتراز البلاغيين عنصر الرتبة والعلو في الأمر، فقولهم «على جهة الاستعلاء» يحترز به عن الرتبة فإنها غير معتبرة فى ماهية الأمر عند البلاغيين، بدليل أن العبد يجوز أن يأمر سيده بما هو على جهة الاستعلاء، ولا يصفونه بالحماقة، ولو كانت الرتبة معتبرة لم يعقل ذلك فى حق العبد، لبطلانها فيه، فهذه هى الماهية الصالحة للأمر فى نحو قولك «افعل» للمخاطب، و «ليفعل» للغائب، إلى غير ذلك من الصيغ المقررة فى علم الإعراب.

هذه هي القيود والمحترزات للأمر عند البلاغيين، والمتأمل في هذه القيود يجد أن لمصطلح الأمر في الاصطلاح البلاغي أوجه اتفاق وأوجه اختلاف بين كل من البلاغيين وغيرهم من الأصوليين والمفسرين والنحويين، وهذا ما سيتضح ويبدوا جليًا من خلال هذا المبحث للأمر عند كل فريق .

---

(١)المؤيد باللّه يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (٢٨١/٣)

(٢) إميل يعقوب، المعجم المفصل ، ص١٤٨

(٣) انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، (٣/ ٢٨٢).

إذا يتضح لنا بأن الأمر عند البلاغيين هو طلب حصول الفعل أو الشيء من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام وهو ما يسمى بالأمر الحقيقي، لذا يعد الآمر نفسه عالياً لمن هو أقل منه شأناً، سواء عالياً في السن أو القدر أو المنصب، ولهذا نجد بأنه إذا لم يكن الآمر عالياً سناً أو قدراً عُدَّ ذلك من سوء الأدب، فإذا تحقق شرط العلو يفيد الأمر إيجاباً على الفور وعدم التراخي، أما إذا لم تتوافر في الأمر صفتا الاستعلاء أو العلو والإلزام يعد هذا الأمر غير حقيقي، فيخرج إلى معاني أخرى يقصدها منتج الخطاب، كما سوف يأتي .

❐ ثانياً: صيغ الأمر

للأمر في اللغة صيغ كثيرة يفضي معناها إلى الأمر، سواء كانت تلك الصيغ حقيقية أو مجازية، وسوف اكتفي بذكر الصيغ الأساسية والمباشرة، ويمكن إجمالها فيما يلي(١) :

١. **الأمر بصيغة (افعل)**

٢. **الأمر بصيغة (ليفعل) المضارع المجزوم بلام الأمر**

٣. **الأمر بصيغة (اسماء الأفعال)**

٤. **الأمر بصيغة (المصدر)**

(١) الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، بيروت ، المكتبة العصرية،ص: ٧١ .

١. الأمر بصيغة (افعلْ) :

وهي إحدى صيغ الأمر الأشهر والأكثر استعمالاً ودوراناً في الكلام وفي المواقف التواصلية المختلفة وهي الصيغة الأم لآلية الأمر في اللغة ، ولا تكون هذه الصيغة الا للمخاطب وللمخاطبين، كقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٢)، و "المراد بصيغة (افعلْ) هو كل لفظ يشتق على غرار (افعلْ) للدلالة على طلب الحدث الذي تشتق منه هذه الصيغة، فتطلب حدث الشرب بصيغة (اشرب)، وتطلب حدث السماع بصيغة (اسمع) ... كما أنه يشمل غير الثلاثي مثل كلمة (استقم) فإنها على وزن (استفلْ) ومثل كلمة (انتظر) فإنها مصوغة على غرار (افعلْ) ولكنها على وزن (افتعلْ) ومثل كلمة (أقمْ) فإنها ليست على وزن (افعل) ولكنها على غرارها في الاشتقاق"(٣) . وفي الإغراء والتحذير "يضمر فعل الأمر فيحذف الفعل استغناء بشواهد الحال، وذلك عندما يكون سياق الكلام سياق طلب"(٤)، ففي قولنا : النارَ النارَ نجدها منصوبة على التحذير ، والتقدير : احذروا النارَ ، ومثلها : الصلاةَ الصلاةَ نجدها منصوبة على الإغراء ، والتقدير : الزموا الصلاةَ .

٢. الأمر بصيغة (ليفعل) المضارع المجزوم بلام الأمر :

وهو اقتران الفعل المضارع بلام الأمر الجازمة ، وهي لام يطلب بها الفعل المضارع الداخلة عليه، وهذه (اللام) تستعمل في أمر الغائب وهو كثير أو أمر المتكلمين أو أمر المخاطب، وقد وردت في القران الكريم في قوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾(٥) .

---

(١) سورة هود : الأية ١١٢.

(٢) سورة البقرة : الآية ١١٠.

(٣) المحيمد ياسين جاسم ، الأمر والنهي عند علماء العربية والأصوليين ، راجعه وقدم له: محمد بهجة الأثري ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ،ص٢٥ .

(٤) الأوسي قيس اسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، بغداد ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد – بيت الحكمة ، ص١٣٢ ، و انظر: سيبويه ، الكتاب: ١٣٢/١.

(٥) سورة الطلاق : الأية ٧.

وقوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾ (١) حيث جاءت للغائب، وقد دخلت على فعل المتكلم ودخولها على فعل المتكلم قليل نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢)، ونحو قول القائل : (قُمْ ولأ قم معك)، كما دخلت لام الأمر على فعل المخاطب، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣)، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها (فَبِذَلك فَلْتَفْرَحُوا) بالتاء؛ وهي قراءة يزيد بن القعقاع ويعقوب على المخاطبة وكلاهما نادر(٤).

٣ . الأمر بصيغة (أسماء الأفعال) :

أسماء الأفعال هي : ألفاظ تقوم مقام الأفعال في الدلالة على معناها وفي عملها (٥)، إذاً فهو اسم يدل على فعل معين ويتضمن معنى الفعل و زمنه وعمله من غير أن يقبل علامته أو يتأثر بالعوامل الداخله عليه، نحو قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦) وقسم النحويون اسماء الافعال على ثلاثة أزمنة وهي(٧) :

---

(١) سورة الكهف : الاية ٢٩

(٢) سورة العنكبوت: الاية ١٢

(٣) سورة يونس : الآية ٥٨

(٤) انظر : السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر، معترك الاقران ، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ٢٨٦/٢ . و انظر : المالقي أحمد بن عبدالنور، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، تحقيق : أحمد الخراط ،دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ٢٢٧ص .

(٥) محمد محي الدين عبدالحميد ، شرح ابن عقيل ، صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، طبعة منقحة ، ١٩٨٨م ، ٢٧٧/٢ .

(٦) سورة المائدة، آية رقم : ١٠٥

(٧) انظر : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر،كتاب سيبويه ، تحقيق وشرح : عبدالسلام هارون ، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م ، الجزء الأول: ٢٤١–٢٤٢–٢٤٨–٢٤٩ .

١. اسم فعل ماضٍ، نحو (شتان) و (هيهات) فالأول بمعنى (افترق) والثاني بمعنى (بعد).

٢. اسم فعل مضارع، نحو أفٍ بمعنى (أتضجر)، و (وي) بمعنى (أعجب).

٣. اسم فعل الأمر، وهو الغالب والكثير فيه، نحو : إليك عني بمعنى (اذهب عني) ، وصه بمعنى (اسكت) ، ودونك بمعنى (أمامك)، وهلم بمعنى (أقبل)، و رويدك بمعنى (تمهلْ)، وحيهل بمعنى (استعجل)، و (مه) الصوت المستعمل للزجر والمنع عن الشيء، إذا فهي بحسب نوع الفعل الذي يدل عليه اسم الفعل، فهي إما اسم فعل أمر، وإما اسم فعل مضارع، و إما اسم فعل ماضي، فيجري على أسماء الأفعال ما يجري على الأفعال في الدلالة الزمانية .

٤ . الأمر بصيغة (المصدر) :

هو أحد أساليب الأمر في اللغة العربية، وهو إقامة المصدر مقام فعل الأمر وأن يجري مجراه ويؤدي مايؤديه من معنى الأمر، نحو قوله تعالى :﴿ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ .يقول سيبويه : "ومما أجري مجرى الفعل من المصادر" قول الشاعر :

عَلَى حِينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ فَنَدْلاً، زُرَيْقُ، المالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ

كأنه قال :(اندلْ)"(١)، وحكم هذه المصادر النصب، وقد تأتي مرفوعة، ولكنها أقل من النصب من ناحية كثرة الاستعمال والتداول، حيث يرى أبو عبيدة أن المصدر إذا كان وحده ينصب ويؤدي معنى الأمر، وإذا كان موصوفاً يرفع ولا يؤدي معنى الأمر، يقول في قوله : (فصبر جميل) "مرفوعان لأن (جميل) صفه للصبر، ولو كان (الصبر) وحده لنصبوه كقولك (صبراً) لأنه في موضع (اصبر)، فإذا وصفوه رفعوه"(٢) .

(١) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ،كتاب سيبويه ، ١/١١٥-١١٦

(٢) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مجاز القران ، تعليق: محمد فؤاد سزكين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٨م، ص٣٠٣-٣٠٤ .

❐ ثالثاً: الفروق الدلالية في صيغ الأمر :

بعد هذا العرض المقتضب للصيغ الرئيسة للأمر، يقدح في أذهاننا تساؤل، وهو هل هناك فروق دلالية بين هذه الصيغ؟ بمعنى آخر هل يحتاج منتج الخطاب أن يستدعي صيغة مخصوصة من صيغ الأمر الآنف ذكرها تمكنه من تحقيق تواصل ناجح يقصده المتكلم ويدركه المخاطب ومتناسب مع الموقف الكلامي الحالي ؟

بداية نحن نعلم أن صيغ الأمر تدخل في فن علم المعاني الذي هو أحد فروع علم البلاغة العربية، ومناقشة صيغ الأمر على المستوى الدلالي تدخل بشكل مباشر في علم المعاني، لأنه من أساليب الطلب التي يتحقق فيها الطلب أكثر من غيرها من الأساليب الإنشائية.

فإن صيغ الأمر تتطلب قدرة في التعبير حسب مقتضى الحال، لذا يحتاج المتكلم إلى أن يتصرف بأساليب الأمر المفردة والمركبة بما يناسب المقام وتناسب أحوال المخاطبين، ومن هذا يظهر أثر علم المعاني الذي عبر عنه السكاكي بأنه "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليتحرز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره" (١).

إن صيغة الأمر (افعل) أشد من الأمر بصيغة (ليفعل) لأن منتج الخطاب يلقي في الأولى بمادة الفعل إلى المخاطب آمراً إياه بإيقاع الفعل، وليس في الثانية ما يشير الى الأمر سوى اللام، أي أن مادة الفعل لم تفتقر إلى وسيط كي ينقلها إلى صيغة الأمر، بالتالي هي أكثر تأثير في النفس، بعكس الفعل المضارع الذي انتقل إلى (الأمر) بزيادة اللام فقط، بالإضافة (ليفعل) صيغة لأمر الغائب أكثر منها لأمر المخاطب، فضلاً على ذلك فالعرب استعملوا صيغة (افعل) بكثرة في كلامهم، فمعناه افعل فوراً وعدم التراخي، وهذا شأن الطلب في الجملة الطلبية(٢). ونجد بأن صيغة (افعل) في كثير من المواقف التواصلية – ذات الطابع الرسمي والأدبي– يجد فيها المتكلم من الحرج وذلك مما تحمله هذه الصيغة من حدة في إيقاع مادة الفعل .

---

(١) القزويني جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة ، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية ، ص ١٥.

(٢) انظر : أبو عبدالله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه ، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، بيروت – لبنان، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٥هـ ، ص٤٢ .

أما بالنسبة لاستعمال صيغة المصدر لطلب إيقاع الفعل، فقد يكون المصدر بدلا من لفظ الفعل، ويقع في موضعه ويقوم مقامه وينوب عنه، وذكر ابن فارس في إقامة المصدر مقام الأمر دلالة على الأمر والإغراء بالفعل، يقول: "ومن سنن العرب، (التعويض)، وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة.. ..ومن ذلك إقامة المصدر مقام الأمر، كقوله جل ثناؤه : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُون﴾ فتأويل الاية : سبحوا لله جل ثناؤه، فصار في معنى الأمر والإغراء، كقوله جل ثناؤه ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ " (١) .

وتجدر بي الإشارة هنا إلى أن المصدر جاء عوضاً عن فعل الأمر فكان أكثر شدة وأكثر قوة و وقعاً في نفس المخاطب من وقع فعل الأمر نفسه (افعل)، لأن المصدر هو اختصار كما بينه الزمخشري، ففي إقامة المصدر مقام الفعل اختصار مع إعطاء معنى التوكيد، يقول الزمخشري في قوله تعالى : ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ : "وأصله : (فاضربوا الرقاب ضرباً) فحذف الفعل، وقدم المصدر فأنيب منابه مضاف الى المفعول وفيه (اختصار) مع إعطاء معنى (التوكيد) لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه"(٢)، لذا إن المصدر أقوى وأثبت لدى المخاطب من الفعل، وذلك لأن المصدر هو الحدث المجرد من الزمن، والفعل هو الحدث المقترن بالزمن، والأمر بالمصدر أُريد به الحدث المجرد وهو آكد من الفعل لمجيئه بالحدث، يقول ابن الأثير : "ومن حذف الفعل باب يسمى (إقامة المصدر مقام الفعل) وهو باب لطيف المأخذ وإنما يفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد، كقوله تعالى : ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾، قوله : (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الأعناق ضرباً، فحذف الفعل، وأقيم المصدر مقامه، وفي ذلك اختصار مع إعطاء معنى التوكيد المصدري"(٣).

(١) ابن فارس أحمد بن زكريا ، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تعليق : أحمد حسن بسج ، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م ، ص١٧٩-١٨٠ .

(٢) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ (٥/٥١٥- ٥١٦) .

(٣) ضياء الدين بن الأثير الجزري ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، تحقيق : مصطفى جواد و جميل سعيد ، العراق ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٦م ، ص١٢٨ .

ويرى تمام حسان أن في استعمال المصدر، اختلافا لا يساوي الفعل من حيث الدلالة، بحيث أن هناك ثمة فرق لطيف بين الفعل والمصدر، فالفعل يكون للطلب المحض، بينما المصدر يفيد إلى جانب الطلب معنى آخر إفصاحياً انفعالياً فيه من الحث والحض على الفعل ما لا توجد في صيغة الأمر المجردة(١).

إذا فالمصدر أقوى وأثبت من الفعل لأنه الحدث المجرد من الزمان والفعل هو الحدث المقترن بالزمن فحينما نأمر بالمصدر فقد أردنا الحدث المجرد وهو آكد من الفعل لمجيئنا بالحدث وحده من دون قرينة زمانية .

أما اسماء أفعال الأمر فهي أيضاً أبلغ في معنى (الأمرية) من فعل الأمر، فضلاً عن الإيجاز، يقول ابن يعيش : "وإنما أتي بهذه الاسماء لما ذكرناه من إراد الإيجاز والمبالغة في المعنى، فـ (نزال) أبلغ في المعنى من (انزل) و (تراك) أبلغ من (اترك)، وانما غير لفظ الفعل الواقعة هذه الاسماء موقعه ليكون ذلك أدل على الفعل وأبلغ في إفادة معناه"(٢).

وعبر عنها تمام حسان بـ(الخوالف) وهي "كلمات تستعمل في أساليب إفصاحية، أي في الأساليب التي تستعمل للكشف عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه"(٣) فهذه الأسماء تستعمل في موضع الأفعال التي تدل عليها، لما في هذه الاسماء من المبالغة في المعنى والدلالة على الشدة . وقد أضاف تمام حسان البعد النفسي من خلال الدلالة النفسية التي تحملها اسماء الأفعال التي ينتجها المتكلم، كـ(صه) وما يصاحبه من موقف انفعالي غاضب، بالإضافة إلى المبالغة في المعنى والشدة في الدلالة والفورية .

(١) انظر : حسان تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٥٤-٢٥٥ .
(٢) ابن يعيش يعيش بن علي بن يعيش ، شرح المفصل ، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، بيروت ، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م ، (٥٠/٤).
(٣) حسان تمام ، اللغة العربية: معناها ومبناها ، ص١١٣.

❐ رابعاً : محددات الدلالة الحقيقية للأمر عند البلاغيين(١):

يرى البلاغيون أن الدلالة الحقيقية للأمر تكون بوجود عناصر ومحددات رئيسة تتضافر لتشكل الدلالة الحقيقية والصريحة للأمر وهي :

عنصر العلو : والمقصود بها أن تكون مكانة الآمر أعلى من مكانة المأمور كمكانة السيد بالنسبة لخادمه، والاستاذ بالنسبة لتلميذه . فالأمر يكون للوجوب إذا كان الآمر أعلى من المأمور ويكون قاصداً للإلزام عازماً عليه ، وهذا الإلزام ينتفي إذا انتفت صفة العلو عن المخاطب وإلا لكان الأمر واجباً . يقول الجزري "فالسائل موجوب بسؤاله لأنه لا يجوز ترك حاجته، وإلا لما كان سائلاً لها ، ولكنه لا يلزم من كونه موجباً أن تجب إجابته فلا يلزم من إيجابه الوجوب . واعلم أن الخلاف في صيغة "افعل" هل هي للوجوب أم لا ؟ جار فيها بحسب اللغة وبحسب الشرع ، فمعنى الوجوب بحسب اللغة أن الواضع وضعها لطلب لا يجوز الطالب تركه، ولكنه لا يلزم من كونها كذلك أن نقوم بما يوجبه وضعاً..."(٢) .

ومن هنا فإن الإيجاب يُتصور من الولد لأبيه والعبد لسيده والتلميذ لمعلمه، وإن لم تجب عليهما الطاعة، "فليس من ضرورة كل أمر أن يكون واجب الطاعة"(٣)، وعلى هذا فالعلو شرط في و جوب تنفيذ الأمر على المأمور، لا في كون الآمر ملزماً، لذا نجد بأن شرط العلو حاضر في النصوص الشرعية ومن ثم أدخله عدد كبير من الأصوليين في تعريف الأمر كما سوف يأتي .

وهناك ثمة ارتباط لطيف بين الأمر والعلو بحيث يمكن من خلال الموقف الكلامي أو السياقي معرفة الآمر وإن لم يذكر في الكلام، يقول ابن حجر : "قوله صلى الله عليه وسلم ، أُمِرْت : أي أمرني الله، لأنه لا آمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الله، وقياسه في الصحابي إذا قال : أُمرت، فالمعنى أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يحتمل أمرني صحابي آخر، لأنهم من حيث إنهم مجتهدون لا يحتجون بأمر مجتهد آخر...والحاصل أن من اشتهر بطاعة رئيس إذا قال ذلك، فهم منه أن الآمر له هو ذلك الرئيس"(٤) .

ويسهم عنصر العلو في تحديد عدد من دلالات صيغة الأمر، نحو الالتماس، والدعاء، والاقتراح، والنصح، والتكوين والتسخير . فالالتماس "هو قولك لمن يساويك رتبة افعل بدون استعلاء"(٥)، والدعاء "يكون من الأدنى إلى الأعلى"(٦)، بينما نجد بأن عنصر المكانة هو الذي يحدد الفرق بين دلالتي النصح والاقتراح (المشورة)، فالنصح

---

(١) انظر : قاسم حسام ، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة ، دار الآفاق العربية ، ٢٠٠٧م ، ص٤٧ وما بعدها .

(٢) الجزري شمس الدين محمد بن يوسف ، معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول ، تحقيق وتقديم : شعبان محمد اسماعيل ، القاهرة ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ١٩٩٣م ، (١/ ص ٣١٩-٣٢٠) .

(٣) المستصفى ، (٣/ ص١٢٠)

(٤) فتح الباري ، (١ / ص٧٦) ، (٢/ ص٢٦٢)

(٥) الخطيب القزويني وابن يعقوب المغربي و بهاء الدين السبكي ، شروح التلخيص ، ج٢،ص٣٢٠ ، نشر أدب الحوزة .

(٦) المرجع السابق ، (٢ / ص٣٢٠)

إذا توجه للأعلى مكانة كان مشورة واقتراحاً، ذلك أن الأصل في الذي يشير على من هو أعلى منه مكانة فإنه يقدم له عرضاً واقتراحاً، وإن استخدم صيغة الجزم (افعل) فإنما يستخدمها مجازاً عن العرض والمشورة، كما في قول عمر رضي الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم عن حلة عطارد : (ابتع هذه الحلة تلبسها يوم الجمعة)(١)، حيث أن دلالة الأمر هنا هي العرض والاقتراح، ولذا جاء الحديث في رواية أخرى : (لو اشتريتها تلبسها يوم الجمعة)(٢) بصيغة العرض .

عنصر الاستعلاء : وهو عنصر مقامي له علاقة بهيئة النطق وطبيعة الأداء الصوتي للآمر، لذا فهو عنصر غير حاضر في النص المكتوب ولا يمكن تحليله، لأنه عنصر فيزيائي من الدرجة الأولى له علاقة بدرجة الصوت وحدته وغلظته، لذا نجد الآمر في هذا العنصر يرى نفسه صاحب مكانة عالية مقارنة بالمأمور فبالتالي يوجه أمره بغلظة وقوة، ويعني ذلك بأن الاستعلاء لا يستلزم العلو (العنصر السابق) بل "يجوز أن يتحقق من المساوي بل من الأدنى أيضاً" (٣) .

فالعلو أن يكون الآمر أعلى مرتبة من المأمور، كمنزلة الأب من ابنه، والطالب من معلمه. وأما الاستعلاء فهو الطلب على وجه يشعر بالعلو وإن لم يكن الآمر أعلى حقيقة كأن يطلب بغلظة أو رفع صوت أو بلفظ يشعر بالعلو، وهذا يتمثل في طلب الأعرابي من الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال له : (يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي، فَإِنَّكَ لَا تُعْطِي مِنْ مَالِكِ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ) .

إن العلو والاستعلاء عنصران يشتركان في تحديد عدد من الدلالات كالدعاء والوجوب والالتماس، لأن الدعاء هو الطلب على وجه التضرع والخضوع وذلك نحو قولك : "رب اغفر لي"، ويكون من الأدنى إلى الأعلى، فلو قال العبد لسيده على وجه الغلظه : أعتقني ، كان أمراً، ولذلك يعد الأمر من العبد سوء أدب، لأن الأمر لا يكون إلا مع استعلاء، والالتماس كقولك لمن يساويك رتبة "افعل كذا" بدون الاستعلاء المعتبر في الأمر، وبدون التضرع المعتبر في الدعاء .

ولا يرد أن المساواة تنافي الاستعلاء، لأنا نقول المنافي للمساواة هو العلو لا الاستعلاء، فإن الاستعلاء كما تقدم هو عد الآمر نفسه عالياً، بكون الطلب الصادر منه على وجه الغلظة كما هو شأن العالي، وهذا المعنى : أعني جعل الآمر نفسه عالياً في أمره يصح من المساوي بل يصح من الأدنى، فإن دعاوى النفس اكثر من أن تحصى، وظاهر ما

(١) فتح الباري ، (٥ / ص٢٣٢)
(٢) فتح الباري ، (٢ / ص٣٧٣)
(٣) الخطيب القزويني وابن يعقوب المغربي و بهاء الدين السبكي ، شروح التلخيص ، ج٢، ص٣٢١ .

تقرر أن مناط الأمرية في الطلب هو الاستعلاء، ولو من الأدنى، ومناط الدعاء فيه التضرع والخضوع ولو من الأعلى،كالسيد مع عبده، ومناط الالتماس فيه التساوي مع نفي التضرع والاستعلاء، وقد يكون مع الالتماس تضرع وتخضع لكنه لا يبلغ إلى حده في الدعاء[١] .

إن الظرف الاجتماعي هو الفيصل والمحدد في معنى الالتماس، أي أنه قد لا يشترط في طرفي الخطاب المساواة في الرتبة كي يتحقق الالتماس، فالأمر وإن صدر من الأعلى إلى الأدنى قد يكون التماساً وذلك إذا حضرت مصلحة اجتماعية للآمر، فضلا على ذلك إذا صدر من الأدنى إلى الأعلى يعد التماساً أو رجاءً، بينما الدعاء مختص فقط بالخطاب الموجه لله سبحانه وتعالى . ومعنى ذلك أن أكثر صيغ الأمر التي يتم تداولها في خطابنا اليومي تدخل في باب الالتماس والرجاء، وذلك لأن اللغة يعبر بها لإنجاز أغراض اجتماعية، وهذه الأغراض الاجتماعية لا تتحقق إلا بالالتماس والرجاء والتخضع لأن فيها تتحقق المصلحة.

وحصيلة ما تم ذكره أن الاستعلاء يشترط فقط في دلالة الوجوب إذا تحققت صفة العلو في الآمر، كالخطاب الرباني للعباد، أو كما في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها حينما وقف على باب حجرتها غاضباً ولم يدخل حيث كان يوجد قرام (ستر رقيق من صوف ذو ألوان) لعائشة رضي الله عنها سترت به جانب بيتها[٢] :(أميطي عنا قرامك هذا) حيث نجد بأن عنصر العلو في خطاب النبي قد تحقق بحكم مقام النبوة ، كما أن عنصر الاستعلاء الذي خالطه الغضب موجود وذلك لوجود القرينة اللفظية الإشارية (هذا) .

كما أن الاستعلاء قد يدل على الإيجاب والإلزام وذلك إذا تخلف عنصر العلو والمكانة، وإن لم يلزم من الإيجاب الوجوب، نحو قول الأعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي، فَإِنَّكَ لَا تُعْطِي مِنْ مَالِكِ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ) ، فواضح أن النطق بالأمر هنا جاء على سبيل الغلظة والقوة حيث تحقق عنصر الاستعلاء، كما أن المتكلم يقصد الإلزام والإيجاب، وإن لم يلزم من إيجابه الوجوب وذلك لتخلف عنصر المكانة، لذا نجد بأنه إذا تخلف عنصر العلو وحضر عنصر الاستعلاء عد ذلك من سوء الأدب .

(١) انظر : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٣٢١
(٢) فتح الباري ، ج١، ص٤٨٤

بينما نجد أن عنصر الاستعلاء متخلفٌ في الأمر وذلك في دلالات النصح والإرشاد والاقتراح والالتماس وذلك لأنه ما يتنافى مع طلب إحداث الفعل الذي يقصده المتكلم والذي يحققه الامر، بالإضافة إلى منافاته مع الأدب العام في عرض النصح والإرشاد والاقتراح والالتماس .

عنصر الإمكان : والمقصود بعنصر الإمكان أن يكون القيام بالفعل المأمور به في قدرة المخاطب . وقد صرح السكاكي بذلك في قانون الطلب حين ذكر أن الطلب نوعان : "نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول"(١) ، والأمر يكون فيما يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول ، لذا فإن عنصر الإمكانية إذا تخلف يؤدي ذلك إلى انتقال الدلالة إلى غير الطلب ، فوجود الإمكانية شرط من شروط إجراء الأمر على أصله و متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل ، تولد منها ما ناسب المقام، .... كما إذا قلت لمن يدعي أمراً ليس في وسعه (افعله) امتنع أن يكون المطلوب بالأمر حصول ذلك الأمر في الخارج بحكمك عليه بامتناعه، وتوجه على مطلوب ممكن الحصول مثل بيان عجزه، وتولد التعجيز والتحدي (٢)، ومن هنا حمل كثير من شراح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم) حملوه على معنى التعجيز حيث قال الكرماني : بأن ظاهره أنه تكليف مالا يطاق ، وليس كذلك ، وإنما القصد طول تعذيبه وإظهار عجزه، كما بين ابن حجر : بأنه خطاب تعجيز لا تكليف(٣)، لذا نجد بأن أهم الدلالات التي يتحول إليها الأمر إذا غاب عنصر الإمكان بالإضافة إلى دلالة التحدي والتعجيز(٤) دلالة الإهانة، كما في قوله تعالى :﴿ قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾(٥)، وهكذا فتخلف عنصر الإمكان يعني دائما أن الأمر لا يجري على أصله وعلى حقيقته ، بل الظرف الاجتماعي والمقامي هو الذي يحمل المكون الدلالي له .

عنصر الزمان : والمقصود بالعنصر الزماني أن يكون المطلوب بالأمر هو القيام بالفعل في المستقبل القريب أو البعيد ، أي بعد وقت الإنجاز الكلامي (وقت التكلم) ، لذا فالفعل المأمور به يجب ألا يكون حاصلاً وقت الطلب "فالطلب يستدعي مطلوباً لا محالة ، ويستدعي فيما هو مطلوبه ألا يكون حاصلاً وقت الطلب"(٦)، فلو تخلف العنصر الزماني

(١) أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، ضبط وتهميش وتعليق نعيم زرزور ، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م ، ص٣٠٢ .

(٢) انظر : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص٣٠٤ و ص٣٠٥

(٣) انظر : فتح الباري ، ج١٣، ص٥٢٨ – ٥٣٥

(٤) يوجد ثمة فرق بين التحدي والتعجيز يتعلق بعنصر الإمكان ، بحيث أنه إذا تخلف عنصر الإمكان في كل من المتكلم والمخاطب كان ذلك تعجيزاً نحو حديث (أحيوا ما خلقتم) بحيث نجد بأن عنصر الإمكان غير حاضر عند الآمر والمأمور معاً ، لكن إذا تخلف عنصر الإمكان لدى المأمور كان ذلك تحدياً ، كما في قوله تعالى : (فأتوا بسورة من مثله) .

(٥) سورة الإسراء ، آية رقم (٥٠)

(٦) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص٣٠٢

عن الأمر، أي لو أنتج المتكلم أمر أو صيغة أمر لطلب إحداث فعلٍ واقع أثناء وقت إنتاج صيغة الأمر تغيرت دلالته وتولدت دلالة جديدة مناسبة للمقام ، "فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل ، امتنع اجراؤها على معانيها الحقيقية ، ويتولد منها بحسب القرائن ما يناسب المقام ... ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(١)، فالمراد من هذا طلب دوام التقوى لا حصولها ، لأنها حاصلة له صلى الله عليه وسلم قبل هذا الطلب"(٢) .

إذا الأمر لا يجوز أن يتعلق – إذا استخدم بمعناه الحقيقي – بما هو حاصل، وإلا خرج الأمر عن حقيقته إلى معنى مجازي ودلالي آخر يفرضه منتج الخطاب ويفسره المخاطب ضمن موقف كلامي معين . لذا نجد أن العنصر الزماني إذا تخلف عن صيغة الأمر تحولت دلالته – غالباً- إلى التشجيع على الفعل وإظهار الرضى عنه وبالتالي طلب المداومة والاستمرار عليه نحو الآية السابقة، وكذلك حديث البخاري أنه صلى الله عليه وسلم (أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال : اعملوا فإنكم على عمل صالح) ، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بقوله (اعملوا) إيقاع الفعل في المستقبل القريب أو حتى البعيد، لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعملون في زمزم أي ان العمل حاصل وقت الطلب ، لكنه حين قال (اعملوا) كان قصده الحث وشحذ الهمم والتشجيع على المواصلة ، فالمطلوب حاصل بالقرائن اللفظية التي وردت في الحديث . وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : (ياسعد ، ارم فداك أبي وأمي) ، حيث أن فعل الرمي كان حاصلاً وقت إنتاج الخطاب ، لكن كان الهدف من ذلك تشجيع سعد بن أبي وقاص وحثه على الرمي، وذلك لأن الموقف الكلامي وملابسات إنتاج النص هي التي أصبغت صيغة الأمر هذه الدلالة .

عنصر المصلحة : الأصل أن الفعل المأمور به يمثل مصلحة بالنسبة للآمر، كقولك : اسكب لي الماء ، أو أحضر الملح أو أغلق الباب، فدائما ما تكون المصلحة في جانب الآمر وتقف في صفه . لكن هذا العنصر قد يتخلف وتصبح المصلحة للمأمور ، نحو قولنا للسائل : خذ هذا المال ، وقول الأب لولده : ذاكر درسك ، وقولنا لمن أصابه هم : ادع ربك فهو فارج همك ، فنجد فيما سبق أن المصلحة تحولت إلى جانب المأمور، وبالتالي فالأمر ليس على حقيقته بل تغيرت دلالته وتحول الخطاب فيه إلى دلالة أخرى يقصدها منتج الخطاب ويفهمها مستقبل النص، وهذه

(١) سورة الأحزاب، آية رقم (١)

(٢) التفتازاني سعد الدين ، شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، تعليق : عبد المتعال الصعيدي ، المكتبة المحمودية ، ١٣٥٦هـ ، ج١ ، ص٢٠٠

الدلالة تكون على درجات متفاوته ومختلفة باختلاف طبيعة المتكلم وعلاقته بالمخاطب(١)، فإذا كانت المصلحة للمخاطب في أمر من أمور الدنيا كانت دلالة الأمر فيها من باب النصح والإرشاد، وإن كانت المصلحة في أمر ديني كانت دلالة الأمر فيها من باب الندب أو الاستحباب أو الإباحة .

❐ خامساً : الدلالات التي تخرج إليها صيغ الأمر

يتضح لنا بأن العناصر والمحددات السابقة التي يُبنى منها الأمر لابد لها أن تكون حاضرة في صيغه وذلك كي يدل الأمر على حقيقته، أما إذا تخلفت إحدى هذه العناصر تحولت الغاية من الأمر إلى غاية شرعية ذات مناط حكم شرعي أو إلى غاية بلاغية لا يترتب عليها مناط حكم شرعي وهي على النحو التالي :

أولا: دلالة الأحكام الشرعية:

دلالة الوجوب : وهي الدلالة التي تدل عليها صيغة الأمر إذا تحققت فيها العناصر السابقة كاملة (العلو – الاستعلاء – الإمكان – الزمان – المصلحة)، أي كان الأمر من الأعلى، صاحب مصلحة، على وجه الاستعلاء، بحيث كان الأمر ممكن فعله من قبل المأمور، وهذا الأمر غير حاصل وقت الطلب، فإذا تحقق ذلك كله ولم يتم فعل ما أُمر المأمور به فإن ذلك يعرض المأمور إلى سخط الآمر ونقمته إذا كان قادراً، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: "صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ"(٢)، وكذلك حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ"(٣)، وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين اللَّه حجاب"(٤) . فنجد بأن أساليب الأمر الواردة والمشار إليها آنفاً دلت على الوجوب لتحقق العناصر الخمسة كاملة .

---

(١) تتحقق المصلحة للمخاطب في الأوامر الإلهية كلها بحيث تكون فيها المصلحة للإنسان دائماً ، سواء كانت هذه المصلحة عاجلة كالأوامر المتصلة برغبات وحاجات الإنسان كالأكل والزواج ، أم آجلة كالأوامر التي تهدف إلى تهذيب النفس كالصلاة والزكاة وصلة الرحم .

(٢) رياض الصالحين : رقم ١٢٢١

(٣) السابق : رقم ١٧٠٧

(٤) السابق : رقم ٢٠٨

بقي لي القول أن هناك دلالة لا تختلف عن دلالة الوجوب وهي ما تسمى بدلالة (الإيجاب)، حيث إنها تكون حاضرة في دلالة الأمر وذلك إذا غاب عنصر العلو في الأمر، فالإيجاب إلزام من غير عالي مكانة أو قد يكون الآمر مساوياً له لكن الأمر يكون على سبيل الغلظة والاستعلاء لتحقيق مصلحة للمتكلم (منتج الأمر)، والتفرقة بين الوجوب والإيجاب رفع الخلاف بين الأصوليين والبلاغيين في تعريف الأمر، حيث اشترط العلو بعضهم و رفضه آخرون، فمن اشترطه نظر إلى المعنى بوصفه قصداً للمتكلم وشرطاً للتشريع، ومن رفض العلو نظر إليه بوصفه قصداً لإفهام للسامع.

والجدير بالذكر هنا أنه من الطبيعي جداً أن لا نجد دلالة الإيجاب في الأحاديث النبوية، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم أعلى مكانة بين البشر وأفضلهم فعنصر العلو متحقق في أوامره، إلا أن دلالة الإيجاب تتواجد في الأحاديث لكن النبي صلى الله عليه وسلم يكون فيها مستقبل الخطاب، كقول الأعرابي : (يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي، فَإِنَّكَ لَا تُعْطِي مِنْ مَالِكِ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ)، وقول أعرابي آخر : (اتقِ الله يا محمد) حيث إن الأمر هنا جاء على سبيل الغلظة المفتقدة لعنصر العلو .

دلالة الندب : حيث نجد أن صيغة الأمر تدل على الندب أو الاستحباب وذلك إذا تحققت العناصر السابقة (العلو – الاستعلاء – الإمكان – الزمان) وغاب عنصر المصلحة أي مصلحة منتج الأمر (الآمر) وتحولت المصلحة للمأمور فحسب، بمعنى أن طلب إيقاع الفعل ليس على سبيل الجزم والإصرار، بل كان إيقاع الفعل على سبيل التفضيل ولمصلحة المأمور وهي التي إذا لم يتم فعل ما أُمر المأمور بها فإن ذلك لا يعرضه إلى سخط الآمر ونقمته وعقابه.

والأحاديث النبوية التي وردت في رياض الصالحين التي دلت على الندب كثيرة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "الْحُمّى مِنْ فَيْحِ جَهَنّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ"(١)، حيث غابت مصلحة الآمر وتحولت إلى المأمور (المصاب بالحمى) بل وكل من كان مكانه، كما أن هذا الفعل الناتج عن صيغة الأمر (أبردوها)، من أنواع التطبيب يستخدمه كل من أصيب بالحمى، فتحول الأمر هنا من الإنشائية (الحقيقية) إلى الخبرية، لأنه أفاد منه كل الناس، فصب الماء البارد على المريض المصاب بالحمى هو لغاية الإبراد وهي من مصلحة المريض وسبب من أسباب الشفاء ، وقد شهد الطب الحديث بذلك، وكان من جملة علاجات الحمى أن الأطباء يأمرون المريض بأن يتحمم بالماء وكلما كان أبرد على وجه لا مضرة فيه فهو احسن وبذلك تزول الحمى بإذن الله.(٢)

وعن المِعْرُوْرِ بن سويد قال: رأيت أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك، فذكر أنه ساب رجلاً على عهد رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فعيره بأمه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ

(١) رياض الصالحين : رقم ١٨٥٧

(٢) العثيمين محمد بن صالح ، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، الرياض ، مدار الوطن للنشر ، ١٤٢٧هـ ، (٦/ ٦٧٨) .

جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ"(١)، (فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس) أي : من طعامه ولباسه قال النووي : الأمر بإطعامهم مما يأكل السيد، وكذا إلباسهم محمول على الاستحباب ، لغياب المصلحة عن الآمر وحضورها لدى المأمور لأن من المصلحة إشعار العبد المملوك بالمساواة والتعطف عليه ، لأن الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه المسلم"(٢).

وعن الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِي اللَّهم عَنْه قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلِ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ فَقُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ قَالَ لَا وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ "(٣)، فجاء الأمر هنا من باب الأمر والاستحباب، لأننا نعلم بأن الوضوء إذا لم تعقبه صلاة فريضة أو نافلة كان من باب الاستحباب والندب في التطهر الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم طيلة يومه خصوصاً وقت النوم، كما أن الاضطجاع على الشق الأيمن أثناء النوم يعود بالمصلحة للنائم، فها هو العلم الحديث اليوم يثبت أن هذه الهيئة هي أفضل الهيئات للنوم وأكثرها نفعاً للجسم حيث أرشدت الأحاديث النبوية إلى النوم على الشق الأيمن، وفي الوقت نفسه جاءت بالنهي عن النوم على هيئات أخرى(٤) .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال : "اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا"(٥)، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يصلى في البيوت ، حيث إن صلاة المرء في بيته أفضل إلا المكتوبة، فدل ذلك على أن الإنسان ينبغي أن تكون جميع نوافله في بيته سواء الرواتب أو صلاة الضحى أو التهجد أو غير ذلك ، حتى في مكة والمدينة الأفضل أن تكون النوافل في البيت ، أفضل من كونها في المسجد وإن

(١) رياض الصالحين : رقم ١٣٦٠

(٢) القاري علي بن سلطان محمد ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، تحقيق : جمال عيتاني ، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١م، ج٦ /٤٦٩.

(٣) سنن أبي داوود "باب ما يقال عند النوم" ، اعتنى به بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ، ص٥٤٤.

(٤) الارتجاع الحمضي وعلاجه، الدكتور محمد محفوظ، مجلة الإسلام اليوم العدد ١٣، ذو القعدة ١٤٢٦، ديسمبر ٢٠٠٥، نقلاً عن موقع: http://www.mykfupm.com/forum/showthread.php?t=249

(٥) سنن أبي داوود "باب في فضل التطوع في البيت"، ص١٧٥

كان ذلك في المسجد الحرام أو المسجد النبوي، لأن عنصر المصلحة هنا متحول إلى المأمور، لذا جرى حكم الندب والاستحباب عليه، حيث تكمن المصلحة في عدة أمور منها، أن البيت إذا صليت فيه صلاة النوافل جعل الله فيه بركة و خيراً كبيرا، كذلك أن أهل البيت إذا رأوا صاحبه يصلي اقتدوا به وألفوا الصلاة وأحبوها ، ولا سيما الصغار منهم ، و كذلك أن الصلاة في البيت أبعد من أن تكون من الرياء ، فالإنسان في المسجد يراه الناس وربما يقع في قلبه شيء من الرياء ، أما في البيت فإنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء فالبعد عن الرياء -بلا شك- فيه مصلحة للمأمور بالإضافة إلى الراحة القلبية والطمأنينة وهذا مما لا شك أنها تزيد في إيمان العبد ، فنجد تحول دلالة الأمر من الوجوب إلى الندب والاستحباب لغياب مصلحة الآمر مع حضور بقية العناصر المكونة لمعنى الأمر(١).

وعن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أن أبا سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال له: إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة قال أبو سعيد: سمعته من رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم (٢)، فنجد بأن الأمر هنا جاء على سبيل الندب والاستحباب، لأن المصلحة في الأمر هنا (فارفع صوتك) انتقلت للمأمور (المؤذن) ، وذلك لما جاء في فضل الأذان، عن النبي صلى الله عليه وسلم "المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة" ، فالمؤذنون تكون لهم ميزة ليست لغيرهم فيعرفون بذلك تنويهاً بفضلهم وإظهاراً لشرفهم ، لأنهم يؤذنون ويعلنون بتكبير الله عز وجل وتوحيده والشهادة لرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، والدعوة إلى الصلاة وإلى الفلاح ، فيعلنونها من الأماكن العالية ، فكان الجزاء من جنس العمل أن تعلو رؤوسهم و وجوههم وذلك بإطالة أعناقهم يوم القيامة، بالإضافة إلى ذلك ما للأذان من فضل عظيم(٣).

(١) انظر : العثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ٥ / ١٤٠ – ١٤١ .

(٢) الإمام مالك بن أنس، الموطأ "كتاب الصلاة- باب ماجاء في النداء للصلاة"، اعتنى به وجمعه ورتبه وخرجه، حسان عبدالمنان، لبنان، بيت الأفكار الدولية ، ٢٠٠٤م ، ص٤٧.

(٣) انظر : العثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ٥ / ٣٢

ثانياً : الدلالات البلاغية :

تخرج صيغ الأمر إلى معاني بلاغية أخرى يقصدها المتكلم ويفهمها المخاطب، لا يترتب عليها حكم شرعي، فقد يأتي الأمر في اللغة بمعانٍ بلاغية متعددة معتمدة على السياق والظرف الاجتماعي التي قيلت فيه، هذة المعاني على النحو التالي(١):

(١) **الدعاء:** وهو أمر الأعلى مكانة بما فيه مصلحة للآمر، فتدل طريقة الأداء الصوتي للأمر على الاستعطاف، وهي صيغة مخصوصة لدعاء الله عز وجل دون غيره، مثاله: في قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾(٢)، وكذلك في قولنا في الدعاء: (اللهم اغفر لي...).

(٢) **الالتماس:** وهو كالدعاء من حيث كون المصلحة في الأمر تعود للآمر، إلا أن الفرق بينهما أن عنصر العلو يكون في الدعاء، بينما الالتماس يكون من المساوي في الدرجة، بالإضافة إلى أن الخضوع موجود أكثر في الدعاء، مثاله: قولك لمن يساويك: أعطني القلم أيها الأخ .

(٣) **النصح والإرشاد** : بحيث يكون الأمر من الأعلى مكانة بما فيه مصلحة للمأمور، ولها أثر كذلك على هيئة النطق فيتخلف الجزم أو تقل درجته، والإرشاد من الشارع ندب –كما سبق- ، ذلك أن الشارع أحرص على مصلحة المأمور مثاله: في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم﴾(٣) .

(٤) **الاقتراح** : ويكون أمر الأدنى مكانة بما فيه مصلحة للمأمور(الأعلى مكانة)، ويتخلف فيه الجزم والإلزام، ومثاله: قولك لرئيسك في العمل: اعمل دورة تدريبية في تحسين أداء الموظفين .

---

(١) انظر: المؤيد بالله ، الطراز لأسرار البلاغة ، (١٥٦/٣) ، الهاشمي ، جواهر البلاغة ، (٧١/١).

(٢) سورة النمل، آية رقم(١٩)

(٣) سورة البقرة، آية رقم(٢٨٢)

(٥) **التهديد**: بحيث يكون الأمر في سياق غضب، ويجب أن يكون شرط العلو حاضراً هنا مثاله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير﴾ (١) .

(٦) **التعجيز والتحدي** : وذلك حينما يتخلف عنصر الإمكان مثاله: قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِين﴾ (٢) .

(٧) **الإباحة**: وهو الأمر على سبيل التخيير، مثاله: قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون﴾ (٣)، ونحو: اجلس كما تشاء .

(٨) **التسوية**: مثاله: – وتدل عليها القرائن اللفظية التي يرد فيها الأمر– ، نحو قوله تعالى: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾ (٤) .

(٩) **الإكرام**: مثاله: قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِين﴾ (٥)، وقولك للضيف: (تفضل على العشاء) .

---

(١) سورة فصلت، آية رقم(٤٠)
(٢) سورة البقرة، آية رقم(٢٣).
(٣) سورة البقرة، آية رقم(١٨٧)
(٤) سورة الطور، آية رقم (١٦).
(٥) سورة الحجر، آيةر قم (٤٦).

(١٠) **الامتنان**: مثاله: قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُون﴾(١) .

(١١) **الإهانة**:مثاله: قوله تعالى: ﴿قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (٢).

(١٢) **التمني**: هو الأمر المراد إذا تخلف فيه عنصر الإمكان، أو هو طلب مالا يتوقع المتكلم حدوثه، مثاله: قول امرىء القيس(٣):

ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الإصْبَاحُ منِكَ بِأَمْثَلِ(٤)

(١٣) **الاعتبار**: مثاله: كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾(٥) .

(١٤) **الإذن**:مثاله: كقولك: لمن طرق الباب (ادخل) .

(١٥) **التكوين والتسخير**: مثاله: كقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون﴾(٦) .

---

(١) سورة النحل، آية رقم (١١٤).

(٢) سورة الإسراء، آية رقم (٥٠).

(٣) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عديّ. وكان أبوه ملك أسد وغطفان. انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، ٢٠٠٤، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين .

(٤) البيت من معلقة امرؤ القيس التي مطلعها: قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل ** بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ، من بحر الطويل. انظر: امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م) ، ٢٠٠٤، ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، بيروت ، دار المعرفة ، (١/ ٤٩) .

(٥) سورة الأنعام، آية رقم (٩٩).

(٦) سورة البقرة، آية رقم (١١٧).

(١٦) **التخيير**: مثاله: نحو: تـزَوَّجْ هنداً أو أختها .

(١٧) **التأديب**: مثاله: كقول النبي ﷺ: «كُلْ مِمَّا يَليكَ»[١] .

(١٨) **التعجب**:مثاله: قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا﴾[٢] .

(١٩) **التشجيع والمداومة**: والمقصود به إظهار الرضا عن الفعل وطلب المداومة عليه، ويدل الأمر على التشجيع إذا تخلف عنصر الزمان، فكان الأمر حاصلاً وقت الطلب، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٣]، فالأمر (اتَّقِ) هنا لم يقصد به إيجاد التقوى، وإنما المقصود به: التشجيع والمداومة على التقوى .

وفي النهاية يتضح لنا بأن الأمر يحمل جملة من الدلالات والمعاني بجانب المعنى الأصلي، إلا أن المعنى الأصلي قد تتحول دلالته ويتغير معناه وذلك بناء على تغير عدد من العناصر والمحددات التي تحكم الأمر، فغياب أحدها أو بعض منه يحيل دلالة الأمر إلى دلالات أخرى تخدم الظرف الاجتماعي والسياق الموقفي التي قيل فيه، كما أن هذه المعاني والدلالات يقصدها المتكلم ويفهمها المخاطب، وبالتالي تؤدي وظيفة دلالية معينة تخدم منتج الخطاب الأمر الذي يؤدي إلى الفعل اللغوي .

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، (٧/ ٦٨)، برقم(٥٣٧٧)، كتاب: الأطعمة، باب: الأَكْلِ مِمَّا يَلِيهِ. ومسلم في "صحيحه"، (١٠٩/٦)، برقم(٥٣١٧)، كتاب: الأشربة، باب: كل مما يليك.

(٢) سورة الإسرا، آية رقم (٤٨).

(٣) سورة الأحزاب: آية رقم (١).

الأمر عند الأصوليين

سبقت الإشارة في المطلب السابق إلى الأمر عند البلاغيين وكيفية تناولهم له وفق رؤية بلاغية إبلاغية يرمي إليها منتج الأمر، وفي هذا المطلب سوف أتعرض للأمر عند الأصوليين، وهذا المطلب من أهم المطالب تعلقًا بالنصوص الشرعية، فالقاعدة الأصولية لا يمكن التأصيل لها ولا النظر إليها إلا من خلال الحكم الفقهي الممثل لها، أي أن القاعدة الأصولية لم تؤصل، ولم تعتبر وتوضع، إلا من خلال التوسع في دراسة الأدلة والنصوص الفقهية المستفيضة، وعليه فإن هذا المطلب قوي الصلة بموضوع البحث نظرًا لأن حقل التطبيق في هذ البحث هو الحديث النبوي الشريف.

وسوف أتحدث في هذا المطلب عن الأمر عند الأصوليين من خلال المحاور التالية:

- **تعريف الأمر في الاصطلاح الأصولي.**
- **تعريف القرينة في اللغة والاصطلاح الأصولي.**
- **دلالة الأمر المجرد عن القرائن عند الأصوليين.**

❐ أولًا: تعريف الأمر في الاصطلاح الأصولي.

لقد اختلف الأصوليون في تعريف الأمر، ومن أشهر التعاريف في ذلك ما يلي:

تعريف الغزالي: «القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به»(١)، فالغزالي لم يشترط صيغة محددة للأمر بل وصفه بأنه (قول) وهو لفظ عام يشمل أي قول يفهم منه الأمر ويقتضي من المأمور الطاعة بفعل ما أُمِرَ به، إلا أنه اعترض عليه الإمام الفخر الرازي(٢) فقال «وهذا خطأ، أما أولاً: فلأن لفظتي المأمور والمأمور به مشتقتان من الأمر فيمتنع تعريفهما إلا بالأمر فلو عرفنا الأمر بهما لزم الدور، وأما ثانياً فلأن الطاعة عند أصحابنا موافقة الأمر وعند المعتزلة موافقة الإرادة فالطاعة على قول أصحابنا لا يمكن تعريفها إلا بالأمر فلو عرفنا الأمر بها لزم الدور»(٣) .

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، المستصفى في علم الأصول ، المحقق: محمد بن سليمان الأشقر بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧م ، (٢/ ٦١) .

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب، توفي: ٦٠٦ هـ. انظر : الأعلام، للزركلي، (٦/٣١٣).

(٣) أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي ، المحصول ، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧م، (٢/ ١٦) .

أما تعريف أبي المظفر السمعاني[1] للأمر فهو «استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه»[2] فهو أمر بصيغته وليس أمر بالإرادة، أي أن الأمر لا تشترط فيه الإرادة. وعند المعتزلة هو أمر بإرادة الأمر المأمور، أي أن الأمر لا يفارق الإرادة، بل إن الأمر مقترنة بالإرادة، فالنائم والساهي لو تكلم بصيغة افعل لم تكن أمرا – عند المعتزلة–، لخلوها من الإرادة.

وتعريف ابن قدامه[3]: «استدعاء الفعل بالقول على جهة الاستعلاء»[4]، وقد عقب ابن قدامة على هذا التعريف قائلًا: وزعمت فرقة من المبتدعة: أنه لا صيغة للأمر، بناء على خيالهم: أن الكلام معنى قائم بالنفس فخالفوا الكتاب والسنة وأهل اللغة والعرف[5]:

أما الكتاب فإن الله –تعالى– قال لزكريا: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[6]، فلم يسم إشارته إليهم كلامًا، وقال ﷻ لمريم: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[7]، فالحجة فيه مثل الحجة في الأول.

(١) منصور بن محمد بن عَبْد الجبّار الإمام أبو المظفّر السَّمعانيّ التّميميّ المَرْوَزِيّ، الفقيه الحنفيّ ثمّ الشّافعيّ. المتوفى: ٤٨٩ هـ. انظر : تاريخ الإسلام، للذهبي، (١٠/٦٤٠).

(٢) أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني ، قواطع الأدلة في الأصول ، المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م ، (١/ ٥٣) .

(٣) عَبْد اللَّه بْن أَحْمَد بْن مُحَمَّد شيخ الإِسْلَام مُوَفَّق الدِّين أَبُو مُحَمَّد المَقْدِسِيّ الحَنْبَلِيّ، وُلِدَ بقرية جمّاعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، له: "البُرهان في القرآن " جزءان، " "المغني " في الفقه، وتوفي: ٦٢٠ هـ. انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبي ، (١٣/٦٠١).

(٤) أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد الجماعيلي المقدسي الشهير بابن قدامة المقدسي ، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م ، (١/ ٥٤٢) .

(٥) انظر: المرجع السابق، (١/ ٥٤٥).

(٦) سورة آل عمران، آية رقم(٤١).

(٧) سورة مريم، آية رقم(٢٦).

وأما السنة فإن النبي ﷺ قال « إِنَّ اللهَ ﷻ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ »[1]، وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ – بعد ما أخذ لسانه –: «كف عليك هذا فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[2]، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم في هذين الحديثين فرق بين حديث النفس والكلام القائم بالنفس وبين ما يُتكلم به ويلفظ وأن الثاني عليه تكون المحاسبة.

وأما أهل اللسان فإنهم اتفقوا على أن الكلام: اسم، وفعل وحرف، واتفق الفقهاء –بأجمعهم– على أن من حلف لا يتكلم، فحّدث نفسه بشيء دون أن ينطق بلسانه: لم يحنث، ولو نطق: حنث. وأهل العرف –كلهم– يسمون الناطق: متكلمًا، ومن عداه: ساكتًا، أو أخرس.

والجدير بالذكر في هذا المقام أن الصراع احتدم كثيراً بين الأصوليين وبين المعتزلة وبين متكلمة الصفاتية[3] في اشتراط الإرادة للأمر، أي: هل يشترط في الأمر إرادة الله لوقوع ما أمر به المكلف؟ فالأصوليون لا يشترطون الإرادة كما سوف يأتي، والمعتزلة يوجبونها حتى لا ينسب إلى الله الظلم؛ لقولهم بالقدر، أما متكلمة الصفاتية –وهم جزء من المعتزلة– يمنعونها؛ لقولهم بالكسب.

ومنشأ الخطأ بين المعتزلة ومتكلمة الصفاتية هو عدم التفريق بين الإرادة الكونية التي لا كسب للإنسان فيها كطلوع الشمس، والتي يلزم وقوعها مع عدم استلزام محبة الباري لها كإرادة وجود الكفار، وبين الإرادة الشرعية المحبوبة التي ربما وقعت وربما لم تقع.

وعلى هذا الأساس فقد ذكر السمعاني كلامًا مهما في هذا المقام عقَّب به على تعريفه المذكور آنفًا: «وقد حد بعضهم الأمر فقال حد الأمر أنه إرادة الفعل بالقول ممن هو دونه. وهذه المسألة أصولية. فإن عندنا يجوز أن يأمر بالشيء وأن كان لا يريده، وقد أمر الله تعالى ابليس بالسجود لآدم عليه السلام، ولم يرد أن يسجد، ونهى آدم عن أكل الشجرة وأراد أن يأكل، وأمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ولم يرد أن يذبح. وهذا لأن ما أراد الله تعالى أن

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م ، (١٥/ ٣٠٢) برقم (٩٤٩٧) .

(٢) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي ،كتاب: الإيمان، باب: حرمة الصلاة، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، (٥/ ١١) برقم (٢٦١٦) .

(٣) اسم لكل من أثبت الصفات أو أثبت شيئا منها، وهو لفظ يستعمل في مقابل المعطلة وهم نفاة الصفات .

يكون لا بد أن يكون، ولأن السيد إذا قال لعبده افعل كذا، يقال أمره بكذا وإن لم يعلم مراده فدل أن الأمر أمر بصيغته فحسب»(١).

وأرى بأن التعريف المختار هو تعريف ابن قدامة، وهو قريب من تعريف السمعاني؛ لأن هذا التعريف جعل الاستدعاء بالقول، فخرج به الأمر النفسي، كما أن هذا التعريف اشترط الاستعلاء في الأمر، فخرج به المعاني المجازية الأخرى، كالالتماس وغيره، وأن هذا التعريف لم يشترط الإرادة كما هو الحال عند المعتزلة، فكان موافقًا لكلام أهل السنة في المسألة المذكورة آنفًا.

والملاحظ أن هذا التعريف الذي قمت بترجيحه قد تقارب كثيرًا مع التعريف المذكور آنفًا في المطلب السابق عند البلاغيين، وهذا يؤكد ترجيحه وأولوية اختياره، لأنه يعنى بالمعنى الرئيس للأمر بعيداً عن المعاني الأخرى التي يخرج إليها.

❐ ثانياً:تعريف القرينة في الاصطلاح الأصولي

إن مصطلح "القرينة" من المصطلحات التي كثيراً ما ترد في كتب الأصول، بل إنها من المصطلحات التي لا تخفى على دارس علم الأصول، والتي بدورها تساعد على فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام الشرعية منها بشكل دقيق، بالتالي تستعمل القرينة في بيان النص تارة، كما تستعمل في صرف النص عن ظاهرة تارة أخرى فتخرج النص من بابه وتسمى بالقرينة الصارفة، كما أنه قد يحال إليها لحسم النزاع في المسائل الأصولية الشرعية، إذا فالقرينة هي من المحددات التي من خلالها يتم استنباط الحكم الشرعي بعيدا عن العشوائية والمزاجية، فيكون الحكم الشرعي المستنبط لا يحيد عن جادة الصواب وعن مراد الله عز وجل .

(١) السمعاني ، قواطع الأدلة ، (٥٣/١).

يقول الجرجاني[1] في تعريفه للقرينة : «القرينة: أمر يشير إلى المطلوب»[2]، وهي كذلك "كل مايعين على الوصول إلى المراد"[3]. فالقرينة تكون مصاحبة لصيغة الأمر؛ فتنقلها وتصرفها من معناها الحقيقي إلى معانٍ مجازية أخرى، فهذه القرينة تكون أمارة وعلامة على المعنى المراد من النص عند الأصوليين؛ لذا فإنه إذا أتى الأمر مجردًا عن القرآن وقع الخلاف بينهم في دلالة الأمر ومقتضاه.

كما أنه للقرينة أنواع إما قرينة حالية: وهي تعرف من الأحوال المتعلقة بمقام الكلام، ولا تعرف من اللفظ المتكلَم به، مثال ذلك: لو رأيت رجلاً يقول: (ماء) فقد يُفهم من حاله بأنه عطشان، وإن كنت على سفر فهو مبشر يشير إلى ماء ليدلك عليه، وإن كان يشير إلى السماء فقد تفهم منه أنه يقصد نزول المطر، وغير ذلك. عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على الباب فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهية... [4]، فوجود الكراهية على وجهه الشريف هو القرينة وليست معرفتها بها.

وإما قرينة لفظية فلا تعرف إلا من اللفظ نفسه، أما لو قرأت في بعض كتب الكيمياء (تركيب الماء الثقيل) فتفهم أنه مركباً كيميائياً وليس الماء الذي يشرب، فقوله (ثقيل) قرينة لفظية. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[5] فقوله (من الفجر) قرينة لفظية اتضح منها أن المراد بياض النهار وسواد الليل . وإما قرينة معنوية هي كذلك تؤخذ من المقال، نحو : أكل موسى الكمثرى، لأنه ليس من المنطق والعقل بأن يحدث العكس .أما إذا قلت : ضرب موسى عيسى، وضرب من في الغار من على السطح، فإن الإعراب منتفٍ فيه، وبالتالي تظهر أهمية القرينة لحسم الخلاف في تحديد الفاعل والمفعول.

(١) أحمد بن محمد بن أحمد، أبو العباس الجرجاني: قاضي البصرة وشيخ الشافعية بها في عصره. له (التحرير) في فروع الشافعية، ، توفي عام: ٤٨٢ هـ. انظر: الأعلام، للزركلي، (٢١٤/١).

(٢) الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف ، كتاب التعريفات ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت –لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م ، (١/ ١٧٤) .

(٣) أحمد خضير عباس علي ، أطروحة دكتوراه "أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط" ، جامعة الكوفة–كلية الآداب قسم اللغة العربية، ص٩.

(٤) فتح الباري ، ٣٩٢/١٠

(٥) سورة البقرة (آية : ١٨٧)

❐ **ثالثاً: دلالة الأمر المجرد عن القرائن عند الأصوليين:**

اختلف أهل العلم في دلالة صيغة الأمر المجردة عن القرائن، وانقسموا في ذلك إلى أربعة مذاهب وذلك على النحو التالي:

المذهب الأول: وهو مذهب القائلين بأن صيغة الأمر إذا تجردت عن القرائن؛ فإنها تفيد الوجوب.

ذهب جمهور الأصوليين إلى أن صيغة (افعل) إذا تجردت عن القرائن؛ فإنها تقتضي الوجوب حقيقة، وبه قال جمهور العلماء، وانتصر له أبو المظفر السمعاني، وأومأ إلى أنه مذهب الشافعية، ونسبه أبو يعلى(١)إلى الحنابلة، وهو قول الرازي(٢)، وأبو الحسين البصري(٣) من المعتزلة، وابن الحاجب(٤)،والجويني(٥). واستدلوا على ذلك بما يلي من الأدلة:

الدليل الأول: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾(٦) .

(١) شَيْخُ الحَنَابِلَةِ، أَبُو يَعْلَى مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ البَغْدَادِيُّ الحَنْبَلِيُّ، ابْنُ الفَرَّاءِ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٨٩/١٨).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ، وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري عام: ٥٤٤ هـ. وإليها نسبته، له "المحصول" في أصول الفقه، و "مفاتح الغيب" في التفسير، وتوفي في هراة عام ٦٠٦هـ. انظر: الأعلام، للزركلي، (٣١٣/٦).

(٣) محمد بن عليّ بن الطّيّب، أبو الحسين البصري المعتزلي له " المعتمد" في أصول الفقه ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي بها في: ٤٣٦ هـ. انظر: تاريخ الإسلام ، للذهبي، (٥٦١/٩).

(٤) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل. ولد في أسنا (من صعيد مصر) عام: ٥٧٠ هـ. له: "منتهى السول" في أصول الفقه، ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات في: ٦٤٦ هـ. انظر: الأعلام، للزركلي، (٢١١/٤).

(٥) إمام الحرمين : أبو المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حَيَّوَيْهِ، الجويني، الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين، ولد عام ٤١٩ هـ، أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي، له "البرهان"، في أصول الفقه، وتوفي ٤٧٨ هـ، انظر: وفيات الأعيان ، ابن خلكان، (١٦٧/٣).

(٦) سورة الأحزاب، آية رقم(٣٦)

قال السمعاني: « فقد نفى الله تعالى ثبوت الخيرة فى أمره وانتفاء الخيرة نص في التحتيم والإيجاب. ويروى أنه عليه السلام دعا أُبي بن كعب أو رجلا آخر من أصحابه وهو يصلى فلم يجبه فلما قضى صلاته جاء فقال لم يمنعنى من إجابتك إلا أنى كنت في الصلاة فقال النبى ﷺ ألم تسمع قول الله يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(١)، فأخبر أن الإجابة واجبة»(٢).

وقال الجصاص :«فدلت هذه الآية على وجوب الأمر من وجهين:

أحدهما : نفيه التخيير فيما أمر به، وقول من يقول بالندب والإباحة؛ يثبت معهما التخيير وذلك خلاف مقتضى الآية.

والثاني : قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، فسمى تارك الأمر عاصياً، واسم العصيان لا يلحق إلا بترك الواجبات، ولا لفظ للأمر في لغة العرب غير قولهم: افعل؛ فدل أنه للإيجاب حتى تقوم الدلالة على غيره»(٣).

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾(٤).

ودلالة الأمر في الآية على الوجوب ظاهرة من وجهين:

أ) مبادرة الملائكة إلى امتثال الأمر، حيث عقلوا من الإطلاق الوجوب.

ب) توبيخ الله لإبليس لما خالف أمره، وامتنع عن السجود، وعاقبه بإهباطه من الجنة، وذلك لا يكون إلا على ترك واجب.

---

(١) سورة الأنفال، آية رقم (٢٤).
(٢) السمعاني ، قواطع الأدلة ، (١/ ٥٦).
(٣) الجصاص أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي ، الفصول في الأصول ، الكويت ، وزارة الأوقاف الكويتية، ١٩٩٤م ، (٢/ ٨٩).
(٤) سورة الأعراف، آية رقم (١١)

قال الجصاص: « ذمه على الأمرين جميعاً على ترك الأمر وعلى الاستكبار ولولا أن ترك الأمر بمجرده مذموم لما قرنه إلى الاستكبار فيما عنفه عليه »(١).

المذهب الثاني: مذهب القائلين بأن صيغة "أفعل" إذا تجردت عن القرائن فإنها تقتضي الندب حقيقة، وهو مذهب جماعة من الفقهاء، والمعتمد عند كثير من المعتزلة ومن أدلتهم:

« أن الأمر طلب الفعل، فلا يجوز أن يكون موجبه الإباحة؛ لأن الإباحة لا ترجح جهة الفعل فيها على جهة الترك، فلا يكون الأمر طلباً للفعل إذا حمل على الإباحة، فأما إذا حملناه على الندب فقد رجح جهة الفعل على جهة الترك؛ لأنا جعلنا الفعل أولى من الترك، فتحقق طلب الفعل في الأمر، فظهرت حقيقته، وإذا تحقق الأمر في الندب فلا معنى لإثبات صفة زائدة عليه، وهذا لأن صفة الوجوب لا دليل عليها؛ لأنه لما تحقق معنى الأمر في الندب لم يبق دليل على الوجوب»(٢).

وهذه الشبهة هي معتمد مذهبهم، وقد أجاب عليها جمع من أهل العلم كالسمعاني وابن قدامة وغيرهم بأجوبة عديدة أهمها هو أن هذا استدلال بالعقل على أنه يحمل على الندب، وهو معارض باستدلالات كثيرة من الوحي- كما تقدم- على أنه يحمل على الوجوب، والوحي مقدم على العقل(٣).

(١) الجصاص ، الفصول في الأصول ، (٢/٩٠).
(٢) السمعاني ، قواطع الأدلة ، (١/ ٥٥).
(٣) انظر : النملة عبدالكريم ، إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر (٥ / ٢٢٥ و ٢٢٧) . وانظر : السمعاني ، قواطع الأدلة (١/ ٥٥ وما بعدها) .

المذهب الثالث: مذهب القائلين بأن صيغة " افعل " إذا تجردت عن القرائن تقتضي الإباحة حقيقة، وهو مذهب بعض الشافعية[١] كما حكاه عنهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني[٢]، ومن أدلتهم:

أن لفظ (افعل) تفيد الوجوب حيناً، وتفيد الندب حيناً، وتفيد الإباحة حيناً .

قال القرافي[٣] في معرض ذكر حججهم: « فالأقسام الثلاثة كلها مشتركة في جواز الإقدام؛ فوجب القول به حتى يكون اللفظ حقيقة في الجميع، والأصل عدم اعتبار الخصوصيات»[٤] .

والجواب عليه بأن يقال:

١- إن تقريركم باطل؛ لأن الأمر استدعاء وطلب، والإباحة ليس فيها استدعاء ولا طلب.

٢- هناك فرق في وضع اللغة عند جميع العقلاء بين لفظ (افعل)، ولفظ (إن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل)، فالأول لاستدعاء الفعل، والثاني للتخيير، ولا يرد عليه ما خرج من معاني (افعل) لسياق محتمل، وقرينة موجبة.

---

(١) السمعاني ، قواطع الأدلة ، (١/٥٤).

(٢) إبراهيم بْن محمد بْن إبراهيم بن مهران، الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني الأصُوليّ المتكلم الفقيه الشّافعيّ، إمام أهل خُراسان، المتوفى: ٤١٨ هـ. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، (٩/ ٢٩١) .

(٣) شهاب الدين: أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي البهفشيمي البهنسي القرافي المصري، من علماء المالكية، له "الذخيرة " في الفقه المالكي، و«الفروق»، في الأصول، وتوفي في ٦٨٤ هـ. انظر: الديباج المذَهَّب في مصطلح الحديث (مطبوع مع شرح منلا حنفي عليه)، المؤلف: يُنسب لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، مصحح بمعرفة لجنة: برئاسة الشيخ حسن الإنبابي، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – بمصر، باشر طبعه: محمد أمين عمران، عام النشر: ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م، (١/٢٣٦).

(٤) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الشهير بالقرافي ، شرح تنقيح الفصول ، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٩٧٣م (١/ ١٢٨) .

المذهب الرابع: التوقف في صيغة (افعل) حتى يرد دليل أو قرينة تدل على المعنى المراد.

ذهب جمع من أهل العلم إلى أن صيغة أفعل إذا تجردت عن القرائن فإن الحكم الشرعي فيها هو التوقف، وهذا مذهب ابن سريج[١] من الشافعية، ونسبه إلى الشافعي، وأكثر أصحاب الشافعي على خلافه، وهو مذهب كثير من الأشاعرة، ومنسوب إلى أبي الحسن الأشعري،[٢] وأبي بكر بن الطيب الباقلاني[٣]، وهو اختيار الآمدي[٤]، والغزالي[٥].

أدلتهم: أن صيغة (افعل) ترد على عدة معاني كالوجوب والندب والإباحة والتهديد، وليس حملها على أحد هذه الوجوه أولى من بعض.

والجواب عنه بأن يقال:

١- إن صيغة "افعل" إذا تجردت عن القرائن لا تحتمل غير الوجوب، لما أقمناه من أدلة، وما عورضت به الأدلة إنما كان ذلك لاحتمال السياق، ووجود قرينة صارفة.

٢- ثم إنكم قد سلمتم أن الأمر يقتضي ترجيح الفعل على الترك؛ فيلزمهم أن يقولوا بالندب، ويتوقفوا فيما زاد، كقول أصحاب الندب.

٣- أن ما قررتموه تسفيه لواضع اللغة، وإخلاء لفائدة الحكم الشرعي المجرد .

---

(١) ابن سريج أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، القاضي الشافعي شيخ الإسلام فقيه العراقيين ، صاحب المصنفات. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٤/ ٢٠١).

(٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله "صلى الله عليه وسلم". انظر :وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٣/ ٢٨٤).

(٣) محمد بْن الطّيب بْن محمد بْن جعفر بْن القاسم، القاضي أبو بكر ابن الباقلاني البصري ، صاحب التّصانيف في علم الكلام. المتوفى: ٤٠٣ هـ. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، (٦٣/٩).

(٤) علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث. أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، في ٥٥١هـ، له "الإحكام في أصول الأحكام" في أصول الفقه، وتوفي في دمشق في ٦٣١هـ. انظر: الأعلام، للزركلي، (٣٣٢/٤).

(٥) انظر: الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني ، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول. قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور ، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا ، دار الكتاب العربي، ١٩٩٩م، (١/ ٢٤٨).

وبعد هذا العرض المقتضب لدلالة الأمر، نجد بأن الأمر يستعمل في معانٍ كثيرة كالإيجاب والندب والإباحة والإرشاد ونحو ذلك، إلا أن ذلك لا يتأتى إلا بوجود القرائن اللفظية وغير اللفظية، فإن تجرد منها دل على الوجوب حقيقة، وذلك أن الأصل في الأمر من الشارع يكون للوجوب، لأن الله جل وعلا توعد المخالفين عن أمره بالفتنة أو العذاب الأليم، وحذرهم من مخالفة الأمر، وكل ذلك يقتضي أن الأمر للوجوب، ما لم يصرف عنه صارف، لأن غير الواجب لا يستوجب تركه الوعيد الشديد والتحذير، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) .

(١) سورة النور ، آية رقم (٦٣)

الأمر عند المفسرين

لم يحظ مطلب الأمر عند المفسرين بما حظي به من التأصيل النظري عند كل من البلاغيين والأصوليين، وليس ذلك لقصور عند أهل التفسير في تناول هذه الصيغة، بل لأن المفسرين في تناولهم لصيغة الأمر قد تناولوها بصورة تطبيقية بعيدة عن الناحية النظرية؛ إذ إن كل من البلاغيين والأصوليين والنحويين قد كفوهم مؤنة البحث والتنظير لصيغة الأمر هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المباحث التطبيقية التي تناولها أهل التفسير لم تخرج عما قعده البلاغيون والأصوليون والنحويون .

لذا نجد أن خطاب التفسير وعلومه تشترك مع التداولية في البحث عن المعنى، فالتداولية تبحث عن المعنى في علاقته مع الفعل المترتب عن القول، وخطاب التفسير يقوم على الغرض والمقاصد التي تتنوع بحسب الاعتقادات والمعارف من جهة وبحسب متداولي الخطاب من جهة أخرى، وكلاهما تشكلان قاعدة للتأويل والتفسير والفهم في علوم التفسير و في التداوليات(١).

لقد اعتمد بعض المفسرين على تنظير أهل البلاغة وذلك من خلال ما نجده في بعض كتب التفسير من ذكرٍ واستخدام للمعاني المجازية لصيغة الأمر، والمتأمل يجد هذا واضحًا كما عند الطاهر بن عاشور؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢)، يقول: أَنْبِئُونِي تفريع على العرض وقرن بالفاء لذلك. والأمر في قوله: أنبئوني أمر تعجيز بقرينة كون المأمور يعلم أن الآمر عالم بذلك فليس هذا من التكليف بالمحال كما ظنه بعض المفسرين، واستعمال صيغة الأمر في التعجيز مجاز، ثم إن ذلك المعنى المجازي يستلزم علم الآمر بعجز المأمور وذلك يستلزم علم الآمر بالمأمور به(٣).

(١) انظر : بو منقاش الرحموني ، الضوابط التداولية للنص الديني ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ص٦ وص٧ .
(٢) سورة البقرة، آية رقم (٣١).
(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، (٤١٢/١).

وفي قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾[1]، يقول الشنقيطي: « هدد تعالى في هذه الآية الذين يلحدون في أسمائه بتهديدين، الأول: صيغة الأمر في قوله: وذروا فإنها للتهديد»[2]، وهنا قد أشار الشنقيطي إلى المعنى المجازي الذي تدل عليه صيغة الأمر وهو التهديد، وذاك بدوره من متعلقات علم البلاغة .

وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَاب﴾[3]، يعقب عليه الشنقيطي قائلًا: « أي فليصعدوا في أسباب السماوات التي توصل إليها. وصيغة الأمر في قوله: فليرتقوا للتعجيز، وإيرادها للتعجيز دليل على عجز البشر عن ذلك عجزا مطلقا»[4] وهكذا. . .

كما اعتمد كثير من المفسرين إن لم يكن جميعهم على القواعد الأصولية المطروحة من قبل الأصوليين؛ وذلك من أجل الوصول للحكم التفريعي المناسب للسياق القرآني من جهة ولقرائن الأحوال المقترنة به من جهة أخرى، والمتأمل في كتب التفسير يجد لخلاف الأصوليين في قضية مقتضى صيغة الأمر المجردة عن القرائن أثره الواضح عند أهل التفسير لاسيما التفسير الفقهي لآيات الأحكام، وفيما يلي بعض النماذج لذلك.

(١) سورة الأعراف، آية رقم(١٨٠).

(٢) الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، إشراف : بكر بن عبدالله أبو زيد، جدة ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مجمع الفقه الإسلامي –مطبوعات المجمع ، (٣٩٩/٢) .

(٣) سورة ص، آية رقم (١٠) .

(٤) الشنقيطي ، أضواء البيان ، (٧/ ٢٥).

فيعقب الطاهر بن عاشور على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾(١)، « فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها عَلَى الْأَمْرِ بِرَدِّ السَّلَامِ، وَوُجُوبِ الرَّدِّ لأنّ أصل صغية الْأَمْرِ أَنْ يَكُونَ لِلْوُجُوبِ عَلَى مُقْتَضَى مَذْهَبِ الْجُمْهُورِ فِي مَحْمَلِ صِيغَةِ الْأَمْرِ، ولذلك اتفق الفقهاء على وجوب رد السلام »(٢).

ويقول الفخر الرازي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(٣)«يَدل على أن صيغة الأمر قد ترد في غير موضع الوجوب وفي غير موضع الندب وعند هذا قال بعضهم: الأصل في الاستعمال الحقيقة فوجب جعل هذه الصيغة مفيدة لرفع الحجر فلهذا قالوا: الأمر مقتضاه الإباحة إلا أنا نقول: نعلم بالضرورة من لغة العرب أن هذه الصيغة تفيد ترجيح جانب الفعل وأن حملها على الإباحة لا يصار إليه إلا بدليل منفصل»(٤) .

أما الجانب النحوي فجاء بقلة في كلام المفسرين نسبة إلى غيره من الجانبين السابقين، وأكثر وجوده في كتب إعراب القرآن؛ لأنها تعتمد على مادته التأصيلية في قواعد النحو

وبناءً على ما سبق، فقد حظيت كتب التفسير بشواهد تفسيرية تدل على اعتماد أصحابها على المادة التنظيرية عند كل من البلاغيين والأصوليين والنحويين كما سبق إيضاحه وبيانه وإثباته تنظيرًا وتطبيقًا.

(١) سورة النساء، آية رقم(٨٦).
(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، (٥/ ١٤٥).
(٣) سورة الأنعام، آية رقم(١٤١).
(٤) الرازي محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دمشق ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م، (١٣/ ٢٢٤).

الأمر عند النحاة

أما الأمر عند النحويين فإن المادة والموضوعات المطروحة لديهم أغلبها لا يتناسب ذكرها والتفصيل فيها في هذا المقام، فهي مادة تقعيدية تأصيلية تهدف إلى ضبط أواخر الصيغة على مستوى الدرس النحْوي، أو شَكْلِ أولها وأوسطها على مستوى الدرس الصرفي.

أما بقية المباحث المطروحة في الدرس النحوي فمنها ما هو متناولٌ لصيغ الأمر، ومنها ما هو متناول لبعض قيودها ومحترزاتها، لذا نجد النحاة قد تناولوا مباحثه في أبواب متفرقة (١)، وهذه المباحث ونظائرها قد سبق ذكرها وبيانها عند كل من البلاغيين والأصوليين في المحاور المتقدمة من الدراسة في هذا المبحث.

وعلى ما سبق، فإن الأمر أخذ حظًا وافيًا في التراث العربي سواء عند البلاغيين أو الأصوليين أو المفسرين أو النحويين، وما زال يأخذ لب عقول الباحثين في العصر الحديث في دراساتهم المعاصرة، ومن أمثلة ذلك ما نحن بصدده من دراسة ظاهرة التداولية في الأمر.

(١) انظر : الأوسي قيس اسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ص٨٣-٨٤

المبحث الثاني

الأمر في الدراسات التداولية

المبحث الثاني

الأمر في الدراسات التداولية

بناء على ما سبق من تعريف التداولية وعلاقتها بتحليل أفعال الكلام وعلاقة الكلام بمستخدميه وبإنتاج الخطاب وعملية التواصل؛ فإن "الأمر " في الدراسات التداولية يُدرس في هذا الإطار.

إن التداولية والدراسات اللغوية المعاصرة المرتبطة بها تعتبر عملية إنتاج اللغة أو ما يعرف بالفعل اللغوي هو ناتج تكلم لغة ما من اللغات لغرض استعمالي إنشائي(١)، وتكلم اللغة لغرض استعمالي ينتج عنه مجموعة من الأفعال تتمثل – على وجه العموم – في أفعال التأكيد والأمر والوعيد والوعد والعملية الاستفهامية المتمثلة في إثارة الأسئلة وغير ذلك من أفعال الكلام؛ ودراسة أفعال الكلام من الناحية التداولية تتمثل في دراسة أغراض الكلام التي يهدف إليها المتكلم أو الناطق باللغة في إنتاجه لكل فعل من أفعال الكلام السابقة.

إن الدلالة التداولية لفعل الأمر لا تتشكل من مجرد صيغة الأمر وحسب؛ لأن بيان المعنى اللغوي لكلمة ما يتحقق بدراستها دراسة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، فيتمثل الجانب الأول في كونها مركبة من أصوات منتظمة انتظاما معينا. ويتمثل الجانب الثاني من معنى الكلمة في كونها اسما أو فعلا أو حرفا. ويتمثل الجانب الثالث في بيان خصائصها النحوية من حيث جواز وقوعها في مواقع معينة في الجملة وارتباطها بغيرها من الكلمات التي تسبقها أو تلحقها، ويأتي الجانب الرابع لتحديد دلالتها في سياقات متعددة تحديدا دقيقاً(٢).

إذن فالأمر هو فعل من أفعال الكلام مرتبط بغرض المتكلم وقصده، والمتكلم حين ينطق الكلام ويتلفظ به فإنه من أجل إنشاء غرض وقصد لكلامه لا ينطقه على شكل كلام مفرد، وإنما ينطقه في جمل، تعتمد هذه الجمل في تفسير دلالاتها على معرفة المعاني المعجمية للكلمات المفردة، وما قد يطرأ على هذه الكلمات حين تدخل في جمل من اتساع في الدلالة أو تحول في الدلالة أو انتقال دلالي.

---

(١) الإنشاء في التداولية يقصد به إنشاء غرض من وراء الكلام أو عملية تأسيسية لمعنى إنجازي للكلام وليس المقصود به الأسلوب الإنشائي في التراث البلاغي العربي .

(٢) انظر : حسام الدين كريم زكي ، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه ، القاهرة، دار غريب ، الجزء الأول، ٢٠٠٠، ص٩٢.

وهذا التغير الدلالي الذي يطرأ على الكلمة حين تدخل في جمل و في نصوص يعتمد في معرفته وتبيانه على أمرين، الأول هو السياق الداخلي والثاني هو السياق الخارجي أو ما يعرف بمجموع سياقات المقام، و«بشكل عام، تنطوي الجملة، إذا كانت على شكل موجّه MODALITE تقريري أو أمري أو استفهامي أو تعجبي، على تحديد من نمط الفعل ACTE، تستخدم ملفوظيته لإنجازه، وإن استخدام الجملة التقريرية بشكلها هذا، يعني أن تفرض نفسك باعتبارك مقتنعاً بما تلفظ، وأنك تضع متحدثك في موقع يستحيل عليه فيه الرفض أو الإنكار، إلا إذا كان سيئ النية، وأنه قد علم سلفاً بقناعتك تلك، واستخدام جملة أمرية يعني أنك تفرض نفسك في موقع المالك لسلطة إعطاء الأمر وزعمك بأنك تضع المتحدث بين خيارين هما: إما الطاعة وإما الرفض ... الخ. هذا الوصف الموجز يكفي لإيضاح أنه عند البحث عن تحديد شروط حقيقة (صحة) جملة ما من الصعب فصل قيمتها الوصفية عن القيم الملفوظية التي تقرها»(١) .

فالمتكلم حين يتلفظ بجملة الأمر فإنه يضع نفسه في موقع سلطة الإنفاذ من أجل إنفاذ ما يأمر به، والدراسات التداولية التي تُعنى بطرفي عملية التواصل تنظر لفعل الأمر من كلا طرفي التواصل وهما المرسل والمتلقي، فالمرسل حين ينشئ رسالته مستخدما فعل الأمر يعطي نفسه سلطة إصدار الأمر، والدور التواصلي في هذه العملية اللغوية للمتلقي يتمثل إما في القبول والطاعــة والامتثال أو في الرفض وعدم الإذعان.

إن الأمر عند التداوليين يقع في دائرة الوظيفة التعالقية للغة التي تعني أن اللغة حين ينطقها المتكلم وتصل للمتلقي تتخذ أحد الأدوار الاجتماعية بالنسبة لكليهما، مثل دور المخبر الذي يستخدم الكلام لغرض الإخبار، أو دور المستفهم الذي يسأل بغية المعرفة بالموضوع موطن السؤال أو الاستزادة من المعرفة حوله ودور الآمر، «ومن اتبع هذا الطريق من المنظرين إنما كان يرى بأن التصور الأساسي لنظرية الدلالة يقوم على أن المتكلم وبوجه عام القائل قولا ما يريد أن يوصل شيئا بقوله الذي يوجهه إلى مستمعيه في مقام مخصوص وبمناسبة خاصة. فإثبات حكم ما إنما يوقعه ويحدثه المخبر أو القائل للقول»(٢) .

(١) جان سيرفوني، الملفوظية ، ترجمة: د. قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨م، ص١٧.

(٢) ستروسن ، الدلالة وقيمة الصدق ، بحث منشور ضمن كتاب المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة وتعليق: عبد القادر قنيني، الدار البيضاء – المغرب ، أفريقيا الشرق ، ٢٠٠٠م، ص٨٠ .

إذن المتكلم حين يصدر أمراً في قوله فإنه يسعى من خلاله إلى إصدار حكم ما من وراء جملة الأمر، هذا الحكم يحكم تفسيره تلك السياقات والوظائف التعالقية للغة التي تحكم عملية تأويل الدلالة واستنباط المعنى من وراء الخطاب.

لذا فإن الأمر وما يحتويه من وظيفة إنجازية أو إنشائية، وما يرتبط به كذلك من معانٍ تداولية قد أدركه علماء التراث العربي حين عرفوا الأمر على أنه «استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه»(١)، وهذا التعبير مقارب ومشابه لتعبير المعاصرين للأمر، حيث نجد الفيلسوف أوستين عبر عن الأمر بـ"الفعل بالقول"، لكن الخلاف بين علماء التراث العربي والعلماء المعاصرين في الأمر ليس بسيطا أو سطحيا لأنه قد يمكن أن يتفرع صنف آخر من الأفعال الكلامية هو الأفعال المتضمنة في القول، وعليه تكون شُعب الفعل الكلامي الكبرى أربعا لا ثلاثا هي : فعل القول، والفعل المستدعى بالقول مثل الأمر والنهي والاستخبار، والفعل المتضمن في القول مثل ألفاظ العقود والمعاهدات والفعل الناتج عن القول(٢).

إن فعل القول هو عملية نطق الكلام؛ فإذا نطقنا بفعل من أفعال الأمر نكون قد قمنا بالفعل المستدعى بالقول، وفعل الأمر قد يتضمن الأمر بعقد أو معاهدة أو غيره من الأفعال المتضمنة في القول والفعل الناتج عن القول هو أثر فعل الأمر في المتلقي استجابة أو اعتراضا كما سبق وبينا. والذي يوضح لنا ما قد يتضمنه فعل الأمر من معنى ضمني هو السياق سواء السياق الداخلي اللغوي أو السياق الخارجي المتمثل في مجموعة سياقات المقام المصاحبة للنطق بفعل الأمر وسائر الكلام.

وكما سبق وبينا فإنه لفهم أفعال الكلام المتضمنة في التلفظ بفعل الأمر أو حتى كتابته فإنه لابد من استنباط ذلك من خلال السياق الداخلي للنص أي السياق اللغوي، ومن خلال السياق الخارجي المتمثل في مجموع سياقات المقام التي تحيط بإنتاج النص، وذلك حتى يتبين لنا أي وظيفة من وظائف الأمر يقصدها منشئ الخطاب ومُصدِر الأمر، ومن هنا علينا أن نعرض لمعرفة السياقين الداخلي والخارجي، والتي من خلالهما تنجلي إحدى النظريات التي تعتمد عليها التداولية وهي (إيصال أكثر مما يقال) .

(١) أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي ، شرح اللمع ، تحقيق:عبدالمجيد تركي ، بيروت.لبنان ،دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م ، ص١/١٩١.
(٢) انظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص١٤٨ -١٥٠ .

إن السياق الداخلي اللغوي يعتمد على توالي الكلمات داخل الجملة، ويرتبط كذلك بالمادة اللغوية التي يتكون منها الخطاب، وما بينها من علاقات؛ إذ إنه "تتوقف قيمة كل كلمة على مقابَلَتِها بغيرها من الكلمات وفق امتداد خطي أفقي فعلي في الكتابة والنطق والسمع"(١)؛ حيث تنشئ الكلمات في الخطاب – ضمن تعاقدها فيما بينها – علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية، تلك التي تستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية، ويمكن تسمية الأنساق التي يكون المدى سندا لها "تراكيب"؛ ولكي يتم معنى الجملة لا بد من النظر إلى المحورين معا كما قال دي سوسير :"إن عبارة ما في تركيب ما لا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع ما يسبقها أو يليها أو الاثنين معا، فهي تعتمد على ما يحيط بها في السلسلة المنطوقة وتعتمد كذلك على الأجزاء التالية لها"(٢).

إن اعتماد السياق اللغوي الخاص على مستوى الجملة يسهم في معرفة الفعل المتضمن بالقول ضمن فعل الأمر المستدعى بالقول؛ إذ إنه «من الهام أيضاً تفحص حالة الأمر، فمهما كان الفعل القواعدي، فإن الملفوظ الذي يتضمن الأمر يستخدم لإنجاز عمل ما، لكن هل نملك نمطين من الإنجازية في ملفوظين مثل : "اذهب" و"آمرك بالذهاب"؟... نلاحظ أن من تتجه إليه أيٌّ من هاتين الملفوظيتين، يكون قادراً على وصفهما، سواء تعلق الأمر بهذه أم بتلك، حينما نقول إننا نأمره بالذهاب. ومع ذلك فهناك فرق بين: "آمرك بالذهاب" ملفوظ يتضمن إشارةً محددةً حول الفعل الذي تنجزه ملفوظيتهُ: إنه أمر ولا شيء غير ذلك، أما "اذهب" فهو ملفوظٌ غامضٌ أو فيه لبس: فقد يكون أمراً، أو نصيحةً، أو رجاء، الخ.... ولتمييز هذين النمطين من الإنجازّية فإن أوستين يسمي الألفاظ التي يمثلها الملفوظ "آمرك بالذهاب" بالإنجازيات الصريحة، وتلك التي يمثلها الملفوظ "اذهب" فيطلق عليها اسم: الإنجازيات.

أحد الأجوبة المقترحة ينطوي على القول بأننا إزاء العملية نفسها الموجودة في الحالة التي حتماً نريد من خلالها رجاءَ أحدهم بمناولتك الملح، عوضاً عن استخدام الأمر، فإنك تطرح السؤال: (أيمكنك مناولتي الملح؟). لكن يفهم متلقي القول القوة الفاعلة الحقيقية للملفوظ الثاني، عليه أن يستنتجها عن طريق المحاكمة العقلية»(٣) .

(١) تومي غنية ، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث ، بحث منشور في مجلة المخبَر .. أبحاث في اللغة والأدبالجزائري، جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر، العدد السادس، ص١١.

(٢) دي سوسير ، علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي:مالك يوسف المطلبي،بغداد، آفاق عربية، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) جان سيرفوني: الملفوظية ، ١٩٨٥م ، ص٩٧.

فالإنجازيات الصريحة هي التي لا لبس فيها وتفهم دلالتها بمجرد التلفظ بها ولا تمثل السياقات دورا بارزا في تحديد دلالتها، فحين أقول "آمرك بـ . ." فإن استخدام الجذر أمر يدل على الإنجاز الصريح المرتبط بوجوب نفاذ أمر الذهاب. أما حين أستخدم صيغة دالة على الأمر من بنية الفعل نفسه فإنني بذلك أدخل الأمر المتلفظ به في دائرة الإنجازيات، التي يتسع تأويل المقصود منها طبقا للسياقات والوظائف التعالقية الحاكمة لاستنتاج الدلالة وتمييز الفعل الإنجازي المقصود بالقول تحديدا، واستنتاج هذه الدلالات يتم عن طريق المحاكمة العقلية، ومعنى استنتجها عن طريق المحاكمة العقلية أن يضع السياق في اعتباره، «ولا بد هنا من أن نتعرف على حقيقتين متكاملتين:

١- إن دلالة قضية ما (جملة ما) تتعلق بوجه عام بكيفية ترتيب الألفاظ التي تؤسس تلك القضية.
٢- أما أن يكون للفظ دلالة خاصة فيتعلق ذلك بما يحمله من زيادة ترتيب الفائدة المخصوصة وإسنادها إلى القضايا التي يظهر فيها ذلك اللفظ»(١) .

وهذا يعني أننا لكي نفهم الدلالة التداولية والقيمة الإنجازية لجملة "الأمر" علينا أن نفهم الدلالة الخاصة لفعل الأمر ثم بعد ذلك نعرف ترتيب الفعل داخل الجملة وعلاقته بما قبله وما بعده من الكلمات داخل التركيب أو داخل الجملة. وعلينا أيضا أن نستنتج الصيغ غير المباشرة للأمر، فالجملة الاستفهامية "هل يمكنك أن تناولني الملح؟" قائلها «لا ينجز عملا لغويا واحد بل اثنين: عملا أوليا يتمثل في الالتماس الذي يُنجَزُ بواسطة عمل ثانوي هو السؤال. فالمقصد المتضمن في القول، أي العمل الذي ينوي القائل إنجازه بواسطة جملته، إنما يتصل فقط بالعمل الأولي، وهذا المقصد هو الذي ينبغي تبينه. لكن هذا كما رأينا لا يمكن تحقيقه فقط من خلال المعنى التواضعي للجملة المنتجة ... تبيُّن المقصد المعْنِيِّ يتحقق في الآن نفسه بالقواعد الدلالية التي تنطبق على الأعمال اللغوية وبالمعلومات المحصلة سلفا ذات الصلة بالمعرفة المشتركة» (٢) .

هذا عن السياق اللغوي لفعل "الأمر" أما السياق الخارجي فيسهم في تحديد التفسير التداولي للأمر من جانبين؛ الجانب الأول دلالة الزمن في فعل الأمر؛ والجانب الثاني الدلالة الإنشائية لفعل الأمر، أو ما عرف عند البلاغيين العرب بأغراض الأمر.

---

(١) ستروسن ، الدلالة وقيمة الصدق، بحث منشور ضمن كتاب المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني، الدار البيضاء – المغرب، أفريقيا الشرق ، ٢٠٠٠م ، ص ٧٨، ٧٩.

(٢) آن روبول وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ترجمة: د. سيف الدين دعفوس ود. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م ، ص٥٩.

أما من حيث الزمن فإن فعل الأمر «يتعلق زمنه بالمستقبل؛ لأنه يطلب به حصول أمر لم يكن حاصلا من قبل، أو الاستمرار والدوام على ما هو حاصل، فالأول كما في قول إبراهيم :﴿ اجْعَلْ هَذا البَلَدَ ﴾... والثاني كما في خطاب الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم :﴿ وتوكل على الله ﴾ ؛ لأن النبي لا يترك التوكل على الله مطلقا، فإذا أمر بذلك كان المراد الاستمرار عليه، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي اتقِ الله ﴾ . وتلعب القرينة دوراً فاعلا في مسألة الزمن؛ فقد يكون الزمن في الأمر متعلقا بالماضي إذا أراد من الأمر الخبر والمعول في ذلك على القرينة والسياق. كأن يصف جندي بعد الحرب موقعة شارك فيها فيقول: صرعت كثيرا من الأعداء، فتجيبه: اقتل ولا لوم عليك وافتك بهم فإن الله معك. فالأمر هنا بمعنى قتلت وفتكت»(١) .

فالسياق الخارجي في الأمثلة السابقة هو ما حدد زمن فعل الأمر سواء كان المستقبل أو الحاضر أو الماضي، وهو – أي السياق الخارجي أو سياقات المقام – ما يحدد الغرض أو المعنى الإنشائي أو الإنجازي المقصود من إصدار فعل الأمر من دعاء أو التماس أو إرشاد أو حث أو وعيد أو تمن أو إباح أو غير ذلك من أغراض الأمر التي سبق بيانها في المبحث السابق فيما يتعلق بالأمر عند البلاغيين؛ وهذا يثبت بأن التداولية مستقاة من روح البلاغة، وذلك يعني بـ«أن البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما»(٢) .

إذن فكل ما تم ذكره من نصوص تتعلق بالأمر في الدراسات التداولية هي لإفادة المعنى والتأكيد على أن الأمر بما يقتضيه من وظائف ودلالات ومعاني وتعبيرات وتراكيب هو نتاج إيجابي لطبيعة اللغة وتنوع طرقها التداولية وبلاغتها، وأرى بأن السياق الداخلي كان أو الخارجي والمرتبط بالمادة اللغوية التي يتكون منها الخطاب وما بينها من علاقات هو إثراء لمضامين اللغة وأساليبها، فطبيعة اللغة في مضمونها العام يقتضيه السياق البياني أو التعبيري للمخاطب الذي يحتاج إلى تراكيب منطوقة، إذ الغاية من التداول اللغوي هو الإفهام وهذا لا يكون إلا عن طريق البيان وسلامة الاتصال بين المتكلم والسامع.

---

(١) أبو السعود حسن الشاذلي، العناصر الأساسية للمركب الفعلي وأنماطها من خلال القرآن الكريم دراسة تحليلية تطبيقية ، الأسكندرية – مصر ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م ، ص٢٢١، ٢٢٢.

(٢) شهاب هناء محمود، الأبعاد التداولية عند الخطيب القزويني .. التقديم والتأخير في كتاب الإيضاح نموذجا ، بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، لندن، مؤسسة السياب ، ٢٠١٢م ، ص٣٤٢.

الفصل الثاني :

الأبعاد الدلالية والتداولية للأمر

في أحاديث رياض الصالحين

المبحث الأول :

المحتوى القضوي للأمر في رياض الصالحين (دراسة تطبيقية)

المبحث الثاني :

القوة الإنجازية للأمر في رياض الصالحين (دراسة تطبيقية)

المبحث الأول :

المحتوى القضوي للأمر في رياض الصالحين

(دراسة تطبيقية)

المبحث الأول

المحتوى القضوي للأمر في رياض الصالحين

سبق أن بينا أن التداولية تهتهم باللغة في بعدها الاستعمالي من حيث قصدية المتكلم ومراميه الإنجازية من وراء كلامه، والطابع الاستعمالي للغة مرتبط بوجود الكلام والكلمات ابتداء، وهو يتوازى مع الدلالة المعجمية للغة؛ حيث «إن الكلمة في المعجم صورة صامتة مفردة في ذهن المجتمع، أو صورة كتابية مفردة، وحين يلتقطها المتكلم يحولها من الصورة الحسية (سمعيا وبصريا)، من الإفراد (وهو طابع المعجم) إلى السياق الاستعمالي (وهو طابع الكلام)، وذلك عندما يحرك بها لسانه ناطقا أو يده كاتبا»[(١)] .

فحين ينطق المتكلم الكلام أو يكتب نصا فإنه يدخل الكلمات في مجال استعمالي، ويتم تفسير هذا المجال الاستعمالي عن طريق السياق الداخلي للرسالة اللغوية وهو ذلك الامتداد الخطي للجمل في سياق لغوي واحد متصل يشكل نصا، كما يتم أيضا عن طريق السياق الخارجي المتمثل في مجموعة عوامل المقام.

والسياق بشقيه – الداخلي والخارجي – «هو جزء من المقام، وله أهمية بالغة في تحليل الخطاب (Discourse Analysis) المكون من مجموعة من الجمل المتراصة التي تشكل نصا؛ حيث إن معنى أي جملة في النص ما عدا الجملة الأولى يخضع لقيود النص السابقة عليها ولقيود النص اللاحقة لها» [(٢)] .

ومعرفة دلالة الكلمة أو الجملة في ضوء السياق الداخلي للخطاب هو ما يعرف بالمحتوى القضوي، لذا «تناول اللسانيون وعلماء الدلالة تحديدا والمناطقة مفهوم القضية (المحتوى القضوي) واعتبروها مدخلاً رئيسياً في دراسة الدلالة»[(٣)]. ويعني (المحتوى القضوي) مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد؛ وبذلك يكون المحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية التي يعبر عنها النص؛ فالكلمة حين تنطق للتعبير عن قضية ما يتم التعامل معها «على محورين، الأول استبدالي والثاني تركيبي. فالكلمة في المحور الأول تكون ممثلة لعدة احتمالات

(١) حسام الدين كريم زكي ، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه ، القاهرة، دار غريب ، الجزء الأول، ص٧.

(٢) الحسن شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية ، عمان – الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠١م، ص١٦٣، ١٦٤.

(٣) الميساوي خليفة ، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، الجزائر، منشورات الاختلاف، ٢٠١٣م ، ص٢١٤ .

وممكنات واختيارات دلالية. وإنها لتعد من هذا المنظور مخزونا دلاليا في حيز الموجود بالقوة. وإن معانيها الممكنة لتكون في حالة تربص لما يقع عليه الاختبار منها. وأما في المحور الثاني فتكون فيه على ما يكون عليه استعمالها توزيعا ووظيفة ضمن التركيب. وهو اختيار يقوم به المتكلم لمعنى الكلمة من خلال التركيب الذي يضعها فيه»[1] .

ومن هذا المنطلق سوف أقوم بدراسة المحتوى القضوي لصيغة الأمر في أحاديث رياض الصالحين؛ من حيث إن «الأصل في صيغ الأمر أن تستعمل في طلب الحصول على سبيل الإلزام من الأعلى إلى الأدنى، وقد تخرج صيغة الأمر إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال. فبنية الأمر كشأن البنى الإنشائية الأخرى، تحتوي على ثنائية الداخل والخارج، لكن الدلالة فيها تسير من البعد الداخلي الذي يحتوي على جانب المتكلم والصياغة في مستواها السطحي إلى البعد الخارجي الذي يحتوي على جانب المتلقي والصياغة في مستوها العميق. وتعود المعاني السياقية لبنية الأمر إلى الوظائف الثلاث: الوظيفة الانفعالية (المتكلم)، والوظيفة الطلبية (المتلقي)، والوظيفة الشعرية (الصياغية). وقد لا تنفرد كل دلالة بوظيفة لغوية مستقلة، ولكن قد تتداخل وظيفة أو أكثر في الدلالة الواحدة، إلا أن البنية اللفظية للرسالة ترتبط بالوظيفة المهيمنة عليها. وقد تهيمن الوظيفة الطلبية، فيكون المتلقي الحضور المهيمن»[2].

وفي دراسة المحتوى القضوي سنقف عند الدلالة الأصلية لأفعال الأمر في التعبير عن القضية والرسالة التي يريد المتكلم إيصالها للمتلقي وبعد سوف أقوم بدراسة الدلالة الإنجازية لصيغة الأمر من خلال سياقات المقام ودورها في إنتاج الفعل المضمن في القول والفعل الناتج عن القول.

(١) العياشي منذر ، اللسانيات والدلالة .. الكلمة ، حلب – سوريا ، مركز الإنماء الحضاري للمراسلة والترجمة والنشر، ١٩٩٦م ، ص١٨٣ .

(٢) الشامي هانم محمد حجازي ، الخطاب في جزء الذاريات دراسة أسلوبية في خصائص التركيب ، القاهرة، مكتبة الآداب ، ٢٠١٢م ، ص٦٥ .

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهَا قَالَت قالَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: " لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلكنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفرِتُمْ فانْفِرُوا" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ))[1].

جاء الأمر في هذا الحديث الشريف باستخدام صورتين من صور الأمر، الصورة الأولى استخدام الأمر بالمصدر في قوله صلى الله عليه وسلم: "ولكن جهاد ونية" أي: جاهدوا وانووا نية الصدق مع الله، والصورة الثانية من صور الأمر هي استخدام صيغة "افعل" أي الأمر بالفعل في قوله صلى الله عليه وسلم: "فانفروا".

وإذا أردنا استخراج المعنى القضوي لموضعي الأمر في الحديث الشريف باستخدام التعريف المذكور آنفا للمعنى القضوي الذي هو مجموع مفردات الخطاب مضموما بعضها إلى بعض في علاقة إسناد سنجد أن الحديث قد بدأ بنفي فرضية الهجرة بعد فتح مكة وأن من أراد أن يحصِّل أجر هذا العمل العظيم عليه أن يلتزم أمر النبي صلى الله عليه وسلم في أن يجاهد مخلصا نيته لله عز وجل في جهاده؛ ويوضح النبي صلى الله عليه وسلم المقصود بالجهاد أو متى يكون الأمر بالجهاد ملزما في قوله: "وإذا استنفرتم فانفروا"، ومن هنا يكون المعنى القضوي للأمر مستفادا من بنية الخطاب ومن تواصل جمل النص في شكل خطي مستقيم هو : جاهدوا وانووا النية الصادقة في جهادكم بديلا عن الهجرة التي لم تعد واجبة بعد فتح مكة؛ وذلك بأن تنفروا إذا جاءكم داعي الجهاد.

إن تضام علاقات الإسناد في الحديث الشريف قد جاء بالأمر بالجهاد عقب نفي وجود الهجرة وتلى ذلك بالأمر بالنفور إذا أمر به الإمام، وهنا يكون معناه أن من سقطت عنه هجرة الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام وذلك بعد فتح مكة فقد بقيت له هجرة الجهاد وهو مأمور بها لازم عليه أداؤها ما لم يصرفه صارف أو يمنعه مانع فإن صدق النية يكفيه، فالأمر بالجهاد «عطف على محل مدخول "لا"؛ أي: الهجرة من الأوطان إما هجرة للفرار من الكفار وإما إلى الجهاد وإما إلى غيره كطلب العلم، وانقطعت الأولى وبقيت الأخريان فاغتنموهما ولا تقاعدوا عنهما

(١) النووي ، رياض الصالحين ، ص٣٠.

فإذا استنفرتم فانفروا» [1] وبذلك يكون معنى الأمر بالجهاد عوضا عن الهجرة مرتبطا بفتح مكة؛ «لا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلامٍ» [2] .

((مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَال: " اتَّقِي الله وَاصْبِرِي"فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنِّكَ لَمْ تُصَبْ بمُصِيبتى، وَلَمْ تعْرِفْهُ، فَقيلَ لَها: إِنَّه النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتتْ بَابَ النَّبِّي ﷺ، فلَمْ تَجِد عِنْدَهُ بَوَّابينَ، فَقالتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فقالَ:"إِنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأولَى))[3]

وجه النبي صلى الله عليه وسلم أمرا إلى هذه المرأة التي تبكي فقيدها قائلاً: "اتقي الله واصبري" ولمعرفة معنى التقوى المقصود من الفعل الأمر "اتقي" نرجع إلى سابقها في السياق وهو أن المرأة كانت تبكي على قبر، ومن هنا نفهم ونلج إلى فهم المعنى القضوي لفعل الأمر معنى "اتقي الله"، أولاً بإسناد التقوى إلى الله؛ فيصبح المعنى بأن تخافه المرأة وتتقيه، ثانياً هو عدم رضا الله عز وجل عن فعلها؛ فإذا كان الفعل المستدعى بالقول هو أمر المرأة بالتقوى فإن الفعل المضمن في القول هو أن تترك البكاء إرضاء لله عز وجل؛ وعليه يكون المحتوى القضوي لفعل الأمر اتقي هو: (دعي البكاء لأنه يخالف التقوى ويوقعك فيما لا يرضى الله).

هذا عن فعل الأمر (اتقي) ؛ أما فعل الأمر الآخر "اصبري" فإن لمعرفة معناه بالرجوع إلى تتابع الجمل في السياق؛ نجده قد أتى تالياً لفعل الأمر "اتقي"؛ و(("اتقي الله" توطئة لقوله "واصبري" بكسر الموحدة أي لا تجزعي وخافي غضب الله واصبري))[4] وهنا يكون المعنى القضوي لفعل الأمر "اصبري" يعني أن تصبر على لوعتها فتمسك

(١) الكرماني محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين ، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، بيروت-لبنان ، دار إحياء التراث العربي ،١٩٨١م ، (ج٩/ ص٤٣)

(٢) النووي ، رياض الصالحين ، ص٣٠.

(٣) النووي ، رياض الصالحين ، ص٤٥

(٤) القسطلاني شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية ،١٣٢٣هـ (ج١٠/ ٢٢٦).

دموعها؛ فيصبح المعنى القضوي لفعل الأمر"اصبري": (أمسكي دموعك التي تذرفينها تفجعاً يدل على عدم الصبر؛ حتى تؤجري على مصابك).

وقد جاء رد المخاطب (المرأة الثكلى) باستخدام اسم فعل الأمر ((إليك"؛ بمعنى: ابتعد وتنح))[1]. ودلالة استخدام اسم الفعل عوضا عن الفعل هنا أن اسم الفعل جاء من الجار والمجرور، وحرف الجر هو "إلى" ومن المعروف أنه إذا حدث تغير دلالي وانتقل اللفظ (سواء كان اسما أو حرفا أو فعلا) من دلالته إلى دلالة أخرى فإن الدلالة الأصلية يبقى له ظل أو أثر في المعنى، والدلالة الأصلية لحرف الجر "إلى" هي «انتهاء الغاية في الزمان، والمكان، وغيرهما» [2]، وحين يجيء فعل الأمر "إليك" أي ابتعد باستخدام حرف الجر إلى ومجروره ضمير المخاطب الظاهر المتصل "الكاف" فإن «هذا يدل على أن المصيبة قد بلغت منها مبلغاً عظيما» [3]؛ وأن النصح بالصبر وترك التفجع لا يغني شيئا مع مصابها؛ حتى إنها لم ترجع عن تفجعها إلا مع معرفتها أن من أمرها بترك ما هي فيه من الندب والنياحة هو النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف ، (٤/ ١٤٨).

(٢) المرادي بدر الدين حسن بن قاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق: د فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م ص٣٨٥

(٣) العثيمين ، شرح رياض الصالحين ، (١/ ٢٢٦).

روي عن الحَسنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ[1]، رَضيَ اللَّهُ عَنْهما، قَالَ حفِظْتُ مِنْ رسول اللَّه ﷺ: ((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمأنينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبةٌ))[2]

الفعل "دع" فعل أمر من الفعل الثلاثي "ودع" ومنه «التَوديعُ عند الرحيل. والاسم الوداع بالفتح. وتوديع الفحل: اقتناؤه للفحلة. وقوله تعالى: ﴿ما وَدَّعَكَ رَبُّك﴾ قالوا: ما تركك ... وقولهم: دع ذا، أي اترُكْه» [3]، وابتداء الكلام بفعل الأمر وليس ثمة سابق له في سياق القول يعني أن العناية من المتكلم منصبة أن يعي المتلقي أهمية الأمر الموجه إليه بترك ما يأمر بتركه، ومفعول الفعل الأمر هو الاسم الموصول "ما" وهو أحد الأسماء الموصولة المعراة «من الألف واللام، وهي مع ذلك مُعرَّفةٌ، وهي "مَن"، و"مَا"، و"أيٌّ"، نحوُ قولك: "ضربتُ مَنْ عندك"، و"أخذتُ ما أعطيتَني"، و"لأُكْرِمَن أيهُمْ في الدار". فهذه الأشياءُ كلُها معارفُ، ولا ألفَ ولامٌ فيها كما كانتا في "الذي" و"الَّتي". وإنما تعرُّفُها بما بعدها من صلاتها» [4] .

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم سبط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وريحانته وأحد سيدَي شباب أهل الجنة ولد للنصف من شعبان سنة ثلاث من الهجرة روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أحاديث وعن أبيه علي بن أبي طالب. انظر: ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، تاريخ دمشق ، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥م ، (١/ ١٦٣).

(٢) النووي ، رياض الصالحين ، (ص: ٥١) .

(٣) الجوهري إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت ، دار العلم للملايين ،١٩٨٧م، مادة "ودع" (٣/ ١٢٩٥، ١٢٩٦).

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، (٢/ ٣٧٤) .

إذن المأمور بتركه معروف لدى المتكلم والمتلقي دل عليه استخدام الاسم الموصول "ما" الذي يعرِّفه صلته المعرفة؛ فالأمر المريب أو الذي يسبب الريبة الواجب تركه يعرفه الحسن بن علي رضي الله عنهما (المتلقي) كما يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم (المرسل)، والأمر هنا ليس دلالة على الترك فقط ولكن على الإتيان أيضا؛ إذا أعقب جملة الصلة "ما يريبك" بـ "إلى" الدالة على بلوغ الغاية متصلة بجملة صلة أخرى هي "ما لا يريبك"، ومن هنا فإن المسلم – إذا أخرجنا الحديث من خصوص المناسبة إلى عموم اللفظ – مأمور من خلال فعل الأمر "دع" بالترك والإتيان في آن واحد؛ مأمور بترك الريب وإتيان اليقين.

وقد كثر لدى شراح الحديث المقصود بالريب والمقصود باليقين؛ ولكن طبقا لمعنى التفسير القضوي للغة الذي يعني أن معنى المحتوى القضوي هو الجملة داخلة في علاقة إسناد فإن الحديث أتى بعد جملة "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" بقوله صلى الله عليه وسلم "فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة" وهذا معناه أن الطمأنينة واليقين المأمور المسلم بإتيانهما يتمثلان في الصدق، والريبة المأمور المسلم بتركها هي الكذب؛ وحتى لو تماشينا مع شراح الحديث بأن الريب تمثل الأمور المشتبهات التي في حديث "الحلال بين والحرام بين"[1] فإن التفسير التداولي الذي يجعلنا ننظر إلى السياق النصي أولا ثم السياق الخارجي وملابسات المقام وعوامله ثانيا يجعلنا نقول إنه طبقا للسياق اللغوي الداخلي للنص فإن الريب هي الكذب والطمأنية هي الصدق؛ فالترك المأمور به هو الكذب والإتيان المضمن في فعل الأمر "دع" هو الصدق.

(١) انظر: الإثيوبي محمد بن علي بن آدم بن موسى، شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» ، مكة المكرمة ، دار آل بروم للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م ، (٣٩/ ٢٥٦).

((عن ابنِ عبَّاسٍ[1]، رضيَ اللَّه عنهمَا، قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يوْماً فَقال: "يَا غُلامُ إِنِّي أُعلِّمكَ كَلِمَاتٍ: "احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل اللَّه، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، واعلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمعتْ عَلَى أَنْ ينْفعُوكَ بِشيْءٍ، لَمْ يَنْفعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بَشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّه عليْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ"))[2].

إن النداء الذي بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم ثم مناداته ابن عباس بلقب "الغلام" ليدل على أن الكلام الموجه له صفة الاستعلاء؛ مما يجعل معنى "إني أعلمك كلمات": "تعلم هذه الكلمات" فتكون جملة "أعلمك" جملة أمر في صورة خبر ويكون الفعل أعلمك مضارع في اللفظ وأمر في المعنى.

فسياق القول الذي بدأ بإخبار ابن عباس أنه كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم، والنداء بأداة النداء "يا" الموحية بالنداء من الأعلى للأدنى ولفظ "غلام" كلها صياغات سياقية تجعل المعنى ينصرف من الإخبار للإنشاء ومن المضارع للأمر. ثم إعقاب "أعلمك" بكلمة "كلمات" تجعل التركيز منصبا على هذه الكلمات بدرجة عالية؛ هنا تقوم اللغة بوظيفتها كـ«أداة قادرة على تشغيل سلسلة من الاستعمالات النفسية. وتدفقها لا يتماثل مع مستوى التدفق الداخلي للوعي فقط، بل يماثله على عدة مستويات ابتداء من حالة الذهن التي تهيمن عليها صورة معينة، إلى الحالة التي ينصرف فيها الانتباه إلى المفاهيم المجردة وعلائقها فقط، وهي الحالة التي تسمى تقليديا بالتفكير الاستدلالي Deductive thinking. وهكذا فإن الشكل الخارجي للغة هو فقط الثابت، أما معناها الداخلي وقيمتها

(١) حَبْرُ الأُمَّةِ، وَفَقِيْهُ العَصْرِ، وَإِمَامُ التَّفْسِيْرِ، أَبُو العَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ، ابْنُ عَمِّ رَسُوْلِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ شَيْبَةَ بنِ هَاشِمٍ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٠).

(٢) النووي ، رياض الصالحين ، (ص: ٥٣، ٥٤).

النفسية أو توترها فيختلفان باختلاف التركيز أو اهتمام الذهن، ولا داعي للقول إنهما يختلفان مع التطور العام للذهن» [1].

فطالما الكلمات الآتي ذكرها واجب على الغلام طبقا للأمر النبوي تعلمها سيستدعي ذلك من المتلقي (الغلام/عبد الله بن عباس) أن يصرف كامل تركيزه وانتباه ذهنه إلى ما تعنيه هذه الكلمات، وكذلك حال كل متلقي في التعامل مع هذه الكلمات ؛ لأن استخدام صيغة "أعلمك" في الأمر عوضا عن صيغة "تعلم" قد أوحى للمتلقي بأن هذه الكلمات عظيمة المكانة عند المتكلم شديدة الأهمية للمتلقي بحيث جعل صيغة الأمر مسندة للمتكلم لا للمخاطب، ومتصل بها ضمير المخاطب الظاهر المتصل (الكاف) دلالة على أهمية الكلمات المأمور بها للطرفين.

هذه الكلمات الواجب على المتلقي تعلمها تبدأ بفعل أمر "احفظ الله" وحفظ الله عز وجل يعني حفظ أوامره واتباعها؛ فليس بمقدور أحد من البشر أن يحفظ الله بالمعنى الحرفي المجرد للكمة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولكي يصرف المتلقي ذهنه إلى أن المعني بحفظ الله هو حفظ أوامره جاء جواب الطلب "يحفظك" ليترتب على التزام المتلقي أوامر الله أن يحفظه الله؛ فالفائدة العائدة على المتلقي من تعلم الكلمات بأن يحفظ أوامر الله حتى يحفظه الله هي التي جعلت فعل الأمر في "أعلمك" يحمل كل هذه القيمة النفسية الجالبة لاهتمام المتلقي.

واستطرادا في بيان أهمية الكلمات الواجب على المتلقي تعلمها يأتي أمر جديد بمثابة تأكيد لفظي للأمر الأول "احفظ الله" إلا أن جواب الطلب جاء مختلفا هذه المرة، فلم يكن من نفس المادة اللغوية لفعل الأمر؛ لكنه جاء فعلا جديدا في قوله صلى الله عليه وسلم "تجده تجاهك" و«يقال فلان تجاهك بضم التاء وتجاهك بكسر التاء إذا كان بحذائك من تلقاء وجهك» [2]؛ فأن يكون الخالق عز وجل مقبلا على العبد في حين يحتاج العبد مجرد رضا ربه؛ يجعل لالتزام الأمر بتعلم هذه الكلمات أهمية عظيمة وشأنا جليلا.

---

(١) إدوارد سابير ، مدخل للتعريف باللغة، مقال منشور ضمن كتاب اللغة والخطاب الأدبي، اختيار وترجمة: سعيد الغانمي، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٣م ، ص١٩.

(٢) أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم ، البارع في اللغة ، تحقيق: هشام الطعان، بغداد، مكتبة النهضة، – و بيروت ، دار الحضارة العربية، ١٩٧٥م،ص٩٢.

وجاء فعل الأمر "اعلم" من نفس مادة "أعلمك" ليبدأ الحديث بالأمر بالعلم وينتهي بالأمر بالعلم؛ ليجعل الاهتمام بالعلم أعلى أولويات من يتعلم هذا الحديث من المسلمين ومن متلقي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم والمستجيبين لأوامره.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ((المُؤمِن الْقَوِيُّ خيرٌ وَأَحبُّ إِلى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفي كُلٍّ خيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا ينْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ. وإِنْ أصابَك شيءٌ فلاَ تقلْ: لَوْ أَنِّي فَعلْتُ كانَ كَذَا وَكذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قدَّرَ اللَّهُ، ومَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَان))[1]

تبدأ أفعال الأمر في هذا الحديث الشريف بقول النبي صلى الله عليه وسلم "احرص" ، وهو فعل أمر من الفعل الثلاثي "حرص"[2]، فالفعل "حرص" إذا ضُم السياق الذي ورد فيه إلى بعض معانيه اللغوية نجده يحمل المعنى الخيِّر الإيجابي في هذا الحديث، فالسحابة التي يشتد مطرها تسمى حارصة؛ والمطر عند العرب غيث دلالة على الخير، وإذا استخدم بمعنى الجمع نجد "حُرص المرعى" إذا أكل عشبه كاملا تشبيها بالسحابة وما يفعله الغيث بالأرض من قشر وجه الأرض؛ ولذلك جاء الأمر في الحديث الشريف تماشيا مع هذه المعاني اللغوية الإيجابية بالحرص على ما ينفع لوجد الحرص هنا يفسر معنى القوة الموسوم بها المؤمن في أول الحديث إذ جاء في شرح الحديث أن «القوة هنا المحمودة يحتمل أنها في الطاعة، من شدة البدن وصلابة الأسر، فيكون أكثر عملاً، وأطول قيامًا، وأكثر صياماً وجهاداً وحجاً. وقد تكون القوة هنا فى المنة وعزيمة النفس، فيكون أقدم على العدو فى الجهاد وأشد عزيمة فى تغيير المناكر والصبر على

(١) النووي ، رياض الصالحين ، ص٦٧.

(٢) الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالصَّادُ أَصْلانِ: أَحَدُهُمَا الشَّقُّ، وَالآخَرُ الْجَشَعُ. فَالأَوَّلُ الْحَرْصُ الشَّقُّ ؛ يُقَالُ حَرَصَ الْقَصَّارُ الثَّوْبَ إِذَا شَقَّهُ. وَالْحَارِصَةُ مِنَ الشِّجَاجِ: الَّتِي تَشُقُّ الْجِلْدَ. وَمِنْهُ الْحَرِيصَةُ وَالْحَارِصَةُ، وَهِيَ السَّحَابَةُ الَّتِي تَقْشِرُ وَجْهَ الأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ وَقْعِ مَطَرِهَا ... وَأَمَّا الْجَشَعُ وَالإِفْرَاطُ فِي الرَّغْبَةِ فَيُقَالُ حَرَصَ إِذَا جَشَعَ يَحْرِصُ حِرْصًا، فَهُوَ حَرِيصٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ»[النحل: ٣٧] . وَيُقَالُ حُرِصَ الْمَرْعَى، إِذَا لَمْ يُتْرَكْ مِنْهُ شَيْءٌ ؛ وَذَلِكَ مِنَ الْبَابِ، كَأَنَّهُ قُشِرَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ . انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، (٢/ ٤٠).

إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق فى ذات الله، أو تكون القوة بالمال والغنى فيكون أكثر نفقة فى سبيل الخير، وأقل ميلاً إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها. وكل هذه الوجوه ظاهرة في القوة» [1] .

لكن باعتبار تضام سياقات القول وانتظام جمل النص نجد الأمر بأن يحرص المؤمن على ما ينفعه جاء تالياً للإخبار بخيرية المؤمن القوي؛ مما يجعل معنى القوة منصرفاً إلى كل ما ينفع المؤمن في إيمانه من شدة السعي لطلب للآخرة وقلة الميل للدنيا .

ولأن السياق يقتضي النظر في الجمل اللاحقة تماما كالنظر في الجمل السابقة؛ فإننا نجد الجملة التالية لجملة "احرص على ما ينفعك" هي " واسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ" و"استعن" فعل أمر من الفعل الماضي الخماسي "استعان" على وزن "استفعل" وهي صيغة تدل على معاني عدة؛ منها "الطلب والاستدعاء" و"الإصابة" و"التحول من حال إلى حال" وقد يأتي بمعنى "تفعل" دلالة على التكلف وغير ذلك من المعاني التي تدل عليها "استفعل"[2]، لكن«الغالبُ عليه الطَّلَبُ، نحو: "استفهم"، و"استعلم"، إذا طلب الفهم والعلم»[3].

وقد جاء الأمر من "استفعل" هنا بمعنى الطلب؛ وعليه فإن "استعن بالله" معناها "اطلب العون" من الله؛ وقد جاء جوابا للشرط الذي أداته "إذا"، «وَهِي ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشُّرُوط غَالِبا وَمن ثمَّ وَجب إيلاؤها الْجُمْلَة الفعلية ولزمت الْفَاء فِي جوابها»[4]، والشرط كما نعلم يعني ضرورة ترتب وقوع جواب الشرط على وقوع فعل الشرط، ومعناه أنه كلما أردت أيها المؤمن أن تسعين فعليك أن تستعين بالله؛ وقد جاء الأمر بالاستعانة بالله بعد الأمر بالحرص على ما ينفع المرتبط بمعاني القوة المتعلقة بالإيمان؛ وهذا معناه أن الاستعانة بالله ضمن النافع المأمور المؤمن بالحرص عليه؛ ويدخل أيضا ضمن معاني قوة المؤمن؛ ودليل ذلك أن الأمر بالاستعانة بالله يليه نهي عن العجز.

---

(١) القاضي عياض بن موسى بن عياض ، إكمال المعلم بفوائد مسلم ، المحقق: الدكتور يحيَى إِسْمَاعِيل، القاهرة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨م ، (٨/ ١٥٧).

(٢) انظر: ابن يعيش ، شرح المفصل ، (٤/ ٤٤٢).

(٣) المرجع السابق، (٥/ ٣٤٤).

(٤) السيوطي جلال الدين ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، المكتبة التوفيقية، مصر، (٢/ ١٧٩).

وآخر جمل الأمر في الحديث الشريف هي قوله صلى الله عليه وسلم "ولكن قل قدر الله وما شاء فعل"، وهي معطوفة على جملة جواب شرط صدرت بالنهي "فلا تقل" وأداة الشرط فيها "إن" وفعل الشرط "أصابك" فالمؤمن مأمور هنا إن أصابه شيء أن لا يلجأ إلى تبكيت النفس والندم باستخدام "لو" التي تفتح عمل الشيطان؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم يأمر أن لا يفعل المؤمن ذلك باستخدام أداء الاستدراك "لكن" التي تعني انقطاع ما قبلها عما بعدها؛ ينقطع المؤمن من مجال عمل الشيطان إلى مجال الاستعانة بالله تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول "قدر الله وما شاء فعل"؛ فيكون بذلك مؤمنا قويا مستعينا بالله منقطعا عن طريق الشيطان.

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[1] رضي اللَّه عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: "دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ: إِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قبْلكُم كَثْرةُ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبيائِهِمْ، فَإِذا نَهَيْتُكُمْ عنْ شَيْءٍ فاجْتَنِبُوهُ، وَإِذا أَمَرْتُكُمْ بأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))[2]

هذا الحديث الشريف بدأ بأمر نبوي (دعوني) من الفعل الثلاثي "ودع" و «الْوَاوُ وَالدَّالُ وَالْعَيْنُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى التَّرْكِ وَالتَّخْلِيَةِ. وَدَعَهُ: تَرَكَهُ، وَمِنْهُ دَعْ»[3]. وقد أعقب الفعل الأمر بأداة الشرط "ما"[4] وتلى أداة الشرط فعل الشرط "تركتكم"؛ وعليه فإن فعل الأمر "دعوني" هو جواب الشرط المقدم؛ وبإكمال السياق نجد قوله صلى الله عليه وسلم "إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم؛ وعليه فإن معنى "دعوني" ليس "اتركوني" وإنما "اتركوا سؤالي"؛ وهنا تقدم جواب الشرط على أداة الشرط واستغني بما أضيف المفعول به إليه عن المفعول تهويلا لخطر الإلحاح في السؤال عما لم يبد له النبي صلى الله عليه وسلم حكما؛ فقد «قاله النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن بعض

(١) أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، اختلف في اسمه اختلافا كثيرا، انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ابن الزكي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠، (٣٤/ ٣٦٦). روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر، وروى عن أبي بكر وعمر وعبد الله بن سلام وبصرة بن أبي بصرة الغفاري وعائشة وكعب بن ماتع الحبر. روى عنه ابن عباس وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعبد الله بن ثعلبة بن أبي صعيرة وأبو أمامة . انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٧/ ٢٩٥).

(٢) النووي ، رياض الصالحين ، ص٨٤.

(٣) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، (٦/ ٩٦).

(٤) انظر: السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، (٢/ ٥٤٥).

الصحابة من حرصهم على العلم ومعرفة السنة، كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء قد لا تكون حراماً فتحرم من أجل مسألتهم، أو قد لا تكون واجبة، فتجب من أجل مسألتهم» [1].

هذا الخطر الذي تجلى في أنه الهلاك؛ نظرا لمحدودية القدرة البشرية أن تأتي كل ما أمرت به إذا وضعت كل شيء موضع الأمر والنهي الشرعيين؛ وذلك هو ما دفع النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون إتيان أمر على قدر الاستطاعة في أسلوب شرطي آخر في الحديث نفسه في قوله صلى الله عليه وسلم: "وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"؛ فرغم ما في صيغة الأمر من الإلزام إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قيد الإتيان بالاستطاعة؛ مما يصرف معنى الأمر هنا إلى الحث والحض على الاستزادة من الطاعة.

عن أَبِي هريرةَ رضي اللَّه عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رسولِ اللَّه ﷺ: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ» [البقرة: ٢٨٤] اشْتَدَّ ذلكَ عَلَى أَصْحابِ رَسُول اللَّه ﷺ، فأَتوْا رَسُول اللَّه ﷺ، ثُمَّ برَكُوا عَلَى الرُّكَب فَقالُوا: أَيْ رسولَ اللَّه كُلِّفْنَا مِنَ الأَعمالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلاَةَ وَالْجِهادَ وَالصِّيام وَالصَّدقةَ، وَقَدَ أُنْزلتْ عليْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلا نُطِيقُهَا. قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: " أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتابَين مِنْ قَبْلكُمْ: سَمِعْنَا وَعصينَا؟ بَلْ قُولوا: سمِعْنا وَأَطَعْنَا غُفْرانَك رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمصِيرُ "فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَومُ، وَذَلّتْ بِهَا أَلْسِنتهُمْ، أَنزلَ اللَّه تَعَالَى في إِثْرهَا: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} فَلَمَّا فعَلُوا ذلِكَ نَسَخَهَا اللَّه تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} قَالَ: نَعَمْ {رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً

(١) العثيمين محمد بن صالح ، شرح رياض الصالحين (٢/ ٢٦٩).

كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} قَالَ: نعَمْ {رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} .قَالَ: نَعَمْ {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} قَالَ: نعَمْ))[1]

فعل الأمر "قولوا" في هذا الحديث جاء متصلا بواو الجماعة الواقعة موقع الفاعلية؛ وذلك أن المخاطبين جاؤوا بقول يطلبون فيه أن يجد لهم النبي صلى الله عليه وسلم مخرجا من أن يحاسبوا بسرائرهم؛ وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم هذا مخالفة لصريح ما جاءت به الآية، فإن الآية الكريمة قد كلفتهم أن لا تنطوي أنفسهم إلا على الخير وأن لا يكون في سرائرهم من الإثم شيء أبدا؛ وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن الآية وإن جاءت بالصورة الخبرية فإن فيها معنى إنشائيا يقضي بتكليفهم سلامة السرائر من حديث السوء؛ والدليل قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم: "كُلِّفْنَا مِنَ الأَعمالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلاَةَ وَالجِهادَ وَالصِّيام وَالصَّدقةَ، وَقَدَ أُنْزلتْ عليْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلا نُطِيقُهَا" فعطفهم تنزيل الآية على ما كلفوا به من الأعمال «يعني: أن الصحابة سموا هذا تكليفاً، وقالوا: كلفنا، ولم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم»[2] وأن مضمون هذه الآية يقضي هذا التكليف؛ لكنه أنكر عليهم أن يتهربوا من هذا التكليف ويحاولوا إيجاد مخرج من طاعتهم أمر ربهم، ولخطورة هذا على دينهم جاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم "قولوا".

لقد جاء الأمر بأن يقولوا "سمعنا وأطعنا" بعد الاستفهام الاستنكاري لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يستنكر فيه على الصحابة أن يقولوا مقولة أهل الكتاب من قبلهم بالمعصية لله عز وجل؛ ثم أردف – صلى الله عليه وسلم – استفهامه الاستنكاري بقوله: "بَلْ قُولوا: سمِعْنا وَأَطَعْنَا غُفْرانَك رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمصِير" مسبقاً فعل الأمر "قولوا" بأداة العطف "بل" و «لا، بل، لكن: أخوات في أن المعطوف بها مخالف للمعطوف عليه» [3] فالقول المأمور به في قولوا مخالف لما قالوه من قبل؛ وذلك أن «معنى بل الإضراب عَن الأول وَالإِثْبَات للثَّانِي تَقول: "قَامَ زيد بل

(١) النووي ، رياض الصالحين، ص٨٧، ٨٨.

(٢) عبد العزيز الراجحي ، شرح صحيح ابن حبان ، وهو تفريغ للتسجيلات الصوتية لدروسه التي شرح فيها صحيح ابن حبان ولما تنشر في كتاب بعد.

(٣) الزمخشري محمود بن عمرو بن أحمد جار الله ، المفصل في صنعة الإعراب ، المحقق: د. علي بو ملحم، بيروت، مكتبة الهلال،١٩٩٣م، ص٤٠٥.

عَمْرو"»[1]. فالنبي صلى الله عليه وسلم يستنكر قولهم بسؤال استنكاري، ثم يستعمل أداة العطف "بل" التي تعني الإضراب عن الأول والإثبات للثاني، وجاء ما بعد "بل" فعل أمر؛ إمعانا في التأكيد على وجوب طاعة ما في الآية الكريمة من التكليف، فما كان من الصحابة إلا قبول التكليف والسمع والطاعة لله ورسوله فجاءت منة ربهم.

والأمر النبوي على الحال الذي شرحناه، واستجابة الصحابة رضوان الله عليهم فيه –كما يذكر ابن هبيرة الشيباني – «من الفقه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علمهم الأدب بأن يقولوا عند تكليف الرب سبحانه: (سمعنا وأطعنا)، ونهاهم – صلى الله عليه وسلم – عن غير ذلك فنزلت: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه" فاعترفوا أن الله سبحانه وتعالى رفع عنهم ثقل إصر لو حملهم لكان في ذلك عادلا؛ لكنه تفضل برفعه عنهم» [2].

لقد اقترب ابن هبيرة الشيباني من فهم التفسير التداولي للغة حين أشار إلى المحتوى القضوي المرتبط بالسياق للفعل الأمر "قولوا"بأنه جاء لتعليم الصحابة الأدب مع الرب، وأيضا حين ألمح إلى أثر الأمر على المتلقين/الصحابة.

قال رسولَ اللَّه ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: ((لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّه عَلَى يَدَيْهِ، يُحبُّ اللَّه ورسُولَهُ، وَيُحبُّهُ اللَّه وَرَسُولُهُ" فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أصبحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رسولِ اللَّه ﷺ: كُلُّهُمْ يَرجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فقال:"أَيْنَ عليُّ بنُ أَبي طالب؟ "فَقيلَ: يَا رسولَ اللَّه هُو يَشْتَكي عَيْنَيْه قَالَ:"فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ"فَأُتِي بِهِ، فَبَصقَ رسولُ اللَّه ﷺ في عيْنيْهِ، وَدعا لَهُ، فَبَرأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجعٌ، فأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فقَالَ عليٌّ رضي اللَّه عنه: يَا رَسُول اللَّه أُقاتِلُهمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ:"انْفُذْ عَلَى رِسلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَخْبرْهُمْ بِمَا يجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حقِّ اللَّه تَعَالَى فِيهِ، فَواللَّه لأَنْ يَهْدِيَ اللَّه بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمَ"))[3]

(١) ابن جني أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي ، اللمع في العربية ، تحقيق: فائز فارس، الكويت ، دار الكتب الثقافية ، ص٩٣ .

(٢) الشيبانيّ يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة ، الإفصاح عن معاني الصحاح ، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الوطن ، ١٤١٧هـ ، (٨/ ١٨١) .

(٣) النووي ، رياض الصالحين ، ص٩١.

الأمر في هذا الحديث النبوي الشريف هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "انْفُذْ عَلَى رِسلِكَ"، وقد بدأ الحديث الشريف بما يخبر به الراوي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم وهم في حرب خيبر أنه سيعطي في اليوم التالي الراية لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله؛ ولا شك أن إرسال الرسالة اللغوية على هذا النحو من إعطاء أجل في المستقبل للإنباء بأمر يجعل الجميع منتظرا في لهفة وشوق لمعرفة هذا الذي منَّ الله عليه أن يكون ممن يحبهم ويحبونه؛ إن تأجيل الإخبار على هذا النحو يشحذ الطاقة الذهنية للمتلقى في اتجاه أن تكون في أعلى درجات الانتباه والتركيز، وهذا ما حدث فقد بات الصحابة جميعا "يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها" «أي: يخوضون في ذلك ويتداولون الرأي فيه، والدوكة: الاختلاط والخوض يقال: بات القوم يدوكون إذا وقعوا في اختلاط»[1].

هذه الدرجة الشديدة من كمال الانتباه والتركيز الذهني لدى المتلقي تجعل الخبر بالرجل القائد الذي سيعطيه النبي الراية يأتي والجميع في شوق لمعرفة من هو وفي إنصات كامل لاستقبال الأمر النبوي، كما سيكون التركيز كاملا لاستيعاب الأمر النبوي وتفسير معناه على النحو الذي ينبغي أن يفهم عليه، فلما كان اليوم التالي أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية عليا، وخاطبه بهذا الأمر النبوي "انْفُذْ عَلَى رِسلِكَ"؛ «أي امض على هَيْئَتَكَ، وهو من نَفَذَ يَنْفِذُ، من باب ضَرَبَ يَضْرِبُ، ومادته: نون وفاء وذال معجمة. و"الرِسل": بكسر الراء: الهينة والتأني، قال الجوهري: يقال: افعل كذا وكذا على رِسْلك -بالكسر- أي: اتَّئِد فيه، كما يقال: على هَيْئَتك» [2]

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمره بالذهاب إلى حصون اليهود على هينة وتؤدة وإنما اختار هذه الصيغة "انْفُذْ عَلَى رِسلِكَ" فالمادة الأساسية للفعل نفذ «النُّونُ وَالْفَاءُ وَالذَّالُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَضَاءٍ فِي أَمْرٍ وَغَيْرِهِ. وَنَفَذَ السَّهْمُ الرَّمْيَةَ نَفَاذًا. وَأَنْفَذْتُهُ أَنَا. وَهُوَ نَافِذٌ: مَاضٍ فِي أَمْرِهِ» [3]. وليس المضاء الذي يدل عليه الفعل "نفذ" مضاء

(١) ابن الملقن عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، بيروت، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث – و دمشق ، دار النوايا ، ٢٠٠٨ م ، (٢٠/ ٣٠٨) .

(٢) بدر الدين العيني محمود بن أحمد بن موسى ، نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، قطر ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ٢٠٠٨م ، (١٤١/١٢) .

(٣) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة "نفذ" (٥/ ٤٥٨).

عاديا وإنما «"النَّفَاذُ": الجَوَازُ، وَفِي الْمُحكم: "جَوَازُ الشَّيْءِ والخُلُوصُ مِنْهُ" ، تَقول: نَفَذْت، أَي جُزْتُ، وَقد نَفَذ يَنْفُذ نَفَاذاً، "كالنُّفُوذِ"، بالضَّمّ» [1].

فصيغة "نفذ" إذن تدل على المضاء والجواز والاختراق، وحين يضم الأمر بهذه الصيغة إلى "على رسلك" ربما للدلالة على التؤدة والهينة والتلطف؛ إلا أن الأمر على هذا النحو يجعل المعنى لدى المتلقي المتحفز الذهن كما سبق وبينا يفهم أن أمر النفاذ إلى العدو في الحرب والانتصار عليهم وفتح الحصن المستعصي لا يقتضي بالضرورة القوة والبطش وإنما ينبغي أن يكون خلق المسلم حتى في الحرب التؤدة والهين والتلطف؛ فالمؤمن هين لين في شأنه كله؛ ومن ثم جاءت الأوامر التالية في الحديث النبوي الشريف مكملة لهذا المعنى من دعوتهم للإسلام وإخبارهم بحق الله عليه والسعي في هدايتهم.

عن أبي سعيد الخدري[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول ((مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكراً فَلْيغيِّرْهُ بِيَدهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطعْ فبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبقَلبهِ وَذَلَكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ))[3]

جاء الأمر في هذا الحديث النبوي الشريف "فَلْيغيِّرْهُ" جوابا للشرط جملة شرط أداة الشرط فيها "من" الدالة هنا على كل عاقل مسلم مخاطب بهذا الحديث، وقد جاء الأمر عن طريق إدخال لام الأمر على الفعل المضارع، و«لام الأمر جازمة للفعل المستقبل للمأمور الغائب كذلك أصل دخولها كقولك: ليذهب زيد وليركب عمرو ولينطلق أخوك قال الله عز وجل: لينفق ذو سعة من سعته؛، وقال ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم»[4] .

---

(١) الحسيني محمد بن أحمد بن عبدالرزاق ، تاج العروس، الزبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين، القاهرة ، دار الهداية ، مادة "نفذ"(٩/ ٤٨٦).

(٢) الإمام المجاهد ، مفتي المدينة سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج . استشهد أبوه مالك يوم أحد ، وشهد أبو سعيد الخندق ، وبيعة الرضوان، وحدث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فأكثر وأطاب ، وعن أبي بكر ، وعمر ، وطائفة ، وكان أحد الفقهاء المجتهدين . انظر : سير أعلام النبلاء (١٦٩/٥)

(٣) النووي ، رياض الصاحين، ص٩٣.

(٤) الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق ، اللامات ، المحقق: مازن المبارك، دمشق ، دار الفكر،١٩٨٥م، ص٩٢ .

إذن كون لام الأمر للمأمور الغائب وقد جاءت متصلة بجواب الشرط يدل على أن كل متلق لهذا الحديث النبوي الشريف مأمور بتغيير المنكر؛ وأن "منكم" في هذا الحديث النبوي الشريف لا تعني أولئك الذين استمعوا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما منكم يا أمة محمد جميعا من حضر قولي ومن بلغه هذا القول .

والفاء هنا وإن كانت لازمة لجواب الشرك المقترن بلام الأمر إلا أنه لا تنفك عنها دلالتها الأصلية، وهي أن «معنى الْفَاء التَّفَرُّق وعلى مُوَاصلَة أَي الثَّانِي يتبع الأول بِلا مهلة» [1]؛ ومن ثم فالمعنى هنا أن كل من رأى منكرا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يلزمه في الحال ودون مهلة أن يسعى إلى تغيير هذا المنكر بكل ما يتاح له من الوسائل سواء كان بيده أو لسانه أو إن أعجزه التغيير باليد أو باللسان فلينكر بالقلب وهنا يكون المعنى القضوي لفعل الأمر "فَلْيغيِّرْهُ" (فلينكره) في الحالة الأخيرة وهي التغيير بالقلب.

إن وقوع جملة "فَلْيغيِّرْهُ" جواب شرط لجملة شرط أداتها "من" الدالة على كل مكلف مسلم عاقل، وكون الأمر جاء بإدخال لام الأمر على الفعل المضارع، وقتران الأمر بالفاء كل ذلك جعل المعنى القضوي لفعل الأمر «"فليغيره بيده" هو أمر إيجاب، وقد تطابق على وجوبه الكتاب والسنة وإجماع الأمة. وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين»[2].

(١) ابن جني ، اللمع في العربية ، ص٩١.

(٢) شرف الدين الحسين بن عبد الله ، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ(الكاشف عن حقائق السنن) ، المحقق: د.عبدالحميد هنداوي، مكة المكرمة – الرياض ، مكتبة نزار مصطفى الباز (٣٢٥٩/١٠).

عن ابن مسعود[1] رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا دخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّه كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّه وَدعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ، ثُم يَلْقَاهُ مِن الْغَدِ وَهُو عَلَى حالِهِ، فَلا يمْنَعُه ذلِك أَنْ يكُونَ أَكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وَقعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّه قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ" ثُمَّ قَالَ: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ» إِلَى قوله «فَاسِقُونَ» [المائدة: ٧٨، ٨١]. ثُمَّ قَالَ: "كَلاَّ، وَاللَّه لَتَأْمُرُنَّ بالْمعْرُوفِ، وَلَتَنْهوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، ولَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، ولَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْراً، ولَتقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْراً، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّه بقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ))[2].

جاءت الأوامر في هذا الحديث النبوي الشريف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم بعد أن بينت عاقبة تفريط بني إسرائيل في هذا الأمر العظيم من أوامر الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو سبب خيرية هذه الأمة، فقد بين الحديث الشريف عاقبة تفريط بني إسرائيل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الله خلط قلوب بعضهم ببعض؛ أي فتأثر قلب الصالح بقلب الطالح الذي صافاه ولم يستمر في الإنكار عليه فكانت نتيجة ذلك لعنة الله كما نزل بذلك القرآن الكريم.

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو عبد الرحمن الهذلي، فقيه الأمة، حليف بني زهرة وأحد أوائل المهاجرين حيث هاجر الهجرتين وصلى على القبلتين، وأول من جهر بقراءة القرآن، تولى قضاء الكوفة و بيت المال في خلافة عمر وصدر من خلافة عثمان . انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦٢)

(٢) النووي ، رياض الصاحين، ص٩٦.

بعد هذا البيان لما حاق ببني إسرائيل من العقاب الأليم والجزاء الوخيم على تفريطهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ جاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأمته مقترنا بالقسم على عاقبة السوء التي قد تحيق بهم لو أنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تلك الأوامر الواقعة جوابا للقسم وهي (ولَتقْصُرُنَّهُ، وَلَتَنْهؤُنَّ، ولَتَأْخُذُنَّ،ولَتَأْطِرُنَّهُ،لَتَأْمُرُنَّ) ووقوع الأوامر هكذا مقترنة بلام الأمر التي تصرف الفعل من المضارعية للأمر له دلالتان، الأولى أن الأفعال وإن كانت اللام أخلصتها من المضارعية للأمر إلا أن مجيئها على صيغة المضارع يحتفظ من دلالة المضارع بالتجدد والاستمرار، أي الأمر هنا ليس أن تأمروا مرة وحسب وتنكروا مرة وتفعلوا فعلة بني إسرائيل في أن تؤاكلوا وتشاربوا الظالم بعد الإنكار مرة واحدة؛ ولكن أنتم مأمورون باستمرار الإنكار، وليس هذا فحسب بل إن دخول لام الأمر على المضارع وإن كانت وظيفتها الأساس هنا هي إخلاص المضارع للأمر إلا أنها تحتفظ بدلالتها الأولى وهي التأكيد؛ فتكون الأوامر حين تأتي بهذه الصيغة دالة على التأكيد والاستمرار في الأمر بالمعروف والنهي، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم إلى دلالة التأكيد المعتمدة على الصيغة الصرفية والتركيب النحوي الدلالة المعجمية التأكيدية لفعلي الأطر والقصر فـ«الأطر العطف، ومنه إطار المنخل؛ ... أي لا تعذرون حتى تجبروا الظالم على الإذعان للحق وإعطاء النصفة للمظلوم ... قوله: "لتقصرنه": القصر: الحبس، يقال: قصرت نفسي على الشيء إذا حبستها عليه وألزمتها» [1] .

إن جمع دلالات التأكيد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا النحو يقابله العاقبة التي تمثلت في العطف بأداة العطف "أو"، و«"أو"، و"إمَّا"، و"أم" ثلاثتها لتعليق الحكم بأحد المذكورين» [2]؛ أي إن النبي صلى الله عليه وسلم يقسم على أنه إذا لم يلتزم المسلمون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه ستحيق بهم عاقبة السوء كما حاقت ببني إسرائيل من قبل.

(١) شرف الدين الحسين بن عبد الله ، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) (١٠/ ٣٢٦٧، ٣٢٦٨).

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل ، (٥/ ١٦).

عن مُعاذٍ[1] رضي اللَّه عنه قَالَ: بعَثَنِي رسولُ اللَّه ﷺ فَقَالَ: "إنَّكَ تَأْتِي قوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَاب، فادْعُهُمْ إِلَى شَهَادة أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللَّه، وأَنِّي رَسُول اللَّه فإِنْ هُمْ أَطاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمهُمْ أَنَّ اللَّه قَدِ افْترضَ علَيْهِم خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يومٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلكَ، فَأَعلِمْهُمْ أَنَّ اللَّه قَدِ افْتَرَضَ عَلَيهِمْ صدَقَةً تُؤْخذُ مِنْ أَغنيائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرائهم، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلكَ، فَإِيَّاكَ وكَرائِمَ أَمْوالِهم. واتَّقِ دعْوةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْس بَيْنَها وبيْنَ اللَّه حِجَابٌ))[2].

في هذا الحديث الشريف أمران نبويان، الأول قوله صلى الله عليه وسلم: "فادْعُهُمْ"، والثاني: "فَأَعلِمْهُمْ"، والأمر بأن يدعوهم إلى الشهادة جاء بعد أن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم معاذا رضي الله عنه ببعثته إلى أهل اليمن فأخبره أنهم أهل كتاب؛ وهذه الجملة "إنك تأتي قوما من أهل الكتاب" هي الجملة التي ترتب عليها أمر النبي لمعاذ بأن يدعوهم للشهادة؛ فمعاذ مبعوث لقوم من غير المسلمين، ولكنهم ليسوا كفارا أصليين وإنما هم كتابيون؛ ومن ثم كان الأمر "فادْعُهُمْ إِلَى شَهَادة أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللَّه"؛ أي عرفهم بالإسلام وأن الإسلام يبدأ بالشهادة؛ بالمعنى القضوي لفعل الأمر ليس مجرد الدعوة بمعناها المعجمي؛ وإنما "التعليم" لمن يجهل معنى "لا إله إلا الله" ودلالتها على الإسلام من أهل الكتاب.

وقد ورد الأمر "فَأَعلِمْهُمْ" مرتين وفي كلتا المرتين وقع جوابا للشرط وكان فعل الشرط دالا على استجابتهم للأمر السابق؛ مما يجعل المعنى القضوي لفعل الأمر "أعلمهم" هو المعنى القضوي نفسه للفعل "ادعهم"؛ أي علمهم وعرفهم بهذا الأمر من أوامر الدين واحملهم على إتيانه والالتزام به.

---

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن المدني. شهد العقبة وبدرا والمشاهد كلها مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. روى عنه جابر، وابن عمر، وابن عباس، وأبو موسى، وخلق كثير. وكان أحد الأربعة من الأنصار الذين جمعوا القرآن على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مات في طاعون عمواس. انظر : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ، معرفة الصحابة ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار الوطن للنشر،١٩٩٨م ، (٥/ ٢٤٣١) .

(٢) النووي ، رياض الصالحين، ص١٠١.

وفي الحديث أمر باستخدام اسم الفعل وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم؛ "فَإِيَّاكَ وَكَرائِمَ أَمْوالِهِم" تحذيرا لمعاذ من أن يمس مالا لا يحل له إتيانه، وقد جاء أيضا جوابا للشرط الذي فعله "أطاعوك لذلك" فالنهي هنا ليس عن أخذ مالهم؛ فقد يحل له أن يأخذ منه الزكاة أو أي مصرف من المصارف الشرعية لأموال المسلمين، ولكن النهي كان عن تقصد كرائم الأموال حتى وإن استحقت أخذها لمصرف شرعي؛ وذلك مرتبط بأن القوم حديثو عهد بالإسلام؛ فهم أهل كتاب سيدعوهم معاذ للإسلام؛ فبعد الدعوة وتعليمهم أمور الدين يبقى مراعاة ما يعلق بقلوبهم من آثار ما قبل الإسلام؛ ومن ثم جاء الأمر النبوي بالحذر لهذه الناحية لديهم فحذر معاذاً أن يأخذ من كرائم أموالهم؛ تطييباً لقلوبهم وترضية لنفوسهم .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ((اسْتَوْصُوا بِالنِّساءِ خيْراً، فإِنَّ المرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوجَ مَا في الضِّلعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهبتَ تُقِيمُهُ كَسرْتَهُ، وإِنْ تركتَهُ، لمْ يزلْ أَعوجَ، فاستوْصُوا بِالنِّسَاءِ))[1]

الأمر النبوي في هذا الحديث الشريف أن يحسن الرجال معاملة النساء الواقعات في ولاياتهم، واختار النبي صلى الله عليه وسلم لهذا التوجيه الراقي فعل الأمر "اسْتَوْصُوا" من الفعل الماضي "استوصى" وهو استفعل وصيغة "استفعل" هنا بمعنى التكلف فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه والأمة أن يكلفوا أنفسهم صلة الخير مع نسائهم وإن كان في ذلك مشقة عليهم وذلك للعلة التي بينها صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف.

وعليه فإن المعنى القضوي لفعل الأمر "اسْتَوْصُوا" هنا: "تكلفوا مشقة الصبر على عنت المعاملة الحسنة لمن في ولايتكم من النساء وأحسنوا إليهن وألا تظلموهن وأعطُوهن حقوقهن و وجهوهن إلى الخير" فكل هذه المعاني القضوية جاءت نتيجة علاقة إسناد معاني مفردات الحديث النبوي المضمومة بعضها إلى بعض التي أعقبت الأمر "اسْتَوْصُوا".

(١) النووي ، رياض الصالحين، ص١١٩.

عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : أَقْبلَ رجُلٌ إِلى نَبِيِّ اللَّه ﷺ، فَقَالَ: أُبايِعُكَ عَلَى الهِجرةِ وَالجِهَادِ أَبتَغِي الأَجرَ مِنَ اللَّه تعالى. قال: "فهَلْ مِنْ والدِيْكَ أَحدٌ حَيٌّ؟ "قَالَ: نعمْ بَلْ كِلاهُما قَالَ:"فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّه تَعَالَى؟ "قَالَ: نعمْ قَالَ: "فَارْجعْ إِلى والدِيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبتَهُما" .متفق عليه وهذا لفظ مسلم، وفي روايةٍ لهُما: جاءَ رجلٌ فاسْتَأْذَنُه في الجِهَادِ فقَالَ: "أَحيٌّ والِداكَ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:"ففِيهِما فَجاهِدْ"[1]

لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي جاء يستأذنه في الجهاد بينما أبواه في حاجة له؛ قائلا: "فَارْجعْ إلى والديك" والمعنى هنا "اترك الجهاد وارجع إلى والديك"، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل له "ارجع" ولكن سبق فعل الأمر بالفاء وكأنه جعل الفعل جوابا لشرط محذوف تقديره "إن ترد الجهاد فارجع إلى والديك" وجعل فعل الأمر بمنزلة الجواب لشرط محذوف ينزل الأمر بالرجوع والأمر بالإحسان للوالدين بمنزلة الجهاد، فقد «أسقط الشارع عنه وجوب الهجرة تقديماً لحق أبويه، فإن الهجرة إن كانت واجبة عليه فقد عارضها ما هو أوجب منها وهو حق الوالدين، وإن لم تكن واجبة فالواجب أولى، لكن هذا إنما يصح ممن يسلم له دينه في موضعهما، أما لو خاف على دينه وجب عليه الفرار به وترك آبائه وأبنائه كما فعل المهاجرون الذين هم صفوة الله من العباد. وفي الحديث تقديم البرّ للوالدين على الجهاد» [2]، وكذلك جاء الأمر بالإحسان إليهما بعد الرجوع مقترنا بالفاء لوقوعه في جواب الطلب؛ فأصبح جواب الطلب طلبا، أي أمرا من الأعلى الذي هو النبي صلى الله عليه وسلم للأدنى الذي هو الرجل المستأذن في الجهاد رغم حاجة والديه له، وهذ التتابع للطلب والأمر «دليل لعظم فضيلة برهما وأنه آكد من الجهاد»[3].

---

(١) النووي ، رياض الصالحين، ص١٣١.

(٢) البكري ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، (٣/ ١٥٧).

(٣) النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ، ١٣٩٢هـ ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، (١٦/ ١٠٤).

والرواية الأخرى للحديث في قول النبي صلى الله عليه وسلم :"ففِيهِما فَجاهِدْ" اتبع فيها النبي صلى الله عليه وسلم طريقة الشرط المحذوف أيضا تأكيدا على أن المحتوى القضوي للأمر بالرجوع ليس تقاعسا ولا تقليلا من شأن قعوده وإنما فيه من الأجر ما في الجهاد ما دام برا بوالديه؛ حيث إن «"فيهما" متعلق بالأمر قدم للاختصاص والفاء الأولى جزاء شرط محذوف والثانية جزائية لتضمن الكلام معنى الشرط أي إذا كان الأمر كما قلت فاختص المجاهدة في خدمة الوالدين نحو قوله تعالى فإياي فاعبدون أي إذا لم يخلصوا إلي العبادة في أرض فأخلصوها في غيرها؛ فحذف الشرط وعوض منه تقديم المفعول المفيد للاختصاص ضمنا وقوله فجاهد جيء به مشاكلة يعني حيث قال فجاهد في موضع فاخدمهما لأن الكلام في الجهاد» [1] .

(١) المباركفوري محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، تحفة الأحوذي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (٢٥٧/٥) .

((وعَن ابن مَسعودٍ رضي اللَّه عنه. قالَ: قَالَ لي النبيُّ ﷺ: "اقْرَأْ علَّي القُرآنَ"قلتُ: يَا رسُولَ اللَّه، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟، قالَ:"إِني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي"فقرَأْتُ عَلَيْهِ سورَةَ النِّساء، حَتَّى جِئْتُ إِلى هذِهِ الآية: «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّة بِشَهيد وِجئْنا بِكَ عَلى هَؤلاءِ شَهِيداً»[الآية: ٤١] قَالَ:"حَسْبُكَ الآنَ"فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ. فَإِذَا عَيْناهُ تَذْرِفانِ))[1]

في هذا الحديث أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود أن يقرأ عليه القرآن فكان رد ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «"يا رسول الله أقرأ عليك؟" بتقدير همزة الاستفهام قبله: أي أأقرأ عليك (وعليك) أي لا على غيرك (أنزل) الجملة حالية من ضمير المخاطب، والرابط الواو، فهم ابن مسعود أنه أمر بالقراءة ليتلذذ بقراءته، لا ليختبر ضبطه فلذا سأل متعجباً وإلا فلا مقام للتعجب (قال: إني أحبّ أن أسمعه من غيري) لكونه أبلغ من التفهيم والتدبير لأن القلب حينئذٍ يخلص لتعلق المعاني و القارئ مشغول بضبط الألفاظ وأدائها حقها» [2].

إن السؤال الاستنكاري أو التعجبي لابن مسعود رضي الله عنه يبين لنا أن المحتوى القضوي لفعل الأمر اقرأ ينصرف إلى القراءة بغرض التلذذ والاستمتاع بالقرآن والتنعم بسماعه وليست القراءة بغرض تعليم الجاهل حاشا رسول الله ذلك. إن "على" ومجرورها المتعلقة بالفعل في ثلاث مواضع "اقرأ علي" و"أقرأ عليك" و"عليك أنزل" تجعل القراءة متعلقة بذات النبي صلى الله عليه وسلم مما يزيد في كونها قراءة غير تعليمية بل هي قراءة على من يريد التلذذ والتدبر؛ ولذلك كان لها من الأثر على النبي صلى الله عليه وسلم ما بينه ابن مسعود رضي الله عنه من بكاء النبي صلى الله عليه وسلم حين وصل إلى آية شهادته على الأمة؛ فإنه لما غلب البكاء النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابن مسعود قائلا: "حَسْبُكَ" وهو اسم فعل أمر بمعنى كف، وليس المعنى أن يكف ابن مسعود عن قراءة القرآن دائما، ولكن الكف هنا استكمالا للسياق المرتبط بما تعلق به الجار والمجرور من أفعال أي مرتبط بالقراءة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فيكون المعنى: "كما أمرتك بالقراءة علي فإني آمرك بالتوقف الآن عن القراءة فقد حصل المقصود وتدبرت المعاني حتى غلبني البكاء".

---

(١) النووي ، رياض الصالحين، ص١٦٩.

(٢) البكري ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، (٤/ ٣٦١).

((عن عمرو بنِ عوفٍ الأَنْصاريِّ[1] رضي اللَّه عنه، أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ بَعَثَ أَبا عُبيدةَ بنَ الجرَّاحِ، رضي اللَّه عنه، إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجزْيَتِهَا فَقَدمَ بِمالٍ منَ البحْرَينِ، فَسَمِعَت الأَنصَارُ بقُدومِ أَبي عُبَيْدَةَ، فوافَوْا صَلاةَ الفَجْرِ مَعَ رسولِ اللَّه ﷺ فَلَمَّا صَلى رسولُ اللَّه ﷺ، انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رسولُ اللَّه ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: "أَظُنُّكُم سَمِعتُم أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ"فقالوا: أَجَل يَا رسول اللَّه، فقال:"أَبْشِرُوا وأَمِّلُوا مَا يَسرُّكُمْ، فواللَّه مَا الفقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ. وَلكنّي أَخْشى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُم كَمَا بُسطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا. فَتَهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ))[2].

الأمر في هذا الحديث النبوي الشريف جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم "أَبْشِرُوا وأَمِّلُوا" وقد جاء الفعلان متصلين بواو الجماعة الدالة على المخاطبين؛ وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين صلوا معه الفجر ثم تعرضوا له بعدما انصرف؛ ويُفهم من سياق الحديث أنهم تعرضوا له على غير ما اعتاد منهم صلى الله عليه وسلم؛ وظهر ذلك في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم "أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟" فلما أجابوه أن نعم جاء الأمر بالبشارة والتأميل على هذه الصورة.

ولم يقف حديث النبي صلى الله عليه وسلم عند الأمر بالبشارة والتأميل؛ إذن لفهمنا أن المحتوى القضوي لفعلي الأمر يقف عند معنيهما المعجميين؛ لكن النبي صلى الله عليه وسلم أعقب ذلك بنفيه الخشية من الفقر، وجعل متعلق الفعل "أخشى" جارا ومجرورا والمجرور هو ضمير الكاف المتصل بحرف الميم "كم" دلالة على المخاطبين وهي الدلالة نفسها التي لواو الجماعة المتصلة بفعلي الأمر.

---

(١) عمرو بن عوف الأنصاري. حليف بني عامر بن لؤيّ. قال ابن إسحاق: كان مولى سهيل بن عمرو. وكان شهد بدرا وما بعدها. ومات في خلافة عمر، فصلى عليه. انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، (٤/ ٥٥٢، ٥٥٣).

(٢) النووي ، رياض الصالحين، ص١٧٢.

ومعنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم يصرف معنى فعلي الأمر "أَبْشِرُوا وأَمِّلُوا" من البشارة والتأميل إلى الحذر والوجل والخشية والخوف حتى لا يقع أصحابه رضوان الله عليهم أسرى للدنيا وعبيدا لأطماعها؛ معللا ذلك أن من تعلق بالدنيا من الأمم السابقة حين فتحها الله عليهم بعد ضيق في المعاش أهلكتهم بأن أورثتهم التنافس فيها بديلا عن التنافس في الخيرات؛ فالحديث ((فيه: أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها))[1]؛ وهذا هو المعنى القضوي لفعلي الأمر "**أَبْشِرُوا وأَمِّلُوا**".

((عن أَبي سُلَيْمَانَ مَالك بن الحُوَيْرِثِ[2] رضي اللَّه عنه قَالَ: أَتَيْنَا رسولَ اللَّه ﷺ وَنحْنُ شَبَبَةٌ متَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عشْرينَ لَيْلَةً، وكانَ رسولُ اللَّه ﷺ رَحِيماً رفِيقاً، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا. فسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: "ارْجعُوا إِلى أَهْليكم فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعلِّموهُم وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا صَلاةَ كَذا فِي حِين كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا في حِين كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ولْيؤمَّكُم أَكبَرُكُمَ))[3]

لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الشباب الصغار قائلا: "ارْجعُوا إِلى أَهْليكم فَأَقِيمُوا فِيهِمْ"؛ فالرجوع المأمور به هؤلاء الشباب ليس مجرد المرورو الكريم بأهليهم ثم تركهم؛ لكنه أمر بالرجوع مع أمر بالإقامة؛ ولمعرفة القيمة القضوية لفعلي الأمر "ارجوعوا" و"أقيموا" ننظر إلى متعلق الفعلين؛ فمتعلق الفعل "ارجعوا" هو الجار والمجرور "إلى أهليكم" فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل لهم "ارجعوا إلى دياركم" أو "إلى مضاربكم" وغيرها من التعبيرات الدالة على الوطن ومكان الإقامة؛ ولكنه صلى الله عليه وسلم جعل متعلق الرجوع خاصا بالأهل دون الديار وبالناس دون

(١) الحريملي فيصل بن عبد العزيز، تطريز رياض الصالحين ، ص٣١٢.

(٢) مالك بن الحويرث بن أشيم بن زبالة بن خشيش بن عبد ياليل بن ناشب ابن غيرة بن سعد بن ليث الليثي. قال البغويّ: ويقال له ابن الحويرثة، وهو ليثي سكن البصرة، وله أحاديث. يكنى أبا سليمان. روى عنه أيضا نصر بن عاصم وابنه الحسن بن مالك. مات بالبصرة سنة أربع وسبعين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٥٣٢، ٥٣٣).

(٣) النووي ، رياض الصالحين، ص٢٣٩، ٢٤٠.

المكان؛ دلالة على أن هؤلاء الناس هم المقصودون من الأمر بالرجوع وهم غاية أمره أصحابه الشبان بالرجوع؛ فليس الرجوع ضجرا منهم ولا تأففا من ضيافتهم؛ ولكن غرضه أن يصلوا بالإسلام وتعاليمه ومعانيه إلى قومهم.

يقوي هذا المعنى أنه صلى الله عليه وسل جعل متعلق "أقيموا" "فيهم"، ولم يقل "بينهم" – على سبيل المثال؛ فقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم "في" الدالة على الظرفية الدالة على دخول الشيء في الشيء وبجمع هذه الدلالة إلى دلالة حروف الجر كلها؛ وذلك لأن ((حروف الجر تصل ما قبلها بما بعدها فتوصل الاسم بالاسمِ والفعلَ بالاسم))[1]؛ فالمقصود من الرجوع ومن الإقامة أن يتصلوا بقومهم ليدعوهم إلى الإسلام ويعرفوهم معانيه، وعلى هذا النحو تجري المعاني القضوية لسائر أفعال الأمر في الحديث الشريف.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ((لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلا تُؤمِنوا حَتى تحَابُّوا، أَوَلا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُم؟ أفْشُوا السَّلام بَيْنَكُم))[2]

أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته في هذا الحديث الشريف قائلا "أفشوا السلام بينكم" فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم متعلق "أفشوا" هو "بينكم" و"بين" تأتي ((للمكان وَقيل للزمان وَقَالَ الزنجاني بِحَسب مَا تُضَاف إِلَيْهِ))[3] والأرجح في هذا هو قول الزنجاني؛ لأنها قد أتت دالة على الاثنين، ومن ثم يتحدد معناها بحسب ما تضاف إليه.

لكن هنا في هذا الحديث الشريف لم تضف إلى زمان ولا إلى مكان؛ وإنما أضيفت إلى ضمير الخطاب الكاف المتصلة بالميم الدلة على الجمع "كم" ومن ثم ينصرف معناها إلى كلا المعنيين الزمان والمكان؛ فيكون المعنى القضوي للأمر هنا في هذا الحديث الشريف "أفشوا السلام بينكم في كل زمان ومكان حتى تدخلوا الجنة".

---

(١) ابن السراج أبو بكر محمد بن بن الصري بن سهل ، الأصول في النحو ، المحقق: عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة ، (١/ ٤٠٨) .

(٢) النووي ، رياض الصاحين، ص٢٧٣.

(٣) السيوطي ، همع الهوامع (٢/ ٢٠٣).

((وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رَسُول الله ﷺ "يابُنَّي، إِذَا دَخَلْتَ عَلى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكةً عَلَيْكَ وَعَلَى أهلِ بَيْتِكَ))[1] .

لقد كان أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أكثر الناس ملازمة له واتصالا به؛ ولذلك حين جاء الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم له لم يكن على سبيل إظهار الاستعلاء؛ وإنما سبقه بأسلوب النداء "يا بني" إظهار للتودد والتحبب والتلطف؛ دلالة على أن الأمر هنا بمعنى النصيحة المقتضية الحرص على مصلحة المأمور.

لذا أجد في هذا الحديث تجلياً واضحاً لوظيفة براغماتية كامنة في أسلوب النداء الذي افتتح به رسول الله ﷺ خطابه لأنس بن مالك، وذلك من خلال البعد التلطفي و التمليحي الذي تركه الفعل الكلامي (يا بني) – النداء + تصغير ابن–، حيث تؤدي عملية الافتتاح وظيفة نفسية مهمة تتحكم في بقية الأدوار الكلامية والتي من خلالها تحدد الطريقة التي سيتكلم بها المتكلم، والتي بدت طابعها النصح والإرشاد وذلك بحكم العلاقة القوية التي كانت تربط أنس بن مالك بالنبي ﷺ ،كما أن الكيفية التي تتم فيها افتتاح المحادثة تكشف طبيعة العلاقة بين المتكلمين[2].

ومن هنا كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك بالتسليم على أهل بيته "فَسَلِّمْ" وفعل الأمر قد جاء في جواب الشرط لـ "إذا" الظرفية الزمانية؛ والمعنى هنا أن تكرر السلام على أهل بيتك في كل مرة تدخل عليهم؛ ثم تلا الأمرَ جواب الطلب "يَكُنْ بَرَكةً عَلَيْكَ وَعَلَى أهلِ بَيْتِك" مما يتماشى مع سياق الكلام الدال على أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأنس كان من باب حبه له وقصده الخير به فأمره بما يجلب له البركة كلما فعله.

---

(١) النووي ، رياض الصاحين، ص٢٧٦.

(٢) انظر : الميساوي خليفة ، الوصائل في تحليل المحادثة – دراسة في استراتيجيات الخطاب ، إربد – الأردن ، عالم الكتب الحديث،٢٠١٢م ص٢٢٧،٢٢٨،٢٢٩.

((عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم إِذَا سافَرْتُم فِي الخِصْبِ فَأعْطُوا الإِبِلَ حظَّهَا مِنَ الأَرْضِ، وإِذا سافَرْتُمْ في الجَدْبِ، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ وبادروا بِهَا نِقْيَهَا، وَإِذا عرَّسْتُم، فَاجتَنِبُوا الطَّرِيقَ، فَإِنَّهَا طرُقُ الدَّوابِّ، وَمأْوى الهَوامِّ باللَّيْلِ))[1]

أول أمر في هذا الحديث النبوي الشريف هو قول النبي صلى الله عليه وسلم "فَأعْطُوا "، و((قوله: "فَأَعْطُوا الإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ" يعني: من الرعي والكلأ))[2]. والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل – مثلا – "اجعلوها ترعى" أو أطعموها من كلأ الأرض؛ ولكنه صلى الله عليه وسلم اختار الأمر بالإعطاء الواقع في جواب شرط "إذا" التي فعل شرطها "سافرتم في الخصب"؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم هنا يجعل الأمر برعاية الحيوان إفادة من خصب الأرض بمثابة حق واجب على مستخدمه إعطاءه إياه؛ ليجعل التعهد والرعاية لحق الحيوان في أعلى درجاتها وأرقى صورها.

وعلى هذا النحو تسير المعاني القضوية لسائر أفعال الأمر في الحديث النبوي الشريف؛ فإن ((في هذا الحديث من الفقه: تعليم المسافر أن يسافر حين تنوير الأرض، وكثرة المرعى؛ فإنه يستحب له ألا يغذ السير على الظهر؛ ليكون لسيره ذلك بين قطع الأرض برفق، وبين إصابة الظهر من الكلأ. وإذا سافر في السنة يعني الجدب، فإنه يغد السير ليقطع الأرض المجدبة مغتنما بقاء ما في ظهره من النقي، وهو الشحم، وقد عبروا بالنقي عن مخ العظام قبل أن يعطب ظهره في أرض جدبة ليس فيها تخلف على ظهره ما أفناه السير منه))[3].

إن التمهل المستفاد معناه من "أعطوا الإبل حظها" يقابله في حال الجدب "أسرعوا عليها السير" أيضا رأفة بها؛ فاختلاف الحال بين الخصب والجدب؛ فالرعاية يختلف الأمر بها بين التمهل والإسراع طبقا لحال الأرض من خصب ومن جدب. بل إنه مبالغة في الرعاية بالحيوان وإعطائه حقه لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر بالإسراع ولكن أمر بالمبادرة قبل أن يؤثر الجدب وما يترتب عليه من قلة المرعى في قوة الإبل فتجمع إلى الضعف مشقة الراكب

---

(١) النووي ، رياض الصاحين، ص٣٠٠.

(٢) ابن قرقول إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني ، مطالع الأنوار على صحاح الآثار ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، قطر ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،٢٠١٢م ، (٢/ ٢٧٧) .

(٣) ابن هبيرة ، الإفصاح عن معاني الصحاح ، (٨/ ١٠٢).

والسفر؛ فجاء الأمر النبوي "وبادروا بِهَا نِقْيَهَا" والأمر هنا من الفعل "بادَر" ومعناه: (("بادَرَةُ مُبَادَرَةً وبِدَاراً"، بِالْكَسْرِ؛ لأَنّه القِياسُ فِي مصدر فاعَلَ، أَي عَجِلَ إِلى فِعْلِ مَا يَرْغَبُ فِيهِ. وَهُوَ يَتعدَّى بنفسِه وبإِلى))[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بالإسراع رعاية للإبل فحسب بل أمرهم بالعجلة التي تعني شدة السرعة والتعجيل لغرض السبق إلى ما فيه رغبة للفاعل؛ وهنا نجد أن فعل الأمر لا يحمل معنى الإسراع رعاية للإبل فقط بل أوجب أن يكون ذلك عن رغبة وحرص من المسافر على فعل ذلك؛ ليجعل حق الحيوان نابع من عقيدة الإيمان لمتبع النبي صلى الله عليه وسلم وليس لمجرد أن في ذلك نفع لدابته التي يفيد منها في السفر؛ هذه الرغبة المتمثلة في الأمر بالمبادرة لا تكون إلا إذا وعى المخاطب بالأمر أن في إعطاء الإبل هذا الحق فيه النفع له كما للإبل؛ ولذلك جاء الأمر الأخير في هذا الحديث النبوي الشريف عائدا نفعه على كل من الإبل وركابها بأن يجتنبوا الطريق إذا عرسوا ليلا.

((وعنْ جابرٍ[2] رضيَ اللَّه عنهُ، عَنْ رسولِ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم أَنَّه أَرادَ أَنْ يَغْزُوَ فَقَالَ: يَا معْشَرَ المُهَاجِرِينَ والأنصارِ، إِنَّ مِنْ إخوَانِكُم قَوْماً، ليْس لهمْ مَالٌ، وَلا عشِيرَةٌ، فَلْيَضُمَّ أَحَدكم إِلَيْهِ الرَجُلَيْنِ أَوِ الثَّلاثَةَ،" فَمَا لأحدِنَا منْ ظهرٍ يحْمِلُهُ إلا عُقبَةٌ يعْني كَعُقْبَةِ أَحَدهمْ، قال: فَضَممْتُ إليَّ اثْنَيْينِ أَو ثَلاثَةً مَا لِي إِلاَّ عُقبةٌ كعقبَةِ أَحَدِهمْ مِنْ جَملي))[3]

هذا الحديث النبوي الشريف فيه أمر من النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم في زمن الغزو – على ما في الحرب من الشدة والمعاناة والقسوة – لمن معه دابة أن يحمل معه الرجلين والثلاثة. واختار النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر فعل "فَلْيَضُمَّ" ولم يقل "فليحمل" إيحاء بما في الضم من المودة والحب؛ وقد أكمل هذا المعنى المضمن في

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، مادة: "بدر"، (١٠/ ١٣٧).

(٢) جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ السَّلِمِيُّ المَدَنِيُّ الفَقِيْهُ . صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ شَهِدَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مَوْتاً. رَوَى: عِلْماً كَثِيْراً عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَعَنْ: عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وَالزُّبَيْرِ، وَطَائِفَةٍ.عَاشَ بَعْدَ ابْنِ عُمَرَ أَعْوَاماً، وَتَفَرَّدَ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (٥/ ١٨٥، ١٨٦).

(٣) النووي ، رياض الصالحين ، ص٣٠٢.

الضم ما سبق في سياق القول من أن هؤلاء المضمومين إلى صاحب الدابة ليحملهم إخونه الذين ليس لهم مال ولا عشيرة؛ فيأتي الضم بمعنى الحمل عوضا عن المال، وتأتي دلالة المودة فيه عوضا عن العشيرة.

وإمعانا في التأكيد على هذه الدلالات اختار النبي صلى الله عليه وسلم لمتعلق فعل الأمر الجار والمجرور حرف الجر "إلى" ((و"إلى" معارضة لـ "من" دالة على انتهاء الغاية، كقولك: "سرت من البصرة إلى بغداد"، وكونها بمعنى المصاحبة في نحو قوله عز وجل: {ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم} راجع إلى معنى الانتهاء))[1]. ليكون ضم الرجل إليه الاثنين والثلاثة هو غاية يبتغيها ومسعى يبذل جهده لنيله وللوصول إليه.

عن أنس[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: ((جاهِدُوا المُشرِكينَ بِأَموالِكُمْ وأَنْفُسِكُم وأَلسِنَتِكُم))[3]

في هذا الحديث أمر من النبي صلى الله عليه وسلم بمجاهدة المشركين؛ وقد جاء فعل الأمر بصيغة المفاعلة "جاهدوا" وأصلها من ((جهد: {جُهدهم}: وسعهم وطاقتهم. {جَهْد}: مشقة))[4]. وأما الجهاد على صيغة المفاعلة فهو في أصل استعماله المتواضع عليه ((مختص بالقتال في سبيل الله، والغزو: قتال العدو مطلقًا))[5].

فالأمر هنا بالجهاد بصيغة المفاعلة من "جهد" الدالة على بذل الطاقة واستفراغ الوسع في مواجهة المشركين في سبيل الله؛ ولأنها تعنى بمسألة استفراغ الوسع لم يقصر النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد على القتال فقط؛ وذلك أن فعل الأمر جاء متصلا بواو الجماعة الدالة المخاطبين من جميع أمة النبي صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء فيهم من

---

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ، الزمخشري (٤/ ٤٦٣).

(٢) أنس بن مالك النجاري الخزرجي خادم رسول الله محمد وصاحبه، كان يتسمى بخادم رسول الله ويفتخر بذلك . انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (٣/ ٤٠٢).

(٣) النووي ، رياض الصاحين، ص٣٨١، ٣٨٢.

(٤) أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ، تحقيق: سمير المجذوب، دمشق، المكتب الإسلامي ،١٩٨٣م ، (ص٨٧) .

(٥) الكجراتي محمد طاهر بن علي الصديقي ، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،١٩٦٧م،(٥/٣٦٥)

لا يقدر على القتال؛ ومن ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم في سياق القول بالباء التي للتوسل وجعل المتوسل به للقتال متنوعا طبقا لطاقة كل فرد وما يستطيع بذله؛ فكل مأمور بالجهاد بما يستطيع سواء كان بالنفس أو المال أو الكلمة.

((قالت هِنْدُ[1] امْرأَةُ أَبي سُفْيانَ للنَّبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: إنَّ أَبَا سُفيانَ رجُلٌ شَحِيحٌ ولَيْس يُعْطِيني مَا يَكْفِيني وولَدِي إلاَّ مَا أخَذْتُ مِنه، وهَو لا يعْلَمُ؟ قَالَ:"خُذِي مَا يكْفِيكِ ووَلَدَكِ بالمعْرُوفِ))[2]

في هذا الحديث جاء الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم لهند رضي الله عنها؛ قائلا: ":"خُذِي مَا يكْفِيكِ ووَلَدَكِ بالمعْرُوفِ" فإن كان الفاعل معلوما بأنه الضمير المستتر الذي تقديره "أنتِ" لأنه يوجه الكلام لمخاطبة معلومة من سياق القول أنها جاءت تسأله ماذا تفعل مع ذلك الزوج البخيل؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل المفعول المأخوذ على الإطلاق؛ بل قيده بالكفاية.

وفي الأمر بأخذ حد الكفاية لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لهند خذي كفايتك؛ ولكنه يجعل المفعول اسما موصولا وهو "ما" وجعل جملة الصلة "يكفيك" وذلك إمعانا منه صلى الله عليه وسلم في تقييد الأخذ بالكفاية دون زيادة، وأيضا لأن ما مع صيغة الفعل المضارع يدلان على أنه كلما استمر الشح من الزوج كلما كان جائزا للزوجة أن تأخذ ما يكفيها وحسب؛ والأمر هنا للإباحة والاستواء وليس للإلزام.

---

(١) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، امرأة أبي سفيان، صخر بن حرب أم معاوية، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نكاحهما، وكانت فيما ذكر لها أنفه . انظر: البعلي محمد بن أبي الفتح ، المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، جدة، مكتبة السوادي للتوزيع ، ٢٠٠٣م ص٥٢٩.

(٢) النووي ، رياض الصاحين، ص٤٤٣.

عَنِ النُّعْمَانِ[1] بْنِ بَشِيرٍ رضِيَ اللَّه عنْهُمَا أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسول اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْني هَذَا غُلاماً كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم:"أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحلْتَهُ مِثْلَ هَذا؟ "فَقَال: لا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم:"فأَرْجِعْهُ".

وفي رِوَايَةٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم:" أَفَعَلْتَ هَذا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟ "قَالَ: لا، قَالَ:"اتَّقُوا اللَّه وَاعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ" فَرَجَعَ أَبي، فَردَّ تلْكَ الصَّدَقَةَ.))[2]

إن فعل الأمر "فأرجعه" في الرواية الأولى للحديث جاء بعد أن سأل النبي صلى الله عليه وسلم النعمان بن بشير إن كان قد أعطى كل واحد من أولاده غلاما فأجابه بأنه لم يفعل هذا إلا مع النعمان فقط؛ فكان أمر النبي له صلى الله عليه وسلم "فأرجعه" مسبقا فعل الأمر بالفاء الدال على السرعة والإنفاذ والمضاء وعدم التراخي؛ فجمع إلى إنفاذ الأمر إنفاذ الفاء؛ لتعلق ذلك بالعدل وهو ما وضح فعلا الأمر في الرواية الثانية من أنه ينبغي العدل بين الجميع إرضاء لله عز وجل.

وعلى ما تم عرضه من نماذج حديثية وردت فيها صيغ الأمر نجد أن المحتوى القضوي لم يخرج عن المعنى الأصلي للقضية والرسالة التي أراد النبي صلى الله عليه وسلم إيصالها، وذلك من خلال النظر في الأوامر التي وردت في ضوء السياق الداخلي في النص، واستثمار الدلالة المعجمية للأمر التي تخدم المحتوى القضوي، فالدلالة القضوية للأمر تكون بإمعان النظر في السياق الداخلي والمقام واستثمارهما بذكاء لخدمة الغرض الإنشائي للأمر.

(١) النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرِ ابْنِ سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِيُّ، كَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ لِلأنْصَارِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، أُمُّهُ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ، لَهُ وَلأبَوَيْهِ صُحْبَةٌ، تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُ ثَمَانِ سِنِينَ وَسَبْعَةُ أَشْهُرٍ، كَانَ أَمِيرَ الْكُوفَةِ فِي عَهْدِ مُعَاوِيَةَ، قُتِلَ بِحِمْصَ سَنَةَ سِتِّينَ. انظر : معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٦٥٨، ٢٦٥٩).

(٢) النووي ، رياض الصاحين، ص٤٩٠.

المبحث الثاني :

القوة الإنجازية للأمر في رياض الصالحين

(دراسة تطبيقية)

المبحث الثاني

القوة الإنجازية للأمر (دراسة تطبيقية)

في هذا المبحث سأتعرض لبيان القوة الإنجازية للأمر وذلك من خلال تسليط الضوء على صيغ الأمر الواردة بالحديث النبوي الشريف من خلال كتاب "رياض الصالحين"، كما أنني سأتعرض لبيان هذا المعنى الدلالي وذلك وفق منهج يمكن إبرازه من خلال القوة الإنجازية (القوة الوظيفية) للأمر، التي هي معرفة معنى الفعل اللغوي المضمن في الخطاب اعتماداً على معطيات السياق، التي لا تتأتى إلا من خلال السياق الداخلي للخطاب والسياق الخارجي للخطاب الذي هو مجموعة عوامل المقام التي أنتج فيها النص أو الخطاب .

إننا حينما ننتج لفظاً معيناً فإنه يتكون لدينا فعلاً منجزاً عبر إنشاء هذا اللفظ، إذ إننا لا نقوم عادة بإنشاء ألفاظ دون غاية، فنحن نصوغ لفظاً ليؤدي وظيفة نريد إتمامها، « فالكلام ليس مجرد مظهر لساني يقف عند تسمية الأشياء، بل الكلام عملية تواصلية اتصالية به ينشأ الكون ويتجدد معناه» [(١)]، ولا يتم ذلك إلا عبر القوة الإنجازية للفظ أو القوة الوظيفية له، وتأتي القوة الإنجازية للفظ من خلال عدد من الوسائل، مثل : ترتيب الكلمات حسب ورودها في الجملة، والنبر، والتنغيم. وكذلك قد تستخدم وسائل اخرى للتدليل على القوة الإنجازية، مثل : استعمال نوعية صوت منخفضة للتحذير أو التهديد، أو استعمال نوعية صوت مرتفعة للطلب والأمر . وعليه فإن إنشاء الألفاظ داخل السياق اللغوي يجب أن يكون تحت ظروف عرفية معينة لتعتبر أن لها قوة وظيفية معينة[(٢)].

أما من حيث السياق الداخلي اللغوي فإنه يعتمد على توالي الكلمات داخل الجملة؛ إذ إنه «تتوقف قيمة كل كلمة على مقابَلَتِها بغيرها من الكلمات وفق امتداد خطي أفقي فعلي في الكتابة والنطق والسمع؛ حيث تنشئ الكلمات في الخطاب – ضمن تعاقدها فيما بينها – علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية، تلك التي تستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية، ويمكن

(١) الميساوي خليفة ، الوصائل في تحليل المحادثة – دراسة في استراتيجيات الخطاب ، إربد – الأردن ، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م ، ص١٨٩.

(٢) انظر : جورج يول ، التداولية ، ترجمة : د.قصي العتابي، بيروت ، الدار العربية للعلوم ، ٢٠١٠م ، ص٨٢ – ٨٥ .

تسمية الأنساق التي يكون المدى سندا لها "تراكيب"؛ إن عبارة ما في تركيب ما لا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع ما يسبقها أو يليها أو الاثنين معا»[1].

ويعد مفهوم الأفعال الإنجازية محورياً في ميدان الأفعال اللغوية، على الرغم من الاختلاف في تحديد مفهوم الأفعال اللغوية، إذ إن مفهوم الأفعال الإنجازية يأتي رديفا للأفعال اللغوية بشكل عام، وهو الأمر الذي أشار إليه جون سيرل، موافقا في ذلك جون أوستين المؤسس الأول لهذه النظرية، في كتابه (كيف تصنع الأشياء من خلال الكلمات).

تقوم فكرة الدلالة الإنجازية على فكرة أن دلالة اللغة في جانبها الاستعمالي تختلف عن الدلالة التواضعية المعجمية للمفردات اللغوية، فالمتكلم حين يتلفظ بالجمل أو حين يكتب هذه الجمل فإنه يدخلها في استعمالات مقيدة سياقياً (القيود الدلالية السياقية) بحيث يحقق له الخطاب اللغوي أغراضه التي من أجلها تم إنشاء هذا الخطاب، بمعنى أنه «تتشكل دلالة الخطاب انطلاقاً من المعطيات السياقية التي ينجز فيها الكلام، إذ إن المتلفظ، وهو يلقي خطابه، محكوم بأطر خارجية تتمثل في طبيعة المتقبل أساساً وطبيعة المجموعة اللسانية التي ينتمي إليها والفضاء السياقي الذي ورد فيه الكلام»[2] التي بدورها تحقق الغرض الإنجازي الذي من أجله أنشئ الخطاب؛ إذا إنه ثمة «تمييز في صلب الفعل اللغوي ما بين مكونين اثنين: محتواه اللغوي المصوغ في جمل وقوته الإنشائية» [3].

(١) تومي غنية ، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث ، بحث منشور في مجلة المخبَر .. أبحاث في اللغة والأدب لجزائري، جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر، العدد السادس، ص١١.

(٢) الميساوي خليفة ، تداخل الألسن دراسة المظاهر والقيود اللسانية ، الأحساء ،من إصدارات نادي الأحساء الأدبي ، ٢٠١١م ، ص١٨٧.

(٣) دومينيك مانجونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الجزائر العاصمة، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ،٢٠٠٨م ، ص٨.

أصناف الأفعال اللغوية الإنجازية (أفعال الكلام) :

هناك خمسة أصناف للأفعال الإنجازية ذكرها (جورج يول) في كتابه (التداولية) تقوم بوظائف عامة تنجزها أفعال الكلام هي[1] :

- **الإعلانات Declarations** تعني الفعل اللغوي الذي يغير الواقع بما يتوافق مع المحتوى القضوي (الحدث) للإعلان، بمعنى تغيير الحالة بواسطة اللفظ، مثال: يعلنه بريئا، أو يعلنهما زوجين، أو قول الحكم للاعب : أنت مطرود.

- **الممثلات representatives** وتعني الفعل اللغوي الذي يلزم المتكلم بحقيقة الغرض القضوي المتحدث عنه، وتمثل جمل الحقيقة والجزم والاستنتاجات والأوصاف (عالم الاعتقاد)، أي أنه ينقل الواقع كما هو، مثال: قراءة ورقة حكم، أو كقولك مخبراً : الأرض مسطحة .

- **المعبرات Expressives** تعني الفعل اللغوي الذي يعبر من خلاله المتكلم عن سلوكه ومشاعره تجاه الغرض، فهي تعبر عن حالات نفسية تتخذ شكل جمل، مثال: يهنئ، يعتذر، يشكر.

- **الموجهات Directives** وتعني الفعل اللغوي الذي يدفع السامع إلى القيام بفعل معين، فهي تعبر عما يريده المتكلم، المثال: يطلب، يأمر، ينصح.

- **الإلزاميات والتعهديات Commissives** وتعني الفعل اللغوي الذي يلزم المتكلم بفعلٍ أو الالتزام بشيء في المستقبل، مثال: يعد، يهدد، يتعهد .

حينما نستعمل الأفعال الأدائية، فإننا نستعملها بشكل طبيعي واعتيادي للتواصل مع الآخرين. فقد يكون محتوى التواصل متوافقا، أو قريبا من التوافق مع المعنى الذي نقصده في تواصلنا، مثال ذلك: حين يسأل شخص غريب" ما اسمك؟".

---

(١) انظر : جورج يول ، التداولية ، ص ٨٩-٩٠-٩١

ولكن الأمر قد يختلف في كثير من الأحيان، فلا تأتي العبارة بهذه المباشرة، كما في المثال التالي: بإمكاننا أن نطلب من أحد طلابنا أن يكف عن العبث، من خلال قولنا " يا أحمد!!"، فيكون هذا الخطاب لوحده دالا على ما نريد من نطقه؛ لأن الموقف التواصلي والاجتماعي والسياقي ليس في عزلة عن الدلالة الوظيفية؛ «إذ في كل تلفظ مقاصد وأهداف تبرهن عن وظائف لسانية واجتماعية معينة»[1] تخدم الموقف التواصلي .

وانطلاقا من هذا فإننا لا بد أن «نذكر بأن العناصر الأساسية التي تشكل سياق خطاب/نص ما هي: المتكلم، والمخاطب، والقناة، والمشاركون، والموضوع، والمقام، والسنن، وجنس الرسالة، والحدث، والمقصد ... لكن ليس من الضروري الاحتفاظ بكل هذه العناصر ... يمكن الاكتفاء بما يلي: المتكلم، والمخاطب، والرسالة، والزمان، والمكان، ونوع الرسالة ... من الضروري أن نعرف (على الأقل) من هو المتكلم، ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب. هذا هو المبدأ العام الذي يحدد أهمية ودور السياق في فهم وتأويل خطاب معين» [2] .

لذا سوف أقوم بدراسة النماذج التطبيقية لصيغ الأمر الواردة بالحديث النبوي الشريف من خلال كتاب "رياض الصالحين"، وذلك على ضوء السياقين التاليين:

الأول: السياق النصي أو السياق اللغوي (Linguistic Contexte) : الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة؛ فالكلمة يتحدد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية. ويتوقف هذا السياق عند المعنى المعجمي، وهو المعنى الذي نَستقيه من المعجمات المختلفة، ويُمثّل المعنى الوَضعي الأصلي للفظ ما، الذي سُمّيَ المعنى المركزي أو الأساس.

الثاني: سياق المقام (Contexte of Situation) أو سياق الحال: وهو نوع من التجريد من البيئة اللغوية أو الوسط اللغوي الذي نشأ فيه الكلام، وسياق الحال يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعًا كلامًا وكتابة. ويتوقف هذا السياق على المعنى السياقي، وهو الذي يُستقى من النَظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النَظم أومن السياق

(١) الميساوي خليفة ، تداخل الألسن ، ص١٨٧ .

(٢) خطابي محمد ، ١٩٩١، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ص٢٩٧.

العام للكلام، إذ تخضَعُ الكلمة للعَلاقات المِعنويةّ والظروف الحاليّة والتعبيريّة المحيطة بها، التي يأتلِفُ بعضُها مع بعضٍ لتبيّن المعنى الخاص لتلك الكلمة الذي سُمّي الإضافي، أو الهامشي، أو ظلال المعنى.

والفارق الأساسي بين المعنيين المعجمي والسياقي هو تعدّد الأول وتحدّد الثاني ومن هنا فقد أدرك الأوائل أثرَ السياق في توجيه المعنى وتحديده، كما أوْلى المحدثون عنايةً خاصّةً بالسياق في تفسير الحدَث الكلامي فهو المعين على تحديد قيمة الكلمة ؛ لأنّه يُحدّدها ويُجرّدها من كلّ الدَلالات التي يمكن أن تتبادَر إلى الذهن عند سَماعها منفردة.

ومن هنا تبدو نظرية السياق من نتائج البحث الدلالي الحديث، إلا أن جذورها ممتدة إلى الزمن القديم كما يظهر عند المفسرين وشراح الحديث، ويبدو ذلك واضحاً من خلال اهتمامهم بالنص الشرعي وتحليله.

ويدل لفظ (السياق) عند اللغويين المعاصرين على الإطار الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر، فيشمل زمن الكلام والمفاهيم المشتركة والكلام السابق للمحادثة، ويرادفه القرينة. وله أهمية كبيرة في البحث اللغوي المعاصر، لغرض تحديد الدلالة، حتى يصبح نظرية متكاملة ترتبط بتخصيصات كثيرة .

واستعمال المعنى في السياق هو الذي يوضّح الصور المختلفة (لتناوب المعاني) الأخرى مع المعنى المركزي الثابت. فالسياق له أثر كبير في تحديد معنى الكلمة، والقرائن داخل السياق، ولا تتحدد قيمة أي عنصر لغوي نهائياً وكلياً إلا منْ خلال سياقه وما يحيط به منْ ألفاظ تحدد معناه، ولتغيير الحركات والمورفيمات تأثيرٌ في التغيير الدلالي، وأي تغيّر دلالي هو تغّير معنوي والقيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها.

إنّ الكشف عن المعنى لا يكون إلاّ بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة، إذ يتحصّل المعنى بحُكم العَلاقة بين الألفاظ وما يجاوِرُها. وإنّ دراسة المعنى تتطلّب تحليلاً واعياً للسياقات والمواقف التي ترد فيها الألفاظ حتى ما كان منها غير لغوي، فقد دَعت إلى اعتماد المقام أو العناصر المحيطة بالحدث الكلامي، مثل طبيعة الكلام ودَلالاته المختلفة، وأثره الفعلي على المتلقّي، وشخصيّة المتكلّم والمتلقّي والظواهر اللغويّة الاجتماعيّة الُمحيطة بالنصّ.

وفيما يلي بيان للتأصيل النظري السابق من خلال عرض النماذج الحديثية في السنة النبوية المطهرة الواردة بكتاب رياض الصالحين، مع التعرض لهذه النماذج الحديثية بشيء من التحليل الدلالي والتداولي من خلال الاعتماد على السياق اللغوي الوارد هذا من جهة، ومن جهة أخرى الاعتماد على قرائن الأحوال الملتفة بهذا السياق اللغوي، وذلك بالاعتماد على أقوال شراح الحديث، وذكر العوامل والظروف المحيطة بمحل الورود، وفيما يلي مجموعة من هذه الأحاديث المشتملة على القوة الإنجازية لصيغة فعل الأمر، يمكن إيضاحها على النحو التالي:

- **قول النبي ﷺ : «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ»**[1].

ففي النص النبوي السابق يخاطب النبي ﷺ كعب بن مالك ﷺ، وفي السياق السابق قال النبي ﷺ: «**فقم**»، فصيغة الأمر هذه قد اشتملت على أحدهما معنى مباشر ظاهر، والثاني معنى غير مباشر خفي؛ فالدلالة السيمانتيكية[2] للفعل "قم" تدل على صيغة الأمر من الفعل "قام" والقيام معناه: نَقِيضُ الْجُلُوسِ[3]، إلا أن قرائن الأحوال الملتفة بالسياق المقامي تدل على أن هذا الفعل قد خرج عن هذه الدلالة السيمانتيكية إلى دلالات إنجازية أخرى.

فالمتأمل في واقعة هذا الحديث، والمدقق في مورد الخطاب النبوي يجد أن النبي قد استخدم الفعل نفسه مع المخلفين عن الغزو معه من غير الصادقين الذين تخلفوا ومنهم كعب بن مالك؛ ففي نص الرواية الحديثية، يقول كعب بن مالك ﷺ عن نفسه: « حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ »، فكان كعب ضمن المتخلفين عن الغزو، إلا أن حاله قد اختلف عن حالهم، يقول كعب ﷺ : « وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلاَنِيَتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ ».

---

(١) النووي ، رياض الصالحين، للنووي، (ص٢٨).

(٢) دراسة المعنى اللغوي على صعيد المفردات والتراكيب

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، (١٢/ ٤٩٦).

أما كعب بن مالك ﷺ فقد أجمع على صدق النبي ﷺ ، يقول كعب: « يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي ، وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ ، لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ ، إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللهِ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ».

فلما سمع منه النبي ﷺ هذا الجواب فرد عليه النبي ﷺ جوابه، وقال له : « أَمَّا هَذَا ، فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ فَقُمْتُ»، من هنا يفهم أن صيغة الفعل الأمر "قم" قد احتفت بها عدة قوى إنجازية تفهم من خلال السياق النصي للحديث النبوي.

فمن هذه الدلالات للفعل "قم" أي انتظر حتى يقضي الله في أمره، ويأتي حكم الله ﷻ، دل على هذا المعنى قول النبي ﷺ : " حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ" لذا فإن صيغة الفعل "قم" قد حصل لها من القوة الإنجازية التي تدل معانٍ زائدة فرعية إضافة إلى المعنى الأساسي (المعجمي)، من خلال دلالة السياق الكلي، وقرائن الأحوال المحتفة به.

- **قول النبي ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمنَّوا لِقَاءَ الْعدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّه العَافِيَةَ، فَإِذَا لقيتُموهم فاصْبرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّة تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»[1].**

ففي النص النبوي السابق يخاطب النبي ﷺ أصحابه ويأمرهم بالصبر على الجهاد، ثم يوجه ﷺ إليهم الأمر بقوله: «**واعلموا**» وهنا فقد اشتملت هذه الصيغة على قوة إنجازية، ويمكن إبراز ذلك من خلال الدلالتين الآتيتين:

الدلالة الأولى: دلالة أساسية معجمية، وهي الدلالة المتبادرة إلى الذهن لكلمة "اعلم" التي تعني «الْعِلْمُ الْيَقِينُ يُقَالُ عَلِمَ يَعْلَمُ إِذَا تَيَقَّنَ، وَجَاءَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا، كَمَا جَاءَتْ بِمَعْنَاهُ ضُمِّنَ كُلُّ وَاحِدٍ مَعْنَى الْآخَرِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ

(١) انظر: النووي ، رياض الصالحين ، (ص٢٨).

كُلِّ وَاحِدٍ مَسْبُوقًا بِالْجَهْلِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَإِنْ حَصَلَ عَنْ كَسْبٍ فَذَلِكَ الْكَسْبُ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ»[1] فهذه الدلالة هي المتبادرة إلى الذهن بصورة أولية دون النظر إلى قرائن الأحوال المحيطة بسياق الورود.

الدلالة الثانية: وهي دلالة السياق والحال، وهي تلك الدلالة المتمثلة في القوة الإنجازية التي تقوم بها صيغة "اعلموا" في سياق الورود، فلا شك أن العلم المقصود في هذا السياق النبوي الكلي يفوق المعنى المعجمي (الأساسي) المذكور آنفًا، الذي هو العلم اليقيني أو المعرفة، بل العلم هنا يخرج عن حدود هذا المعنى الى معانٍ إضافية بفعل القوة الإنجازية المتمثلة في دلالة السياق أو الحال، فمعنى قوله ﷺ : «وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّة تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ »، أي أن: «ثَوَابُ اللَّهِ ﷻ وَالسَّبَبُ الْمُوَصِّلُ إِلَى الْجَنَّةِ عِنْدَ الضَّرْبِ بِالسُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَشْيِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاحْضُرُوا فِيهِ بِصِدْقٍ وَاثْبُتُوا»[2]، فقد اشتملت صيغة الفعل "**اعلموا**" على عدة معانٍ حالية أو سياقية ــ إن جاز لنا التعبير ــ هذه المعاني تشتمل على التنبيه والحث على الحضور للجهاد، والقتال بالسيف الذي هو عدته وآلته، والثبات أمام العدو، وعدم الفرار منه أول التولي عند الزحف إليه.

ودل على ذلك المعنى أيضًا، بعض القرائن السياقية في النص نفسه، فقوله ﷺ : «تحت ظلال السيوف» يدل دلالة واضحة على هذه المعاني؛ «قَالَ ابْن الْجَوْزِيّ[3]: المرَاد أَن دُخُول الْجنَّة يكون بِالْجِهَادِ، والظلال جمع: ظلّ، فَإِذا دنى الشَّخْص من الشَّخْص صَار تَحت ظلّ سَيْفه، وَإِذا تدانى الخصمان صَار كل وَاحِد مِنْهُمَا تَحت ظلّ سيف الآخر، فالجنة تُنال بِهَذَا»[4].

---

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، القاهرة، المطبعة الأميرية ، ١٩٢٢م، الجزء الثاني : ص ٥٨٣-٥٨٤ .

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، (١٢/ ٤٦)

(٣) عَبْد الرَّحمن بْن عليّ بْن مُحَمَّد الْبَغْدَادِيّ الحنبليّ، وُلِد تقريبًا سنة ثمانٍ أو سنة عشْرٍ وخمس مائة، صاحب التّصانيف فِي التفسير، والحديث، والفقه، والوعْظ، والزُّهْد، والتاريخ، والطّبّ، توفي: ٥٩٧ هـ. انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ٢٠٠٣، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، المحقق: الدكتور بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، (١١٠٠/١٢).

(٤) أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، (١١٥/١٤).

من هنا يفهم، أن القوة الإنجازية للفعل قد دلت على عدد من المعاني التي يتطلبها السياق أو الحال بحسب مورد النص ومناسبته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن العلم الذي يعنى المعرفة بمعناها المجرد الذي لا يترتب عليها عمل، لم يكن سببا في حصول الأجر والثواب الذي أخبر و وعد به النبي ﷺ، فدل ذلك على أن القوة الإنجازية للفعل ضرورة قد ألزم بها سياق الحال لهذا النص.

■ قول النبي ﷺ لسفيان بن عبد الله رضي الله عنه: « قُلْ: آمَنْت باللَّهِ: ثُمَّ اسْتَقِمْ»[1].

ففي النص النبوي السابق يخاطب النبي ﷺ الصحابي الجليل سفيان بن عبد الله رضي الله عنه، لما قال له: «قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ»، فرد عليه النبي ﷺ سؤاله، بقوله: « **قُلْ**: آمَنْت باللَّهِ: ثُمَّ اسْتَقِمْ» فقد اشتمل هذا التركيب اللغوي على صيغة الأمر "**قل**" وهذه الصيغة قد اشتملت على معانٍ إنجازية عديدة إضافة إلى معناها المعجمي الأساسي.

فصيغة الأمر "**قل**" من الفعل "قال" وأصله اللغوي "قول"، فالْقَافُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَقِلُّ كَلِمُهُ، وَهُوَ الْقَوْلُ مِنَ النُّطْقِ. يُقَالُ: قَالَ يَقُولُ قَوْلًا[2]. إلا أن صيغة الأمر من الفعل في هذا المقام لم تتوقف عند هذه الدلالة، بل تخطت هذا السياج المعجمي إلى دلالات أخرى يحددها السياق الكلي للنص، وقرائن الأحوال الملتفة به.

من هذه الدلالات أن يكون هذا القول مشتملًا على تجديد معنى الإيمان في القلب؛ فالنبي ﷺ: «جمع لهذا السائل في هاتين الكلمتين معاني الإسلام والإيمان كلها فإنه أمره أن يجدد إيمانه بلسانه متذكراً بقلبه»[3].فهذا أحد المعاني المتبادرة من خلال قرائن السياق.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" [(٤٧/١)، برقم (٨٦)] واللفظ له. ونصه كالتالي: عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ ، قَالَ : قُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثم اسْتَقِمْ. ينظر: رياض الصالحين، للنووي، (ص٦٢).

(٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، (٤٢/٥) .

(٣) تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد ، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ، مؤسسة الريان،٢٠٠٣م، ص٨٠ .

ومن هذه الدلالات أن يشتمل هذا القول على «ما يجب اعتقادُه: من عقائد الإيمان، وأصوله، وما يتبع ذلك: من أعمال القلوب، والانقياد والاستسلام لله، باطناً وظاهراً»[١]. فأعمال القلوب من الاعتقاد والانقياد والاستسلام كلها داخلة في معنى "قل آمنت" فهذا كله داخل في معنى الإيمان، لذا قال أهل العلم عن هذا الحديث: « هذا من جوامع كلمه – عليه السلام – وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢]. أى: وحدوا الله وآمنوا به»[٣].

وعلى هذا الأساس، فلصيغة الأمر "قل" عدة معانٍ ودلالات إضافة إلى معناه الأساسي المعجمي دلت على هذه المعاني قرائن السياق المحيطة بصيغة الفعل.

- **قول النبي ﷺ : « قَارِبُوا وسدِّدُوا، واعْلَمُوا أَنَّه لَنْ ينْجُو أحدٌ منْكُمْ بعملهِ"قَالوا: وَلا أنْت يَا رسُولَ اللَّه؟ قَالَ:"وَلاَ أَنَا إلاَّ أنْ يتَغَمَّدني اللَّه برَحْمةٍ منْه وَفضْلٍ»[٤].**

لما دخل الإيمان قلوب الصحابة، وامتزج بأرواحهم ودمائهم أخذوا يتنافسون على عمل الصالحات، ويسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال التي تقرب من الجنة وتباعد من النار، بل التي ترفع الدرجات وتقرب من الله، ليصعدوا في سلم الكمال، وليصلوا إلى أرفع المنازل، فلما وجد النبي ﷺ الصحابة على ما هم عليه من تنافس وسؤال، خشي أن يقع في قلوبهم شيئاً من العجب بكثرة الأعمال الصالحة التي تضمن لهم دخول الجنة، كما أراد النبي ﷺ أن يبين لهم بأنهم مهما عملوا من الصالحات فلن يصلوا إلى الكمال .

---

(١) أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي ، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، المحقق: عبد الكريم بن رسمي الدريني ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م ، ص٢٢ .

(٢) سورة فصلت، آية رقم (٣٠).

(٣) القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي ، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المسَمَّى إِكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم ، أبو الفضل ، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨م ، (٢٧٥/١) .

(٤) انظر: النووي ، رياض الصالحين ، (ص٦٢).

لذا جاء النص النبوي السابق يخاطب النبي ﷺ أصحابه، ويوجه إليهم الأمر بقوله: «قاربوا»، «سددوا»، وهذه الأفعال قد اشتملت على قوة إنجازية من خلال السياقات الخارجية المحيطة بكل فعل، هذه القوة الإنجازية يمكن إيضاحها كما يلي:

صيغة الفعل "قاربوا" من الفعل قارب، وهو مزيد بحرف من الفعل "قرب" ، ففي لغة العرب: «الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْبُعْدِ. يُقَالُ قَرُبَ يَقْرُبُ قُرْبًا»(١)، فالفعل "قاربوا" معناه المعجمي الأساسي اقتربوا. أما صيغة الفعل "سددوا"، فهو أمر من الفعل "سدَّ"، فهو في لغة العرب مكون من « السِّينُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى رَدْمِ شَيْءٍ وَمُلَاءَمَتِهِ. مِنْ ذَلِكَ سَدَدْتُ الثُّلْمَةَ سَدًّا. وَكُلُّ حَاجِزٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ سَدٌّ. وَمِنْ ذَلِكَ السَّدِيدُ، ذُو السَّدَادِ، أَيِ الِاسْتِقَامَةِ»(٢)، فالفعل "سددوا" معناه المعجمي الأساسي ملاءمة الشيء وسداده.

إلا أن هذه المعاني المعجمية الأساسية قد أضيف لها غيرها من المعاني والدلالات التي دل عليها السياق الخارجي للنص النبوي الشريف، وهذه المعاني والدلالات يمكن معرفتها من خلال قرائن الأحوال المحيطة بمورد النص، وظروفه.

فمن هذه المعاني أن النبي ﷺ قد أراد أن يعلم الأمة من بعده أن الوصول إلى درجة الكمال، غير ممكن؛ فلا يمكن للمخلوقين «الإحاطة في أعمال البر كلها ولا بد للمخلوقين من ملال وتقصير في الأعمال فإن قاربتم ورفقتم بأنفسكم كنتم أجدر أن تبلغوا ما يراد منكم»(٣). فكان أجدر بالمخلوقين أن يقتربوا من السداد.

ومن تلك الدلالات أيضا التي دل عليها السياق الخارجي للأفعال "سددوا" و "قاربوا" أي : «اقصدوا السداد واطلبوه، واعملوا به في الأمور . والسداد: القصد فوق التفريط ودون الغلو وهو من نحو معنى: " قاربوا "، أى اقربوا من السداد والصواب ولا تغلوا، فدين الله – سبحانه – حقيقته»(٤). ولقد دل على هذا المعنى حقيقة نص آخر من كلام النبي ﷺ ، وهو قوله ﷺ : «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا

(١) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، (٥/٨٠).

(٢) السابق ، (٣/ ٦٦).

(٣) ابن عبد البر ، الاستذكار ، (١/ ٢٠٩).

(٤) القاضي عياض ، إكمال المعلم بفوائد مسلم ، (٨/ ٣٥٤).

بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[1]. فمن هذا الحديث يدل السداد على معنى القصد والاعتدال الذي يضاد التفريط والتطرف والغلو في الدين.

والملاحظ أن الدلالات الواردة على الفعلين بينهما تكامل وانسجام معنوي؛ فالمعنى بين الفعلين: «اطْلُبُوا السَّدَادَ وَاعْمَلُوا بِهِ وَإِنَّ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَقَارِبُوهُ أَيْ اقْرَبُوا مِنْهُ وَالسَّدَادُ الصَّوَابُ وَهُوَ بين الافراط والتفريط فلا تغلوا ولا تقصروا»[2]. وهذا التكامل المعنوي يعد من القوة الإنجازية لصيغ الأمر الواردة بالنص النبوي الشريف.

- **قول النبي ﷺ : «بادِروا بالأعْمالِ فِتَناً كقطَعِ اللَّيلِ الْمُظْلِمِ يُصبحُ الرجُلُ مُؤمناً ويُمْسِي كَافِراً، ويُمسِي مُؤْمناً ويُصبحُ كَافِراً، يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيا»[3].**

ففي النص النبوي السابق يخاطب النبي ﷺ أصحابه الكرام، وقد جاءت في الحديث النبوي الشريف صيغة الفعل الأمر "**بادروا**"، وقد دلت هذه الصيغة بمعناها المعجمي الأساسي إضافة إلى قرائن السياق الواقعة فيه على قوة إنجازية يمكن إيضاحها كالتالي.

فعل الأمر "**بادروا**" أصله الفعل بادِر، وماضيه "بادَر" وهو فعل مزيد بحرف على زنة "فاعل"، والجذر اللغوي للفعل هو "بدر" فـ«الْبَاءُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ، أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا كَمَالُ الشَّيْءِ وَامْتِلَاؤُهُ، وَالْآخَرُ الْإِسْرَاعُ إِلَى الشَّيْءِ»[4]. فبدر إلى الشيء أسرع، وبابه دخل، و بَادَرَ إليه أيضا و تَبَادَرَ القوم تسارعوا[5].

فالمعنى المعجمي الثاني لمادة "بدر" هو المعنى الذي يقوم عليه المعنى الكلي في السياق، إلا أن هذا المعنى قد اشتمل على عدة معان سياقية أخرى، دلت عليها القوى الإنجازية لصيغة الأمر "بادروا" منها اغتنموا الأعمال فالحديث يحض« على اغتنامِ الفُرْصة، والاِجتهادُ في أعمالِ الخيرِ والبِرِّ عند التمكُّنِ منها، قَبْلَ هجومِ الموانع»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦)، برقم (٣٩).

(٢) النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم ، (١٧/ ١٦٢).

(٣) انظر: رياض الصالحين، للنووي، (ص٦٣).

(٤) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، (٢٠٨/١).

(٥) أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، (١/ ٧٣).

فلقد أتت المبادرة هنا بمعنى اغتنام الأعمال وإتمامها وذلك بحسب قرائن الأحوال السياقية المحيطة بالصيغة الواردة، وبحسب المعاني والدلالات المختلفة التي يدل عليها السياق الخارجي للنص الوارد.

- **قول النبي ﷺ : «امْشِ وَلا تلْتَفتْ حتَّى يَفتح اللَّه عليكَ»**[٢].

الناظر إلى هذا النص النبوي الشريف يوجه النبي ﷺ الخطاب إلى علي بن أبي طالب ﷺ، بصيغة الأمر "**امش**" وقد تخطت هذه الصيغة معناها المعجمي الأساسي من خلال السياق الخارجي وقرائن الأحوال التي جاءت خلالها هذه الصيغة، وهذا ما سوف يتضح من خلال ما يلي:

المعنى المعجمي للفعل "**امش**" هو فعل أمر من المجرد الثلاثي "مشى" فـ « الْمِيمُ وَالشِّينُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى حَرَكَةِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ »[٣].

وفي "تاج العروس": « مَشَى، يَمْشِي، مَشْياً: (مَرَّ) . (قَالَ الراغبُ[٤]: المشْيُ الانْتِقالُ مِن مَكانٍ إِلَى مَكانٍ بإرادَةٍ»[٥]. إلا أن هذا المعنى المعجمي الأساسي، لم تقف الصيغة الواردة عنده محجمة مكتفة بفعل السياق الخارجي، والقرائن الحالية المحيطة بها في المقام الخطابي، وذلك باعتبار كل من المرسل وهو النبي ﷺ، والمتلقي وهو علي بن أبي طالب، والرسالة وهي الحث على الغزو والسير لأجل الجهاد في سبيل إعلاء كلمة التوحيد ورفع راية الحق.

فلأجل هذه القرائن المحيطة بصيغة الأمر "**امش**" فقد اشتملت هذه الصيغة على قوة إنجازية في التعبير عن بعض الدلالات الخارجة عن المعنى المعجمي الأساسي الذي يفهم مباشرة من اللفظة؛ فلكل كلمة معنى أساسي هو معناها

---

(١) أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ الأنصاريُّ القرطبيُّ ، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، تحقيق وتعليق وتقديم : محيي الدين ديب و أحمد محمد السيد و يوسف علي بديوي و محمود إبراهيم بزال . دمشق، بيروت : دار ابن كثير – دار الكلم الطيب، ١٩٩٦م ، (٣٢٦/١).

(٢) انظر: النووي ، رياض الصالحين (ص٦٥).

(٣) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، (٥/ ٣٢٥).

(٤) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، له (تحقيق البيان) في اللغة والحكمة. وتوفي عام ٥٠٢ هـ. انظر: الأعلام، للزركلي، (٢٥٥/٢).

(٥) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية ، (٣٩/ ٥٣٣) .

المعجمي الذي وضعت له أساسا، والبعض يدعوه المعنى الحرفي أو المعنى الدلالي، وهو المعنى الذي تدل عليه الكلمة أساسا.ويتحقق المعنى الأساسي بالالتزام باستعمال الكلمة وفقا لسماتها الدلالية، فمثلا نقول:شرب الولد الماء.

وهنا استخدم كل كلمة وفقا لسماتها الدلالية. ولكن عندما نقول شرب الولد الثقافة. يصبح استخدام (شرب) هنا مجازيا، لأن مفعولها مما ليس يشرب أساسا. وخرق قوانين السمات الدلالية يخرج الاستعمال من معناه الأساسي(المعجمي) المباشر إلى معناه المجازي غير المباشر.

فمن تلك المعاني أن يراد بصيغة الفعل "امش" االدلالة على الإقدام؛ فالمعنى الإجمالي للحديث فيه : « حض على التقدم وترك التأنى، ويكون الالتفات هنا من نظر العين يمنة ويسرة، وقد يكون على وجهه مبالغة فى التقدم، ويدل عليه قوله: " فصار على فوقف فلم يلتفت ". فيه التزام أوامره – عليه السلام – والأخذ بظاهرها ما أمكن ولم يصرفها عنه صارف، أو لقصر فحوى كلام علم من المتكلم به. وقد يكون: " لا يلتفت " هنا بمعنى: لا ينصرف»(١).

فصيغة الأمر الواردة في قوله ﷺ " «امش» قد خرجت عن معناها المعجمي الأساسي إلى معان ودلالات أخرى هي التقدم، والمسارعة، وعدم التراجع أو التقهقر، وليس معنى ذلك أن تلك المعاني تصبح بمنأى وبمعزل عن المعنى الأساسي للصيغة، بل هي معانٍ زائدة إضافية دل عليها السياق الحالي.

- **قول النبي ﷺ : « فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتي وَسُنَّةِ الْخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وإِيَّاكُمْ ومُحْدثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضلالَةٌ»(٢).**

المتأمل في هذا الخطاب النبوي الشريف، يجده من أشد النصوص تعبيرًا عن القوة الإنجازية الكامنة في الفعل، وهذه القوة تتضح من خلال تسليط الضوء على تلك المعاني والدلالات غير المباشرة لصيغة الأمر "**عضُّوا**"، وهذا يبدو جليًا من خلال المقارنة بين المعنى المعجمي للصيغة، والمعنى المتبارد إلى الذهن من خلال السياق الكلي، وقرائن الأحوال المحيط بها.

(١) القاضي عياض ، إكمال المعلم بفوائد مسلم ، (٧/ ٤١٧).

(٢) انظر: النووي ، رياض الصالحين ، (ص٦٨).

فصيغة الأمر "عضوا" من الفعل "عضَّ" وهو مشتمل على « الْعَيْنُ وَالضَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَلَى الشَّيْءِ بِالْأَسْنَانِ. ثُمَّ يُقَاسُ مِنْهُ كُلُّ مَا أَشْبَهَهُ، حَتَّى يُسَمَّى الشَّيْءُ الشَّدِيدُ وَالصُّلْبُ وَالدَّاهِي بِذَلِكَ. فَالْأَوَّلُ الْعَضُّ بِالْأَسْنَانِ يُقَالُ: عَضِضْتُ أَعَضُّ عَضًّا وَعَضِيضًا، فَأَنَا عَاضٌّ»[(١)].

إلا أن السياق الكلي للنص النبوي يبين أن المقصود والمراد أبعد من ذلك وأعمق؛ فكما يروي العرباض بن سارية ﷺ بقوله: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا أَوْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا».

فرد النبي ﷺ على سؤال أصحابه معلمًا لهم، ومرشدًا إياهم، فقال: « " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، **وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

فمن خلال السياق النصي للحديث النبوي الشريف، يمكن فهم المقصود من صيغة فعل الأمر "**عضوا**"، فالفعل في هذا السياق قد دل على معنى شدة الحرص والتمسك وعدم التفريط؛ فخرج الفعل عن معناه المعجمي الأساسي، إلى المعنى السياقي المقصود من النص من خلال قراءة السياق الخارجي للنص، المعتمد على قرائن الحال المحيطة به على مستوى المرسل، والمتلقي، والرسالة، فالنبي ﷺ يرشد أصحابه إلى التمسك، بسنته بكل قوة، وبكل عزم وتصميم وإرداة، وعبر النبي ﷺ عن بالعض على النواجذ؛ وهي « الأضراس، وقيل: الضواحك، وقيل: الأنياب، والعض بالنواجذ مثل في التمسك بهذه الوصية بجميع ما يمكن من الأسباب المعنية عليه، كمن يتمسك بشيء ثم يستعين عليه بأسنانه استظهارا للمحافظة»[(٢)]. فهذا التعبير النبوي قد أتى كِنَايَة عَن شدَّة التَّمَسُّك وَلُزُوم الاتباع[(٣)].

---

(١) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، (٤/ ٤٨).

(٢) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكة المكرمة – الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٩٩٧م ، (٦٣٤/٢) .

(٣) انظر: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، التيسير بشرح الجامع الصغير ، الرياض ، مكتبة الإمام الشافعي ، ١٩٨٨م ، (٣٧٨/٢) .

والجدير بالذكر، أن المعنى المعجمي لصيغة الأمر "**عضوا**" لم يكن له استخدام في هذا السياق، وذلك لأن المعنى المجازي مقصودٌ لذاته في هذا التركيب اللغوي، فلا يمكن أن تحمل صيغة الفعل "**عضوا**" على ظاهرها، إذ يتعذر هذا الحمل.

- **قول النبي ﷺ : « فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِس فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»(١).**

اشتمل هذا النص النبوي على صيغة لفعل الأمر وهي قوله ﷺ : «**فَأَعْطُوا**» ففعل الأمر، قد اشتمل على عدة دلالات، هذه الدلالات قد استندت على المعنى المعجمي (الأساسي) للكلمة، هذا المعنى على نحو ما يلي.

الفعل "أعطوا" أصله "عطو" من الْعَيْنُ وَالطَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى أَخْذٍ وَمُنَاوَلَةٍ، لَا يُخْرِجُ الْبَابُ عَنْهُمَا. فَالْعَطْوُ: التَّنَاوُلُ بِالْيَدِ(٢). وهذا المعنى المعجمي، قد خرجت عنه الدلالات المقصودة من الفعل، التي يوضحها السياق الكلي.

أما السياق الكلي فيمكن تحديده، من خلال فهم أول السياق، وهو قول النبي: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا». فرد عليهم النبي ﷺ سؤالهم ذلك؛ فقال ﷺ: « فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ **فَأَعْطُوا** الطَّرِيقَ حَقَّهُ قَالُوا : وَمَا حَقُّهُ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».

فمن خلال السياق السابق، نجد أنه لصيغة الأمر "**اعطوا**" دلالات خارجة عن المعنى المعجمي الأساسي، من هذه الدلالات أن المراد من الفعل "**اعطوا**" أي "**أدوا**" فيكون المعنى المراد من السياق الكلي هو آداء ما يطلب فيه من الآداب، وفي التعبير به إشارة إلى تأكد تلك الأمور والاهتمام بها والإضافة للملابسة(٣).

وقد استخدم النبي ﷺ الأمر ليلفت انتباه أصحابه إلى أن يعرفوا حق الطريق؛ لأن الصحابة لم يكن في سابق علمهم بأن للطريق حقًّا، بل إن الحق مرتبط بحق الوالدين وحق الفقير وحق الجار... لذا فالنبي ﷺ لم يقل: افعلوا كذا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٦/ ١٦٥)، برقم (٥٦١٤).

(٢) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، (٤/ ٣٥٣).

(٣) البكري محمد علي، دليل الفالحين ، (٤٧٨/٢) .

وكذا، وإنما قال: (فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق؟)؛ لأنهم حينما سألوا عنه فإن هذا يكون أدعى إلى ثبوته وفهمه؛ لأن الشيء الذي يحصل له أمر يقتضيه، ويحصل له سبب كأن يكون مجملاً ثم يُستفسر عن تفصيله، فإن ذلك التفصيل عندما يذكر للسائل ينتبه له، ويتهيأ له، ويكون على استعداد وتشوق لاستيعابه، وعدم فوات شيء منه. فقال لهم ﷺ : (غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)، وهذا من جوامع كلمه ﷺ.

وتكمن القوة الإنجازية في صيغة الأمر "**اعطوا**" في التعبير عن كون هذا الحق واجباً مستحقاً على العباد، وما كان لهذا المعنى أن يتم بالفعل "افعلوا" أو "أدوا" أو غيرهما من الأفعال المستخدمة في مثل هذه السياقات اللغوية، لذا فالنص « من حيث دلالته؛ فهو شبكة معطيات؛ ألسنية وبنيوية وأيديولوجية كلُّها تسهم في إخراج النص إلى حيِّز الفعل والتأثير»[(١)]. فالتعبير بهذه الصيغة يخرج النص إلى حيز الفعل والتأثير في المتلقي.

- **قول النبي ﷺ : «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً»**[(٢)].

من الملاحظ في النص النبوي السابق أنه اشتمل على صيغة أمر وهي الفعل "**انصر**" وقد اشتملت هذه الصيغة على قوة إنجازية كامنة فيها، هذه القوة تتضح من خلال تخطي المعنى الأساسي للمفردة (المعجمي) انصر إلى معاني سياقية أخرى بيانها على نحو ما يلي:

صيغة الأمر "**انصر**" في لغة العرب فعل أمر من "نصر" فـ« النُّونُ وَالصَّادُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِتْيَانِ خَيْرٍ وَإِيتَائِهِ. وَنَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ: آتَاهُمُ الظَّفَرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، يَنْصُرُهُمْ نَصْرًا »[(٣)]. إلا أن معنى الكلمة في السياق الخارجي قد تخطى هذا المعنى المعجمي إلى معانٍ أخرى يمكن فهمها من خلال السياق الكلي للحديث.

---

(١) مرتاض عبدالملك ، جزء من مقال منشور في "مفهوم النص في المدونة النقدية العربية" ملفوف صالح الدين، المركز الجامعي خميس مليانة (الجزائر) ، عدد خاص : أشغال الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات والرواية، (ص:١٣٣)

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٢٢)، برقم (٦٩٥٢). ينظر: رياض الصالحين، للنووي، (ص١٠٨).

(٣) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، (٥/ ٤٣٥).

فالنبي ﷺ يقول لأصحابه: « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فلما تعجب الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ من ذلك فقالوا يارسول الله : « أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟». فأجاب النبي ﷺ فقال : « «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ».

فمن خلال هذا السياق نجد أن صيغة الفعل "انصر" قد تعدت إلى معانٍ أخرى، منها أن يمنعه من الظلم ففي ذلك نصرة له، وقد اتضح هذا المعنى الإضافي من خلال القوة الإنجازية الكامنة في الفعل انصر؛ وذلك لأن : «النصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسره رسول الله أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركته على ظلمه ولم تكفه عنه أداه ذلك إلى أن يقتص منه؛ فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره، وهذا يدل من باب الحكم للشيء وتسميته بما يؤل إليه، وهو من عجيب الفصاحة، ووجيز البلاغة»[(١)].

كما نجد أن هذا المعنى الإنجازي من قبيل الأضداد مع المعنى المعجمي، فلقد جعل النبي ﷺ نصرة الظالم في منعه، وقد فسر أهل العلم هذا التعبير النبوي البليغ بتفسيرات جليلة؛ منها : «أن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسا ومعنى فلو رأى إنسانا يريد أن يجب نفسه لظنه أن ذلك يزيل مفسدة طلبه الزنا مثلا منعه من ذلك وكان ذلك نصرا له واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم»[(٢)] ، وفيه دلالة على أن: « فيه إشارة إلى أن الترك كالفِعْلِ»[(٣)].

ولا عجب في هذا التعارض بين المعنى المعجمي والمعنى الإنجازي للفظة الواحدة؛ فإنه لا يمكن فَهم أيّ كلمة على نحوٍ تامٍّ بمعزَل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها، والتي تُحدّد معناها، وفي هذا إلغاء لتفرّد المعنى المعجمي الأصلي للكلمة المفردة بالدلالة، وتقليل لأهميته الانفرادية ؛ لأنّ الواقع اللغوي يؤكّد أنّ في كلّ كلمة نواةً صلبةً من المعنى نسبياً ويمكن تكييفها بالنصّ ضمن حدود معينة؛ إذ لا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة

(١) ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، شرح صحيح البخاري لابن بطال ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، السعودية – الرياض ، مكتبة الرشد ، ٢٠٠٣م ، (٦/ ٥٧٢) .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري (٥/ ٩٨) .

(٣) المرجع السابق، (٥/ ٩٨).

المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب التي يرمي إليها المتكلم.

فعلى ما سبق، كان من الممكن من الناحية اللغوية أن يكون المعنى المعجمي معارضًا ــ في بعض الأحيان ــ للمعنى الإنجازي، فلم يكن هذا محالًا لأنه دل عليه السياق اللغوي الكلي، والمقارنة بين السياق الداخلي والسياق الخارجي في النص النبوي السابق.

وفي هذا دليل واضح على بلاغة النبي ﷺ وقدرته على التعبير، فقد أوتي ﷺ جوامع الكلم من خلال وضع المفردات في سياقات لغوية معينة تعمل بدورها على إثراء المعنى الإنجازي لهذه الألفاظ، وهو ما يدل على البلاغة والإيجاز في آن واحد.

- **وعن أبي هريرةَ ﷺ قَالَ: أَخذ الحسنُ بنُ عليٍّ م تَمْرةً مِنْ تَمرِ الصَّدقَةِ فَجعلهَا في فِيهِ فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: « كِخْ كِخْ، إِرْمِ بِهَا، أَما علِمْتَ أَنَّا لا نأْكُلُ الصَّدقَةَ!؟»**[1].

والناظر إلى هذا الحديث الشريف يجد أنه اشتمل على صيغة لفعل الأمر وهي "**ارم**" وهذا الفعل قد اشتمل على قوة إنجازية ذلك لأن النبي ﷺ أراد أن يعلم الحسن بن علي معنى التعفف عن الصدق، ولا شك أن المعنى المعجمي للفعل ارم، والذي ماضيه "رمى" فـ«الرَّاءُ وَالْمِيمُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ نَبْذُ الشَّيْءِ. ثُمَّ يَحْمِلُ عَلَيْهِ اشْتِقَاقًا وَاسْتِعَارَةً. تَقُولُ رَمَيْتُ الشَّيْءَ أَرْمِيهِ»[2].

إلا أن صيغة الفعل "**ارم**" قد اشتملت على معنى إنجازي زائد هذا المعنى هو أن يترك الحسن بن علي ﷺ التمرة بين تمر الصدقة وألا يأكلها، ويرفعها من فيه، إلا أن التعبير النبوي البليغ بلفظ "ارم" قد جاء معبرًا عن الزجر والتشديد في الأمر؛ فالأمر متعلق بحق من حقوق الله، فكانت اللفظة "ارم" فيها ما فيها من القوة الإنجازية والتعبير عن ألفاظ أخرى كثيرة من مثل دع، أو اترك، أو ذر...إلخ، مما يمكن أن يقوم بنفس المعنى الإنجازي.

---

(١) انظر: النووي ، رياض الصالحين ، (ص١٢٥).

(٢) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، (٢/٤٣٥).

من هنا يفهم، قيمة القوة الإنجازية للألفاظ من حيث القوة على التعبير والبيان، أكثر من غيرها أو نظائرها مما لها معانٍ مباشرة، يمكن أن تقوم بدورها في أداء المعنى.

- **قال رسول الله ﷺ : "مُرُوا أَوْلادكُمْ بِالصَّلاةِ وهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، واضْرِبُوهمْ علَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وفرَّقُوا بيْنَهُمْ في المضَاجعِ»**[(١)].

اشتمل الحديث الشريف على صيغة الأمر وهو الفعل "**مروا**" والناظر إلى هذا الفعل يجد أنه قد اشتمل على معنى إنجازي إضافة إلى معناه المعجمي المباشر المتبادر إلى الذهن من خلال السياق الداخلي.

فالفعل "**مروا**" هو أمر من الفعل "**أمر**" فالْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ خَمْسَةٌ: الْأَمْرُ مِنَ الْأُمُورِ، وَالْأَمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ، وَالْأَمَرَ النَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ بِفَتْحِ الْمِيمِ[(٢)] .

وقد اشتمل الفعل "مروا" على معنى إنجازي إضافة إلى معناه المعجمي الأساسي المذكور آنفا؛ لأن الصبيان ليسوا محلا للتكليف فلا يأمرهم الشارع بشيء، وإنما يأمرهم الأولياء بذلك على طريق التمرين كسائر ما يربونهم عليه[(٣)]. فصيغة الفعل "مروا" من معانيها مرنوهم، وعلموهم، ودربوهم على الصلاة، ذلك لأن الأمر قد يكون غير ممكن للصبي الذي لا يدرك.

---

(١) انظر: النووي ، رياض الصالحين ، (ص١١٢).

(٢) ابن فارس ، مقاييس اللغة، (١/ ١٣٧).

(٣) أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ، طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد) أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي، الناشر: الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي) ، (٧/ ٨٧).

- **عن وابصة بن معبد رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: أَتَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ فَقَالَ: "جِئْتَ تسأَلُ عنِ البِرِّ؟ "قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ:"اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، واطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، والإِثمُ مَا حاكَ في النَّفْسِ وتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوكَ"**[1] .

نجد في هذا الحديث النبوي الشريف، وردت صيغة الأمر "**استفت**" وهذا الفعل قد اشتمل على عدة معان إنجازية تفهم من خلال قراءة السياق الخارجي للحديث.

فصيغة الأمر "**استفتْ**"، من الفعل "**استفتى**" وهو على زنة "**استفعل**" وهو طلب فعل الشيء، فالفعل استفتى يعني طلب السؤال أو الفتيا، إلا أن الفعل لم يتوقف عند المعنى المعجمي المذكور في لغة العرب، فالفعل قد تخطى هذا المعنى بحكم السياق الخارجي إلى معان إنجازية أخرى.

فمن معانيه أن يكون المراد "استشعر" حال قلبك، وهنا لا يمكن أن يحمل الفعل "استفت" على معناه المعجمي المباشر، لأن السياق الخارجي بذلك لا يستقيم، فالمعنى الإجمالي «استفت نفسك المطمئنة الموهوبة نورا يفرق بين الحق والباطل والصدق والكذب إذ الخطاب لوابصة وهو يتصف بذلك وفي رواية قلبك أي عول على ما فيه لأن للنفس شعورا بما تحمد عاقبته أو تذم (وإن) غاية لمقدر دل عليه ما قبله أي فالتزم العمل بما في نفسك ولو (أفتاك المفتون) بخلافه لأنهم إنما يطلعون على الظواهر وهم بضم الميم جمع مفتي، وفي بعض الحواشي بالفتح (الـمَفتون) من الفتنة بمعنى الاختبار والضلال»[2].

وعلى ما تم عرضه من صيغ الأمر الواردة في الأحاديث النبوية السابقة نجد بأن دلالة القوة الإنجازية لهذه الصيغ تم الكشف عنها من خلال معطيات السياق الداخلي للخطاب والسياق الخارجي وهي العوامل المقامية (غير اللغوية) التي أنتج فيها الخطاب النبوي .

---

(١) انظر: النووي ، رياض الصالحين، (ص١٩٩).

(٢) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٥٦هـ ، (٤٩٥/١) .

فاستثمار السياقين الداخلي والخارجي لخدمة الدلالة الإنجازية هو من الذكاء اللغوي الاجتماعي الذي تميز به الخطاب النبوي الشريف، الذي حري بنا أن ننحو نحوه وذلك من خلال كيفية استعمال اللغة وفق السياقات الداخلية والخارجية (المقامية) بحيث تحمل قوة إنجازية تؤثر في مستقبل النص.

لذا نجد بأن صيغ الأمر الواردة في الخطاب النبوي وما تحويه من دلالات إنجازية ماهي إلا نتاج قيود براغماتية حكمها مجال التخاطب النبوي والمتمثل في المساحة الزمنية والمكانية وموضوع الحديث وأطراف الكلام، فكلها متغيرات تتفاعل فتؤثر في تكوين الخطاب، فالنبي ﷺ خضعت أوامره وخطاباته لهذه المتغيرات التي أملت عليه أساليب من الخطاب متنوعة الشكل والدلالة، حيث كان أسلوب النبي ﷺ في كلامه ومقاصده مقيداً بهذه الأطر الخارجية (القيود البراغماتية) والتي تناسب مقتضى حال الصحابة رضوان الله عليهم، وتخدم الهدف الذي أرسل من أجله[1].

(١) انظر : الميساوي خليفة ، وحديثه حول مسألة القيود البراغماتية، في كتابه : تداخل الألسن دراسة المظاهر والقيود اللسانية ، الأحساء ، من إصدارات نادي الأحساء الأدبي، ٢٠١١م ، ص١٩٦ وما بعدها .

الخاتمــة

وفي ختام هذا البحث فقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، من أهمها ما يلي:

- إن الفصل بين المستوى الدلالي والمستوى التداولي في تحليل الخطاب النبوي لا يعني عدم التكامل بينهما، وذلك لأن المستوى التداولي ابتدأ من حيث انتهى المستوى الدلالي، فالتكامل بين المستويين يساعدنا في الكشف على الدلالات المنبثقة عن الشكل اللغوي بشكل عام والأمر بشكل خاص، كما أنهما يشكلان منهجاً منسجماً في تناول الخطاب أو النص النبوي.
- يزخر الحديث النبوي الشريف بالبلاغة النبوية وجوامع الكلم للنبي ﷺ؛ كما أن خطابه يحوي ألفاظاً إعجازية كامنة ذات بعد دلالي وتداولي يمكن الوصول إليها عن طريق النظريات اللسانية الحديثة، من خلال تنزيل تلك النظريات على مواطن وجودها في الحديث النبوي الشريف.
- اشتمل الخطاب النبوي في الحديث الشريف على منهج متكامل في التعامل سواء مع الصحابة أو مع غيرهم ممن كانوا في مقام المتلقي بالنسبة للنبي ﷺ، وهذا ما يجليه طبيعة الخطاب الإنجازي في السنة النبوية المطهرة.
- يعد الحديث النبوي الشريف زاخرًا بالأساليب الإنشائية، وواحة لغوية عامرة بها، على اختلاف أنواع تلك الأساليب في تعبيراته ﷺ.
- إن مقاصد الخطاب النبوي، كان الأساس في تكوينها عدة عناصر تتمثل في الأشخاص المشاركين في الحوارات من الصحابة رضوان الله عليهم، واشتراكهم في الخلفية الثقافية والمعرفية، كما أن البيئة والزمن والتفاعلات بين الأشخاص ونواياهم ومقاصدهم.
- يعد الحديث النبوي الشريف تربة خصبة لأجل تطبيق النظريات الدلالية والتداولية المطروحة في الدرس اللغوي الحديث، وذلك لأن قائله هو النبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، بالتعبير عن المعاني الكثيرة بأوجز العبارات وأدق الألفاظ، لذا وجدت بأن الأحاديث النبوية أكثر ملائمة للدراسة التداولية وذلك لتوفر المبادئ التي تقوم عليها التداولية (الأفعال اللغوية، السياق، الافتراض المسبق).

- استعمل الرسول ﷺ الأمر وذلك بقصد الإيحاء والإثارة والحث والتشويق لإيصال معاني ورسائل كامنة عند النبي ﷺ.

- أكثر الرسولﷺ من الأساليب الإنشائية باعتمادها وسيلة للتعبير عن أفكاره ومعانيه، وهذا لما تتمتع به هذه الأساليب من قوة في التأثير على المتلقي، ولدورها الفعال وقدرتها على الإبلاغ وتحقيق الفهم.

- من الملاحظ من خلال تطبيق القوى الإنجازية لصيغة فعل الأمر على الأحاديث الواردة في كتاب رياض الصالحين أن الدلالات الإنجازية لهذه الأفعال _ وغيرها _ إما أن تأتي مصاحبة (مكملة) لدلالاتها المعجمية (الأساسية)، أو منفصلة عنها، أو مضادة لها.

- صيغ الأمر الواردة في الخطاب النبوي وما تحويه من دلالات إنجازية ماهي إلا نتاج قيود براغماتية حكمها مجال التخاطب النبوي والمتمثل في المساحة الزمنية والمكانية وموضوع الحديث وأطراف الكلام .

- للنص النبوي شفرات ومضامين ومعاني لكل منها معنى معجمي ومعنى سياقي يتحدد من السياق ذاته، ولكن قد يتعارض المعنيان مما يؤدي إلى أن ينتج عن هذا ثنائية ضدية تتمثل في الفرق بين الدال والمدلول من خلال الطبيعة التي قد يحملها المدلول والتي تؤثر على السياق العام للنص.

- إن الفارق الأساسي بين المعنيين المعجمي والسياقي هو تعدّد الأول وتحدّد الثاني؛ ومن هنا فقد أدرك الأوائل أثرَ السياق في توجيه المعنى وتحديده، كما أوْلى المحدثون عنايةً خاصّةً به في تفسير الحدَث الكلامي .

- إن استعمال المعنى في السياق هو الذي يوضّح الصور المختلفة (لتناوب المعاني) الأخرى مع المعنى المركزي الثابت للكلمة.

- للسياق أثر كبير في تحديد معنى الكلمة، ولا تتحدد قيمة أي عنصر لغوي نهائياً وكلياً إلا منْ خلال سياقه وما يحيط به منْ ألفاظ تحدد معناه.

- أن صيغ الأمر الواردة في رياض الصالحين تحوي أفعالاً تم استدعاؤها بالقول والمتمثلة في المحتوى القضوي، كما أنها تحوي أفعالاً تم استدعاؤها ضمناً بالقول.

- نظرت البلاغة إلى الأمر وما فيه من معاني يخرج إليها بحكم السياق والاستعمال، أما التداولية فقد نظرت إلى الأمر على أنه يمثل أفعال كلامية ترمي إلى التأثير في المخاطب.
- استعمل الرسول ﷺ الأمر لأغراض وغايات متنوعة تصب في خدمة الدعوة وتعليم الأمة ونصحها وإرشادها.

المصـادر والمراجع

- **ابن السراج أبو بكر محمد بن الصري بن سهل ، الأصول في النحو**، المحقق: عبد الحسين الفتلي، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

- **ابن العطار علي بن إبراهيم بن داود أبو الحسن علاء الدين، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين**، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، عمان – الأردن، الدار الأثرية، ٢٠٠٧م.

- **القاري علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** ، تحقيق : جمال عيتاني ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

- **ابن الملقن عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، بيروت ، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث . دمشق ، دار النايا ، ٢٠٠٨م.

- **ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، شرح صحيح البخاري لابن بطال**، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، السعودية، الرياض دار النشر: مكتبة الرشد.

- **ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ١٩٥٢م .

- **ابن جني أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، اللمع في العربية**، تحقيق: فائز فارس، الكويت ، دار الكتب الثقافية.

- **ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

- **ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (مقدمة ابن خلدون)** ، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠١م.

- **ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»** تونس ، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م .

- **ابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** المحقق: علي محمد البجاوي، بيروت ، دار الجيل، ١٩٩٢م .

- **ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق،** المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

- **ابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة،** المحقق:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

- **ابن قرقول إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني، مطالع الأنوار على صحاح الآثار،** تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، قطر ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٢م .

- **ابن يعيش يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل،** قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

- **أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ،** المحقق: مجموعة من المحققين، بيروت .

- **أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو،** تحقيق : مازن المبارك، بيروت ، دار النفائس، ١٩٧٩م.

- **أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي، معترك الاقران** ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م .

- **أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه** ، تحقيق وشرح : عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م .

- **أبو السعود حسن الشاذلي، العناصر الأساسية للمركب الفعلي وأنماطها من خلال القرآن الكريم دراسة تحليلية تطبيقية**، الأسكندرية – مصر ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م.

- **أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ الشيخِ المرحومِ الفقيهِ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم** ، تحقيق وتعليق وتقديم : محيي الدين ديب و أحمد محمد السيد و يوسف علي بديوي و محمود إبراهيم بزال ، دمشق–بيروت ، دار ابن كثير – دار الكلم الطيب، ١٩٩٦م.

- **أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، شرح تنقيح الفصول**، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر : شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٩٧٣م.

- **أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، طبقات الشافعيين**، تحقيق: أحمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٣م .

- **أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)**، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي، الناشر: الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

- **أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

- **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت ، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ .

- **أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي، الحنفي ثم الشافعي، قواطع الأدلة في الأصول**، المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

- **أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى في علم الأصول**، المحقق: محمد بن سليمان بيروت ، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م .

- **أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**، تحقيق: سمير المجذوب، دمشق ، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م.

- **أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ .

- **أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل ،** المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.

- **أبو عبدالله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ،** بيروت ، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٥م .

- **أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، ، المحصول**، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م .

- **أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مجاز القران**، تعليق: محمد فؤاد سزكين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .

- **أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم بن عيذون، البارع في اللغة**، تحقيق: هشام الطعان، بغداد ، مكتبة النهضة، و بيروت، دار الحضارة العربية، ١٩٧٥م.

- **أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بيروت ، دار إحياء التراث العربي.

- **أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد، الشهير بابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، بيروت، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٢م .

- **أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم**، ضبط وتهميش وتعليق نعيم زرزور ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

- **الإثيوبي محمد بن علي بن آدم بن موسى، شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»**، مكة المكرمة ، دار آل بروم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

- **الأصبحي مالك بن أنس بن مالك بن عامر المدني، موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني**، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، مَزِيَدة منقحَة.

- **آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، ترجمة: د. سيف الدين دعفوس ود. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.

- **بدر الدين العيني محمود بن أحمد بن موسى، نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم قطر ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ٢٠٠٨م.

- **حمام بلقاسم محمد، الملامح التداولية في النحو العربي**، بحث منشور في مجلة الآداب،م٢٦، ع٢، جامعة الملك سعود، الرياض.

- **البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،** المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ .

- **البعلي محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل، المطلع على ألفاظ المقنع،** تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، جدة ، مكتبة السوادي للتوزيع، ٢٠٠٣م .

- **البكري محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين،** اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، بيروت – لبنان ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

- **عبدالحميد محمد محي الدين، شرح ابن عقيل** ، صيدا – بيروت، المكتبة العصرية . طبعة منقحة، ١٩٨٨م .

- **مفتاح محمد، دينامية النص (تنظير وإنجاز)**، الدار البيضاء ، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م .

- **الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي،** تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

- **تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية،** بيروت، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م .

- **حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها،** عمان.الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦م.

- **جلال الدين أبو عبدالله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبدالرحمن القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة** ، بيروت، دار الكتب العلمية .

- **تومي غنية، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث،** بحث منشور في مجلة المِخبَر .. أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر، العدد السادس.

- **الداية فايز، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق،** بيروت ، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٦م.
- **بلانشيه فليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان،** ترجمة وتحقيق: صابر الحباشة وعبدالرزاق الجمايعي، عمان – الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م.

- **الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الشهير، البيان والتبيين،** بيروت ، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ .

- **الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف، الديباج المُذَهَّب في مصطلح الحديث،** مصحح بمعرفة لجنة: برئاسة الشيخ حسن الإنبابي، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، باشر طبعه: محمد أمين عمران، ١٩٣١م.

- **الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف،كتاب التعريفات،** المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت –لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.

- **علي عبد الواحد وافي،** فقه اللغة، القاهرة ، دار نهضة مصر، الطبعة، ٢٠٠٤م.

- **الجصاص أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، الفصول في الأصول،** الكويت ، وزارة الأوقاف الكويتية، ١٩٩٤م .

- **الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،** تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، **١٤٠٧ هـ.**

- **علوي حافظ إسماعيلي، التداوليات علم استعمال اللغة،** إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٤م .

- **الميساوي خليفة، تداخل الألسن دراسة المظاهر والقيود اللسانية،** السعودية – الاحساء ، من إصدارات نادي الأحساء الأدبي، ٢٠١١م .
- **الميساوي، خليفة، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم،** الجزائر منشورات الاختلاف، ٢٠١٣م .
- **الميساوي خليفة، الوصائل في تحليل المحادثة – دراسة في استراتيجيات الخطاب،** إربد – الأردن ، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م.
- **الحسن شاهر، علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية،** عمان – الأردن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م .
- **الحموي أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،** القاهرة ، المطبعة الأميرية، ١٩٢٢م .
- **أحمد مختار عمر، علم الدلالة،** القاهرة ، عالم الكتب، ١٩٩٨م .
- **المالقي أحمد بن عبدالنور، رصف المباني في شرح حروف المعاني،** تحقيق : أحمد الخراط، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية .
- **إدريس مقبول، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية،** الأردن– عمان. إربد ، عالم الكتب الحديث، ٢٠١١م .
- **خطابي محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب،** بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م .
- **علي محمد عديل عبدالعزيز، المقاربة التداولية لخطاب المناظرة العصر العباسي نموذجا،** القاهرة ، دار البصائر للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠١١م .
- **الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام،** المحقق: الدكتور بشار عوّاد، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

- **الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء،** المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، بيروت ، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- **الجزري، شمس الدين محمد بن يوسف، معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول،** تحقيق وتقديم : شعبان محمد اسماعيل ، القاهرة ، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٩٩٣م.
- **الصالح صبحي، دراسات في فقه اللغة،** بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٤م.
- **الجزري ضياء الدين ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور** ، تحقيق : مصطفى جواد و جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٦م .
- **الرافعي مصطفى صادق بن عبد الرزاق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،** بيروت ، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م .
- **الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق، اللامات،** المحقق: مازن المبارك، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٥م.
- **الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي، الأعلام،** بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٤م .
- **الزمخشري محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، المفصل في صنعة الإعراب،** المحقق: د.علي بو ملحم، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٩٣م.
- **زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، التيسير بشرح الجامع الصغير،** الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ١٩٨٨م .
- **زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير،** مصر ، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ .
- **النشار سامي، مناهج البحث عند مفكري الإسلامي،** بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م.
- **سابير إدوارد، مدخل للتعريف باللغة،** مقال منشور ضمن كتاب اللغة والخطاب الأدبي، اختيار وترجمة: سعيد الغانمي، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي.

- **ستروسن، الدلالة وقيمة الصدق،** بحث منشور ضمن كتاب المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م.

- **خليفة سحبان، منهج التحليل اللغوي المنطقي في الفكر العربي الإسلامي (النظرية والتطبيق)** ، عمان . الأردن، منشورات الجامعة الاردنية —عمادة البحث العلمي- قسم الفلسفة-كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية .
- **التفتازاني سعد الدين، شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني،** تعليق : عبد المتعال الصعيدي ، المدينة المنورة، المكتبة المحمودية، ١٣٥٦هـ .
- **الشامي هانم محمد حجازي، الخطاب في جزء الذاريات دراسة أسلوبية في خصائص التركيب،** القاهرة ، مكتبة الآداب، ٢٠١٢م.

- **الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٩٩٥م .

- **شهاب هناء محمود، الأبعاد التداولية عند الخطيب القزويني .. التقديم والتأخير في كتاب الإيضاح نموذجا،** بحث منشور ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والنقدي، لندن، مؤسسة السياب، ٢٠١٢م.

- **المحيمد ياسين جاسم، الأمر والنهي عند علماء العربية والأصوليين** راجعه وقدم له: محمد بهجة الأثري ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ .
- **الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،** بيروت، دار الكتاب الجديد،٢٠٠٤م.

- **الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول،** المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٩٩٩م .

- **الشيبانيّ يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح**، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد ، الرياض ، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

- **الصاحبي أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تعليق : أحمد حسن بسج ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

- **صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي**، بيروت ، دار الطليعة، ٢٠٠٥م .

- **الطالبي يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، بيروت المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ .

- **الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)**، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكة المكرمة – الرياض ، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٧م .

- **عباس حسن، النحو الوافي**، القاهرة ، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، بدون تاريخ.

- **العثيمين محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين**، الرياض ، دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ.

- **العسقلاني أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت ، دار المعرفة ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات : عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ١٣٧٩هـ.

- **العياشي منذر، اللسانيات والدلالة "الكلمة"**، حلب ، مركز الإنماء الحضاري للمراسلة والترجمة والنشر، ١٩٩٦م.

- **الفيروزآبادى مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٥م.

- **القاضي عياض بن موسى بن عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم**، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

- **القسطلاني شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ.

- **الكجراتي محمد طاهر بن علي الصديقي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٧م.

- **الكرماني محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨١م .

- **كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه**، القاهرة، دار غريب، ٢٠٠٠م.

- **مانجونو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ترجمة: محمد يحياتن، الجزائر العاصمة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ٢٠٠٨م.

- **دي سوسير، علم اللغة العام**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: مالك يوسف المطلبي، بغداد، آفاق عربية، ١٩٨٥م.

- **رمضان عبدالتواب، فصول في فقه العربية**، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م .

- **المباركفوري محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي**، بيروت ،دار الكتب العلمية .

- **محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ .
- **محمود سليمان ياقوت، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية**، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥م.
- **نحلة محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، مصر، دار المعرفة الجديدة، ٢٠٠٢م .
- **المرادي بدر الدين حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: د فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م .
- **المسدي عبد السلام، ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية**، تونس ، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
- **النووي أبو زكريا محيي الدين بن شرف، رياض الصالحين**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، لبنان ، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م .
- **الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، بيروت، المكتبة العصرية .
- **يول جورج**، التداولية، ترجمة : د.قصي العتابي، بيروت، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م.